جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رسالة أُعدت لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر بعنوان:

السيّد سعيد بن سلطان ودوره في عُمان
(١٨٠٦-١٨٥٦م)
دراسة في ضوء الوثائق السريّة العُمانية

إشراف: د. حســـــام النّايف
إعداد: نــــور كمال غانم

٢٠١٧- ٢٠١٨م

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيـــــــم

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة فترة متميزة من تاريخ عُمان، وهي فترة حكم السيد سعيد بن سلطان والتي امتدت نصف قرن من الزمن (١٨٠٦-١٨٥٦م)، وتميز السيد سعيد بقوته وذكائه وحسن تدبيره السياسي، فهو من أهم الشخصيات التي عَرَفها الخليج العربي طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث دخلت عُمان في عهده مرحلة جديدة من التطور والانفتاح على الحضارة الأوربية، كما تبوّأت العاصمة مسقط مركزاً مهماً في التجارة والسياسة في حوض الخليج كاملاً، وامتلكت أقوى أسطول تجاري حربي في المنطقة بعد بريطانيا، كما شهدت تلك الفترة أحداثاً خطيرة عانى منها وحاول أن يتجنب نتائجها، أو يحولها إلى ما فيه مصلحته ومصلحة بلاده فلم يستطع ، كما حاول تأسيس إمبراطورية عربية إفريقية، واتبع سياسة توسعية سواءً في الخليج العربي أو في شرقي إفريقية كذلك لم يستطع المحافظة على وحدة الأقاليم العُمانية لسنوات عديدة على الرغم من نجاحه في توحيدها، وتهاوت أحلامه في التمكين لهذه الإمبراطورية بفعل الاستعمار الأوروبي واستقلال زعماء المقاطعات العُمانية بمقاطعاتهم، وغزوات السعوديين على الأقاليم العُمانية للقضاء على الوحدة بينها ومحاولات الإباضيين* في تثبيت الإمامة. ومجمل هذه الأسباب أسهمت في تفكك الوحدة التي حاول السيد سعيد تحقيقها. كما شهدت تلك الفترة تفاقم الصراع الهناوي الغافري* الذي كاد أن يعصف

---

* ترجع **الإباضية** في نشأتها إلى العراق، وسميت بالإباضية نسبة إلى عبدالله بن إباض الذي توفي في نهاية عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٨٦هـ - ٧٠٧م)، وعرف بخروجه عنه . ومن تعاليم الإباضية : أنهم يدينون بخلق القرآن الكريم وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن الثواب والعقاب أبديّان والله يغفر الصغائر ولكن لا تمحو الكبائر إلا التوبة .

انتشرت الإباضية في شمال إفريقية عندما نجح عبد الرحمن بن رستم في تأسيس دولة إباضية في تاهرت عام ١٦٠هـ وكان اليعاربة (١٦٢٢-١٧٤٣) خلال فترة حكمهم قد أسندوا إلى منصب الإمامة السلطات جميعها وأن الإمام يصل إلى منصبه بالانتخاب ، ونال أحمد بن سعيد حاكم صحار منصب الإمامة بعد أن حرر عُمان من الفرس عام ١٧٤١م، إلا أن هذا المنصب آل إلى ابنه سعيد بالوراثة عام ١٧٨٣م وخرج عليه ابنه حامد الذي بدأ حكمه معتمداً على السلطة الزمنية عام ١٧٨٤م تاركاً والده الإمام سعيد بالرستاق لاحول ولا قوة له. انظر: مصطفى بن إسماعيل الإباضي ، الهدية الأولى الإسلامية ، ج١، القاهرة ، د.ط ، ص ٨٠ . وانظر: عبد الله بن محمد الطائي ، تاريخ عُمان السياسي ، ط١ ، مكتبة الربيعان للتوزيع والنشر ، ص ٤١.

* **الحزب الغافري والهناوي** : كتلتان سياسيتان ظهرتا في عُمان في بداية القرن الثامن عشر نتيجة قيام الصراع الأسري بينهما، ومثلتا الصراع الديني الذي يعد امتداداً للصراع السياسي، فالهناويون اعتنقوا الحركة الإباضية =

بدولة البوسعيد في بداية القرن التاسع عشر، وعاش حكام البوسعيد في خطر حركة التوسع الوهابي وكان انحسار ذلك الخطر بفعل التدخل المصري في عصر محمد علي*، الذي حاول التدخل في شؤون الجزيرة العربية والقضاء على أطماع السيد سعيد في التوسع، لكنه اصطدم بأطماع بريطانيا وارتباطها بمعاهدات مع مشيخات الخليج على الساحل منذ عام ١٨٢٠م لتحويله إلى بحيرة بريطانية.

ويحتل الخليج العربي موقعاً متميزاً بالنسبة للعالم، فسواحله الغربية تضم المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية من جهة، وتؤمن الاتصال ببحر العرب والبحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج البصرة من جهة ثانية، لذلك أثّر الموقع الاستراتيجي لعُمان في تاريخها الحديث، وجعلها حلبة منافسة بين الدول الأوربية لتنفيذ سياستها التجارية، وتعرضت لغزو البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين والإنكليز، وحاولت هذه الدول التكتل فيما بينها لإضعاف البحرية العُمانية، وتوقيع الاتفاقيات، أهمها اتفاقية عام ١٧٠٠م بين بريطانيا وفرنسا وهولندا، حيث قُسّمت على أساسها المناطق التي ينبغي أن تسيطر عليها كل دولة، فسيطر الهولنديون على البحر الأحمر والفرنسيون على الخليج العربي والإنكليز على بحار الهند. وبعد انهيار دولة اليعاربة في عام ١٧٤١م شهدت عُمان نمو تشكيلات سياسية جديدة، وهي قوة بحرية بزعامة القواسم* التي اصطدمت بالاستعمار البريطاني خلال القرن التسع عشر. ووصلت دولة البوسعيد إلى أقصى تفوقها وازدهارها في النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث كوّنت إمبراطورية ضخمة امتدت على طول سواحل شرقي إفريقية، وظلّ حكام البوسعيد

واصطدموا مع الغافريين أهل السنة، وهو صورة من صور التعصب التقليدي بين عرب الحجاز العدنانيين وبين اليمانيين القحطانيين، انظر: صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنكلو مصرية، القاهرة، ط١ ١٩٩١م ، ص ٤٦ .

* **محمد علي باشا** : ١٧٦٩– ١٨٤٩ ، يعرف بالألباني، لأنه جاء مع الفرقة الألبانية إلى مصر لطرد الفرنسيين منها وعرف بذكائه ودهائه وتغلبه على الصعاب ، قاد المصريين في الحرب ضد حملة فريزر عام ١٨٠٧م، فكسب رضاء السلطان العثماني ، تخلص من المماليك عام ١٨١١م في مذبحة القلعة ، وأخمد ثورة اليونان ١٨٢٤ – ١٨٢٦ وانتصر على العثمانيين في معركة نزب ١٨٣٩م وختم انتصاراته بموجب معاهدة لندن عام ١٨٤١ وعاد إلى حكم مصر . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٦٦١ . وأيضا : عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي ، ط٣ القاهرة ١٩٥١م، ص ١٠ – ١٢

* **القواسم** : قبيلة عربية موطنها الأصلي نجد ، هاجرت إلى ساحل عُمان في النصف الثاني من القرن السابع عشر واشتغلت بالملاحة، وغدت قوة بحرية متفوقة حتى نهاية القرن الثامن عشر امتد نفوذها بين قطر وخورفكان وأجزاء من الساحل الإيراني من الخليج . انظر : أحمد السامرائي ، القواسم والخليج العربي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٣م ص ١٢٣ . وانظر أيضا: سليمان بن خلف الخروصي ، ملامح من التاريخ العُماني ، ص ١٧٨ .

خلال الفترة ما بين ١٧٨٤-١٨٠٩م يتأرجحون في صداقتهم لفرنسا وبريطانيا أحياناً وبين ما يرتبطون في محالفة إحداهما أحياناً أخرى إلى حدّ سقوط المستعمرة الفرنسية في جزيرة موريس عام ١٨١٠م حيث تقرر مستقبل دولة البو سعيد في علاقاتها بالإنكليز الذين انفردوا منذ ذلك الوقت بالسيطرة على بحار الشرق والتحكم بأسرة البو سعيد.

وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية* تمارس أعمالها التجارية في الهند وسواحل الخليج العربي منذ عام ١٧٦٣م. وبعد ذلك بدأ نشاطهم العسكري والسياسي يرجع إلى النصر الذي حققته بريطانيا على فرنسا بعد حرب السنوات السبع، و بموجب صلح باريس عام ١٧٦٣م حصلت على العديد من المكاسب في أمريكا والشرق، وطردت الفرنسيين من الهند.

إشكالية البحث والهدف من الدراسة:

على الرغم من تفكك عُمان من الداخل، والتحديات التي تعرضت لها من الخارج، فقد تمكّن السيد سعيد بن سلطان أن يمدّ نفوذه إلى شرقي إفريقية ونقل نشاطه ومركز حكمه إلى زنجبار في عام ١٨٣٢م، واتخذ قصر الموتني فيها مركزاً له، وحكم عُمان من شرق إفريقية، وشهد قصر الموتني حياة زاخرة وحيوية ونشاطاً خلال الفترة ١٨٣٢-١٨٥٦م. وتوضّح الدراسة أن عصر السيد سعيد يمثّل قمة الازدهار التي شهدتها عُمان في عهده من خلال إنجازاته الاقتصادية والعسكرية وعلاقاته الخارجية، ومن جهة ثانية بداية الضعف الذي نلمسه من تمزّق دولته بعد وفاته بفترة قصيرة، إذ قسّمها الأوربيون إلى قسمين آسيوي وإفريقي في عام ١٨٦١م، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن البناء الذي حاول السيد سعيد بن سلطان إقامته في عُمان وشرقي إفريقية لم يقوَ على الصمود، وذلك بسبب استمرار التدخلات الخارجية التي تهدف إلى القضاء على المقومات الأساسية للدولة من التكامل الاقتصادي والانسجام الاجتماعي والتنظيم الحكومي والدعم الثقافي والتماسك العنصري.

وانطلاقاً من ذلك فإن مهمة البحث في هذا الموضوع هي دراسة الإشكالية من جوانبها المختلفة من خلال العودة إلى المصادر والمراجع ذات الصلة واعتماد الأسلوب والمنهجية العلمية الصحيحة القائمة على دراسة الأحداث بالاعتماد على الوثائق والدراسات ذات الصلة، وتحليل مادتها

* شركة الهند الشرقية البريطانية: أُسّست في عام ١٦٠٠ بهدف التجارة، وفتحت أول مركز لها في ميناء جسك وفرعاً له في البصرة ١٦١٥م وأنشأت وكالة تجارية في بوشهر ١٦٧٢م وملكت أسطولاً تجارياً وعسكرياً وتصدت للهولنديين، الفرنسيين والبرتغاليين وأبعدتهم عن الخليج العربي والهند وكان لها مقيمون ووكلاء في الخليج العربي. انظر:
James Bruce: Annals of the Honourable East India Company . London . 1810 , P. 121

العلمية للوصول إلى النتائج المرجوّة، وإظهار الجوانب المشرقة من تاريخ عُمان، ولا سيما فترة حكم السيد سعيد بن سلطان المليئة بالأحداث والإنجازات.

ومما دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع هو أن غالبية الدراسات التي تناولت تاريخ عُمان لم تركز على دراسة تفصيلية لمرحلة مهمة شهدتها هذه الدولة وهي فترة السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٦-١٨٥٦م الذي ينتمي إلى أسرة البوسعيد، وبالتالي يمكن تقديم دراسة مفيدة تغني المكتبة العلمية في إبراز الدور الذي أدّته تلك الشخصية الحازمة (السيد سعيد بن سلطان) والطموح والإنجازات السياسية و الإصلاحات الاقتصادية والعلاقات الخارجية التي أسهمت في الانفتاح والتطور الحضاري وعلو شأن أسرة البوسعيد في تلك الفترة، وتوظيف هذه الدراسة لخدمة المرحلة الثانية في فترة حكم أسرة البوسعيد وهي الفترة التي تلت وفاة السيد سعيد بن سلطان في عام ١٨٥٦م وتقسيم أملاك الدولة العُمانية بين أبنائه والنزاعات التي نشبت فيما بينهم، وتسليط الضوء على الدور الأوروبي الذي أدى دوراً مهماً في تلك المرحلة، ووضع الأحداث في إطارها التاريخي والعلمي والمنهجي، لتصبح مادة علمية متجانسة في متناول الباحثين و طالبي المعرفة.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

تتميز فترة البحث بوفرة المصادر والمراجع التي كتبت بلغات متعددة، ولا غنى للباحث عنها، والأمر الذي يثير الانتباه هو غلبة المصادر الأجنبية على المصادر التاريخية العربية والمحلية، وما زخرت به المكتبة البريطانية من الدراسات التاريخية عن عُمان بصورة عامة وفترة الدراسة بصورة خاصة، فضلاً عن اعتماد الدراسات التاريخية التي صدرت عن تاريخ الخليج العربي في العصر الحديث على تلك المصادر، حتى وصل الأمر بالكثير من الباحثين إلى حدّ الاعتماد على الوثائق الأجنبية بشكل واضح.

ويعود السبب في كثرة المصادر والمراجع الأجنبية وتنوعها إلى التدخلات الأجنبية في شؤون الخليج العربي وخضوعه للسيطرة البرتغالية، والهولندية والفارسية، والعثمانية، والبريطانية ، نذكر منها: Miles , The contries and Tribes of Persian Gulf (مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله) ، Badger . Salil Bin Razik . History of the Imams and Seyyids of Oman (بادجر: مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عُمان) وبادجر هو أحد الباحثين في تاريخ عُمان الذي ترجم مخطوط ابن رزيق إلى اللغة الإنكليزية، Kelly , John : Britain and Persian Gulf (جون كيلي، بريطانيا والخليج) ويتناول أطماع بريطانيا في الخليج والاتفاقيات المبرمة بين بريطانيا وعُمان ١٧٩٥-

١٨٨٠م، فضلاً عن كتاب Robin Bedweel (روبين بيدويل: عُمان في صفحات التاريخ)، وكتاب (البوسعيديون حكان زنجبار لعبدالله بن صالح الفارسي) و كتاب (روبرت جيران لاندن: عُمان منذ عام ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً) ، وكتاب (رودلف سعيد روث: السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١-١٨٥٦م حاكم عُمان وزنجبار) و كتاب Lorimer (دليل الخليج الفارسي) ويتكون من قسمين: الأول تاريخي، والثاني جغرافي عرض فيه الأوضاع القبلية والاجتماعية في عُمان خلال القرنين الثاني عشر والتاسع عشر.

كما تزخر المصادر التاريخية المحلية وبخاصة العُمانية منها، بمادة علمية غنية عن دولة البوسعيد، ولا سيما فترة السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٦-١٨٥٦م والدور الذي أداه في تطوير عُمان وازدهارها، ولعل أبرز تلك المصادر والمخطوطات التي وضعها المؤرخ العُماني الشهير حميد بن رزيق والتي تناول فيها تاريخ الأئمة والسادة البوسعيديين، ومنها : كتاب "الفتح المبين في تاريخ السادة البو سعيد"، ومخطوطته الشهيرة " الصحيفة القحطانية" ، ومخطوطة سرحان بن سعيد الآزكوي " كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة " التي تتناول تاريخ عُمان منذ أقدم العصور وحتى نهاية دولة اليعاربة.

ومن المصادر المهمة : "تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان" لنور الدين عبد الله بن حميد السالمي و"جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار" لسعيد بن علي المغيري، و "قصص وأخبار جرت في عُمان" لمحمد بن عامر المعولي ، و"عُمان عبر التاريخ" لسالم بن حمود السيابي، و"عُمان الديمقراطية الإسلامية (١٥٠٠- ١٩٧٠) " لحسين غباش، فضلاً عن الاعتماد على العديد من كتب الدكتور جمال زكريا قاسم، منها : كتاب " الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي" و "دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا" و "تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر" و " أثر الاستعمار الأوربي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرقي إفريقيا" وكتاب " الدوافع السياسية لرحلات الأوروبيين إلى نجد والحجاز"، حيث ركّز الدكتور جمال زكريا قاسم في مؤلفاته على الحياة السياسية في عُمان، وعلاقتها مع فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، والصراع الفارسي العربي. وكتاب" العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام " لـ رجب محمد عبد الحليم، و" تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين" لمديحة درويش ، و كتاب " زنجبار" لصلاح العقاد وزكريا قاسم، و " التيارات السياسية في الخليج العربي" لصلاح العقاد ، وغيرها الكثير . ومما لا شك فيه أن دراسة المصادر المحلية تشغل أهمية كبيرة لدى الباحث التاريخي في تناوله لدراسة تاريخ الخليج العربي حتى تمكنه من الابتعاد عن الاعتماد الكلي على المصادر والوثائق الأجنبية .

أهم الموضوعات التي يتناولها البحث :

جاءت الدراسة لفترة حكم السيد سعيد بن سلطان في عُمان بين عامي ١٨٠٦- ١٨٥٦م تلك الفترة الزاخرة بالأحداث السياسية والإنجازات الاقتصادية، وما تميّز به السيد سعيد بن سلطان من قوة عقل وحسن تدبير سياسي للمشكلات كافة التي اعترضته من الداخل والخارج، ليعمل على تخطّيها، ويحقّق غايته في بناء الدولة الممتدة بين الساحل والداخل، وذلك بعد الإنجازات والتغيّرات الهائلة التي قام بها، ولا سيما نقل مركز حكمه إلى زنجبار شرقي إفريقية، مقسّمة إلى أربعة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول، وهو فصل تمهيدي يمثل الفترة ما بين ١٧٨٤- ١٨٠٦م وهي المرحلة التي سبقت تولّي السيد سعيد بن سلطان الحكم في عُمان، ويتحدث بدايةً عن تاريخ عُمان وحضارتها في العصر الحديث وما تتميز بها من موقع استراتيجي مهم جعلها محط أنظار العديد من الدول الأوروبية، ثم يعرض دراسة للأسباب التي أسهمت في انهيار دولة اليعاربة، وتأسيس دولة البوسعيد على يد أحمد بن سعيد الذي كان والياً على صحار من قِبَل الإمام اليعربي سيف بن سلطان، وتوضيح سياسته الإدارية والصراع الأسري، فضلاً عن دراسة الصراع الهناوي الغافري بين عامي ١٧٨٤-١٨٠٦م، ويسلط الضوء على الأوضاع السياسية في عُمان قبل تسلّم السيد سعيد السلطة من خلال توضيح الموقف الدولي من قيام أسرة البوسعيد والعلاقات مع الوهابيين والقواسم، وصولاً إلى عام ١٨٠٦م العام الذي تم فيه اغتيال السيد بدر ووصول السيد سعيد إلى الحكم.

أما الفصل الثاني، فيتناول دراسة شاملة لفترتي حكم السيد سعيد في عُمان ما بين ١٨٠٦-١٨٤٠م والفترة الثانية ١٨٤٠-١٨٥٦م، والتعريف إلى شخصية السيد سعيد بن سلطان وما أورده الرحالة الأوروبيون ومعاصروه عنه، وتوضيح موقفه من الثورات التي قامت ضده كثورة بني بوعلي وصحار وحركة القواسم المعادية له، فضلاً عن توسعاته في البحرين ورأس الخيمة وحروبه ضد القواسم والوهابيين عام ١٨٠٧-١٨٢٠م ، وتمت دراسة الفترة الثانية وهي فترة حكمه في زنجبار من خلال سياسة تخلصه من المزارعة في شرقي إفريقية وحركتهم التي تهدف إلى الاستقلال عن عُمان من جهة، والسياسة الداخلية التي اتبعها في حكم زنجبار من خلال تشجيعه للتجارة وجعلها تسهم بنصيب كبير في تطوير دخل البلاد وتنشيط الأسطول البحري ، وفتح أسواق خارجية، وإدخاله أنواع جديدة من الزراعات، فضلاً عن دراسة الحياة الاجتماعية بما فيها العادات والتقاليد واللغة والثقافة، والانتقال إلى توضيح دور البعثات التبشيرية في زنجبار في فترة حكم السيد سعيد ١٨٤٠-١٨٥٦م.

ويتناول الفصل الثالث دراسة العلاقات الخارجية للسيد سعيد بن سلطان؛ بادئاً بالعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية التي اتخذت الطابع الاقتصادي، ولا سيما معاهدة الصداقة والتجارة في عام ١٨٣٣م التي وقعها السيد سعيد؛ راغباً في الحصول على مساعدة أمريكية؛ لتقوية نفوذه داخل عُمان، وبالمقابل توسعت الولايات المتحدة في أملاك السيد سعيد في زنجبار، فضلاً عن دراسة العلاقات مع بريطانيا التي تهدف إلى قمع تجارة الرقيق بموجب المعاهدات التجارية التي أبرمتها مع السيد سعيد لتدعيم نفوذها في سلطنة زنجبار وملحقاتها، ثم يتم توضيح طبيعة العلاقة مع فرنسا وكيف قهرت بريطانيا فرنسا، وجعلتها تتراجع عن نشاطها في عُمان والخليج العربي، ومن ثم الحديث عن الوهابيين وغزوهم لعُمان، وموقف السيد سعيد بن سلطان من تدخلاتهم بين عامي ١٨٢٢-١٨٥٦م ، ويسير إلى دراسة حملة محمد علي باشا إلى الحجاز، وأثرها في عُمان بين عامي ١٨٣٠-١٨٣٩م، وينتقل بعد ذلك إلى مطامع الفرس في عُمان وموقف السيد سعيد من التدخلات الأجنبية طيلة فترة حكمه.

وتخصّص الفصل الرابع في دراسة أوضاع عُمان بعد وفاة السيد سعيد من خلال توضيح أزمة الخلافة والصراع بين أبنائه من أجل اقتسام أملاك الدولة العُمانية بشطريها الآسيوي والإفريقي بين عامي ١٨٥٦-١٨٦٦م وهي فترة حكم السيد ثويني بن سعيد ، وأهم ما ورد في هذا الفصل دراسة الأوضاع الداخلية في عُمان بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان و الصراع بين السيد ثويني حاكم مسقط و السيد ماجد حاكم زنجبار وموقف السيد ثويني من قضية فصل عُمان عن زنجبار، وحملته عام ١٨٥٩م لدخولها وتوسيع دائرة نفوذه فيها، ثم الانتقال إلى توضيح موقفه من قرار التحكيم القاضي باقتسام أملاك الدولة العُمانية وموقف الدول الأوروبية ولا سيما بريطانيا من ذلك، وأخيراً توضيح النتائج التي ترتب عليها هذا القرار.

أرجو أن يمثل هذا الجهد المتواضع إضافة جديدة إلى ما تحتويه المكتبة العربية من دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، وأرجو أن يكون قد تم تسليط الضوء على فترة مميزة من تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر.

الفصل الأول (تمهيد)
الأوضاع السياسية الداخلية في عُمان
بين عامي ١٧٤٣-١٨٠٦م

أولاً- لمحة عن تاريخ عُمان حضارياً وجغرافياً:

أدت عُمان دوراً مهماً بين دول الخليج العربي منذ التاريخ القديم ، ومازال مركزاً حضارياً في حاجة إلى اكتشاف تفاصيله ، فقد كان للعُمانيين تاريخ بحري على سواحل المحيط الهندي منذ أقدم الأزمنة ودليل ذلك سفنهم المتنقلة بين الهند وموانئ الخليج، فعُرفوا بين الشعوب من البصرة إلى سواحل الهند ، ونقلوا معالم الحضارة من الهند والبصرة، ومثلما نقل اليونان الحضارة إلى الغرب كان العُمانيون رُسل الحضارة بين الهند والعراق وفارس، ويمتازون عن اليونان بسباقهم في معرفة طرق البحار ومواسم الملاحة ، ونتيجة موقعها بين هذه الحضارات اطلع أهلها على جوانب التقدم، وتمكّنوا من الأخذ بإنجازاتها[١].

وللعُمانيين دور كبير في نشر الحضارة في إفريقية الشرقية فقد ألِفوا الهجرة إليها منذ القدم، والدليل على عراقة الهجرة العُمانية إلى إفريقية هو التجاء سليمان وسعيد ابني عبّاد بن عبد حاكمي عُمان إليها هرباً من بطش الحجاج بن يوسف الثقفي ، فعندما ادعى الأوربيون اكتشاف أنهار إفريقية وأجزائها النائية كان العُمانيون هم روّاد هذه الاكتشافات ومثال ذلك الرحّالة العربي أحمد بن ماجد* صاحب المؤلفات عن طرق البحار وسليل رأس الخيمة (ساحل عُمان) ودليل فاسكو دي غاما على طريق الهند ، وتمتد على سواحلها سهول خصبة من الشمال والجنوب ، شهدت نشاطاً زراعياً مكثفاً ، كما تنتشر الواحات في المناطق الداخلية والمنحدرات الجبلية ، كما وفرت السواحل العُمانية الطويلة وجزرها التي تمتد أمامها مصدراً اقتصادياً ونطاقاً اجتماعياً للسكان منذ القدم وحتى الآن[٢].

وما تزال آثار دولتهم العربية في زنجبار وجالياتهم المنتشرة في هذه البلدان دليلاً واضحاً على أثر العُمانيين الكبير في دفع إفريقية الشرقية إلى ركب الحضارة. وعُرفت عُمان في المراحل التاريخية بأكثر من اسم منها " مجان ومزون وعُمان " حيث يرتبط كل منها ببعد حضاري أو تاريخي: فسميت مجان بسبب شهرتها بصناعة السفن وصهر النحاس، وجاء هذا الاسم حسب لغة

---

(١) عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٧ أجزاء ، الجزء الرابع ، ص ٢٠٦ .

* أحمد بن ماجد بن محمد السيباوي ملاّح وجغرافي عُماني ، برع في الفلك والملاحة والجغرافية ولُقب بمعلم بحر الهند ،وكان خبيراً ملاحياً في البحر الأحمر والمحيط الهندي ونال شهرته في رحلته إلى رأس الرجاء الصالح ومنه إلى الهند، وساعد فاسكو دي غاما لاكتشاف الطريق الجديد الموصل إلى الهند. انظر: علي عبدالله الدفاع، روّاد علم الجغرافيا في الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٣٤

(٢) جون غوردون لوريمر ، دليل الخليج ، أربعة أجزاء ،الجزء الأول ، القسم التاريخي ، ص ١١ . و عبدالله بن محمد الطائي، تاريخ عُمان السياسي ، ص ١٠ .

السومريين بسبب العلاقات التجارية التي تربطها بهم[1] ، أما مزون فارتبط بوفرة الموارد المائية في عُمان والمُزن هو السحاب ذو الماء الغزير المتدفق وهذا يفسر ازدهار الزراعة في عُمان منذ القدم[2]، وسميت عُمان نسبة إلى عُمان بن ابراهيم الخليل عليه السلام، وقبل ذلك سميت نسبة إلى عُمان بن سبأ بن يغثان بن إبراهيم[3]، وكانت منذ القدم موطناً للقبائل العربية التي قدمت إليها وسكن بعضها السهول واشتغلت بالزراعة والصيد، واستقر البعض في المناطق الداخلية والصحراوية، واشتغلت بالري وتربية الماشية.

أما من الناحية الجغرافية فتقع عُمان في القسم الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وتمتد حدودها الجغرافية، تاريخياً ١٧٤١م إلى شبه جزيرة قطر، وتفصلها عنها رمال بينونة، وتفصلها صحراء الربع الخالي من جهة الغرب عن بقية مناطق شبه الجزيرة العربية ، وتمتد جنوباً حتى حضرموت ، كما تمتلك حدوداً شاطئية كبيرة تطل على مسطحات مائية واسعة تعبرها خطوط التجارة الدولية البحرية بين الشرق والغرب كبحر العرب وخليج عُمان والخليج العربي[4] ، وقد ساعد الموقع الجغرافي المتميز في تفعيل دور عُمان في النشاط التجاري العالمي ولم يقتصر دور عُمان في هذا المجال على تقديم الخدمات اللازمة للسفن العابرة في موانئها " مسقط ، وصور ، وقريات، وقلهات، وصحار * ، وخورفكان، وجلفار أو رأس الخيمة حالياً؛ بل إن العُمانيين أنفسهم؛ ولاسيما سكان السواحل كالقواسم أدّوا دوراً كبيراً في تنشيط التجارة ونقل البضائع من شرقي آسيا وجنوبها وشرقي إفريقية إلى البحر المتوسط وأوروبا عبر الخطين التجاريين؛ أولهما : خط الخليج العربي إلى العراق ، حيث تُنقل منه البضائع إلى سواحل بلاد الشام والسواحل الأوروبية ، وثانيهما : خط بحر العرب إلى

---

(١) قصي منصور التركي ، الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالث قبل الميلاد ، دار صفحات للدراسات والنشر ، ٢٠٠٨م ، ص ١٣٢ .

(٢) حميد بن محمد بن رزيق ، الصحيفة القحطانية ، مج٢ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عُمان ٢٠٠٩م ص ١٧٢

(٣) سرحان بن سعيد الآزكوي ، تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق : عبد المجيد حسين القيسي الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م ، ص ٢٤.

(٤) رجب محمد عبد الحليم ، العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مسقط ١٩٨٩م ، ص ٢٠ ، و مؤيد باسم حمزة، القواسم وعلاقاتهم الإقليمية والدولية، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق ٢٠٠٩ – ٢٠١٠ م ، ص ١٤ م.

* **ميناء صحار**: يقع على ساحل الباطنة ويبعد حوالي مئة ميل شمال غربي مسقط، ويعود حكّام البوسعيد بأصولهم الأولى إلى أحد ولاة ذلك الميناء وهو الإمام (أحمد بن سعيد) . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٧ ، ص ٢٣٩٨ .

مضيق باب المندب والبحر الأحمر والسويس إلى الإسكندرية على البحر المتوسط ومنها إلى السواحل الأوربية والمغرب العربي[١].

وأدّت المواجهة المستمرة بين عرب عُمان والفرس على الخليج العربي إلى جعل العُمانيين يحرصون على استقلالهم، وعلى الاعتزاز بعروبتهم وأصالتهم اعتزازاً كبيراً ، حيث استكمل العُمانيون النصر على الفرس بنزولهم في أرض بلاد فارس نفسها، واقتطعوا العديد من أملاكها ، وشهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٦٢٤ – ١٧٤١ فترة حكم دولة اليعاربة* والتي مثلت نظام الإمامة* بشكل واضح بعد تخلّصهم من النباهنة *هؤلاء الذين تميّزت فترة حكمهم بالصراع والتنافس على السلطة مع تيار الإمامة الإباضية، واستبدوا بأملاك الدولة حتى أطلق عليهم العُمانيون اسم الجبابرة والطغاة والمستبدين وما إن جاءت الكشوف الجغرافية حتى اشتد الصراع بين ملوك النباهنة وتركز وجودهم في المناطق الداخلية من عُمان، ولم تكن لهم سلطة على المناطق الساحلية من حضرموت إلى قطر وكانت قبائل الجبور والقواسم وبني منجوة صاحبة السلطة المحلية على الأرض في تلك السواحل[٢] .

---

[١] محمد مرسي عبدالله ، إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ – ١٨١٨ ، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨ ، ج١ ، ص ١٧ – ١٨.

* **اليعاربة :** مفردها يعربي ، وهي قبيلة غافرية من الإباضيين في سلطنة عُمان، وقد كانت قوية، ولكنها ضعفت سنة ١٨٨١م وتقسمت إلى أجزاء صغيرة ، يوجد بعضهم الآن في نخل وفي طوية والحجر الغربي ، وفي طيخة وفي الحزم وكان حكام عُمان في الفترة ما بين ١٦٢٥– ١٧٤٤م ينتمون إلى قبيلة طيخة التي يبلغ عدد اليعاربة فيها ٨٠٠ نسمة لكن نفوذهم أخذ بالضعف بعد هذا التاريخ، واضمحل نهائياً عندما استولى السيد عزان بن قيس سنة ١٨٧٠م على الحزم بعد حصار دام تسعة أشهر . لوريمر، دليل الخليج القسم الجغرافي ، ج٧ ، ص ٢٥٦١ .

* **نظام الإمامة :** هي تولي رجل من أهل العلم وأهل الدين من قبل علماء الإباضية، وذلك بترشيحه بشرط أن يكون ذا أخلاق حميدة وبأت مع انتخاب سالم بن راشد الخروصي إماماً في عام ١٩١٣م، وقامت دولة الإمامة في المنطقة الداخلية في عُمان، واتخذت من نزوى عاصمة لها، وانتهى هذا النظام في عام ١٩٥٧م بعد قيام نظام السلطنة وفرار الإمام غالب بن علي الهنائي إلى السعودية . الطائي ، تاريخ عُمان السياسي... ، ص ١٥ .

* **النباهنة :** ينتمي النباهنة إلى قبيلة العتيك العربية الأزدية العُمانية التي تنتهي بنسبها إلى يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام وإليها تنتسب أسرة المهالبة التي ينتمي إليها القائد العربي المسلم العُماني المهلب بن أبي صفرة . سليمان بن خلف بن محمد الخروصي ، ملامح من التاريخ العُماني ، مكتبة الضامري ، عُمان ٢٠٠٢م ، ص ٢٤٤

-[٢] عبد القوي فهمي ، القواسم ونشاطهم البحري ١٧٤٧– ١٨٥٣م ، رأس الخيمة ، ١٩٨٣م ، ص ١٠ .

ثانياً – قيام دولة البو سعيد في عام ١٧٤٣م

١. انهيار دولة اليعاربة:

قبيلة عربية يرجع نسبها إلى عدنان، اغتنم أحد زعمائها، وهو ناصر بن مرشد فرصة طرد البرتغاليين من هرمز عام ١٦٢٢م، وأعلن الثورة ضدهم، ويُعدّ مؤسس دولة اليعاربة التي حكمت خلال الفترة ١٦٢٤–١٧٤١م، وكتب اليعاربة صفحة مشرقة في تاريخ العرب الحديث، وملكوا أكبر قوة بحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي. ولم يقتصر صراعهم مع البرتغاليين، بل مع الفرس[١]الذين حاولوا أن يحتلوا عُمان بعد هزيمة البرتغاليين في هرمز، فتصدى لهم الإمام ناصر وطردهم من جلفار (رأس الخيمة) وكان نضال اليعاربة في ظروف قاسية، منها: تفكك عُمان حيث كانت بعض مدنها كـ (أزكى وبهلى) في أيدي حكام من أهلها، وكانت المناطق الساحلية بيد الفرس وأخرى بيد البرتغال[٢]، ومع جشع الفرس وقسوة البرتغاليين أدى إلى إحياء منصب الإمامة، لأن العامل الديني يساعد على الثبات ويوجه الشعور الوطني ضد الغزاة البرتغاليين.

وتسرّب الضعف إلى هذه الدولة منذ أن فقد الإباضيون القدرة على عقد البيعة بالإمامة إلى الرجل الصالح لهذا المنصب، وبدأ الحكم ينتقل بالوراثة منذ عام ١٦٦٨م، وهو مخالفٌ للأساس الذي قامت عليه دولة اليعاربة وهو إحياء الإمامة. كما ظهر الصراع الأسري على السلطة والنفوذ، ومهّد إلى تكتل الإباضيين على أساس النزعة القبلية إلى كتلتين، عرفت الأولى بالغافرية وهدفها استمرار حكم اليعاربة، وعُرِفت الثانية بالهناوية ومثلت المعارضة لحكم اليعاربة، وبدأ الصراع بينهما في عام ١٧١١م، وبلغ أشده في عام ١٧٢٨م، وقُتِل فيه زعيما الكتلتين (محمد ابن ناصر الغافري – وخلف بن مبارك الهناوي)، وكان الأول زعيم القبائل الشمالية، والثاني زعيم القبائل الجنوبية. ولم تخرج البلاد من هذه المعمعة* إلا بانتخاب الإمام ناصر بن مرشد أبي العرب اليعربي* عام ١٦٢٤م إماماً

---

[١] نور الدين السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عُمان، ج٢، ص١٦.

[2] Badger . History of the Imams and Ceyyids of Oman , by Salil Bin Razik (from A.D.661-1856). London 1871. P . 54.

* المعمعة معناها القتال (شدة القتال)

* **ناصر بن مرشد اليعربي** : أُطلق عليه (رجل الإجماع والخلاص الوطني)، تم ترشيحه وانتخابه على يد مجموعة من العلماء والوجهاء الإباضيين، ليكون حاكماً لعُمان وله من العمر ٢١ عاما تقريباً . محمد صابر عرب إبراهيم ، دولة اليعاربة بين الوحدة الوطنية والانتصارات الخارجية ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، العدد ٣٧،١٩٨٠م ، ص ١٩١ .

لعُمان. وأعلن هذا الإمام توحيد الجبهة الداخلية، كما أعلن الجهاد ضد البرتغاليين وخاض حرباً كبيرة حتى تمكّن خليفته الإمام سلطان بن سيف بن أبي العرب العربي* ١٦٤٩- ١٦٨٠م بعد خمس عشرة سنة من الجهاد المنظم أن يحقق نصراً على البرتغاليين، وتمّ طردهم من عُمان وتعقبهم في المحيط الهندي، وهكذا رفعت دولة اليعاربة راية الجهاد المقدس لتحرير أراضيها من الاحتلال البرتغالي، وأدّوا دوراً كبيراً في ازدهار عُمان (١)، كما رفعوا من شأنها، وغدت عُمان دولة كبيرة لها أسطولها الضخم، فنالت احترام الشعوب، وخلّدت نشاطها الوطني في المجالات جميعها، وحصّنوا السواحل العُمانية بمجموعة من الأبراج والقلاع وأنشؤوا أفلاجاً عديدة، وأسسوا مدناً زاهرة، إلا أن التنازع بين الحكام بدأ في سنة وفاة الإمام ناصر ١٦٤٩م من خلال محاولة كل حاكم الاستقلال بمقاطعته(٢).

وحدثنا ابن رزيق عن مقدار التفكك الذي آلت إليه عُمان ولم يكن لخلفاء الإمام ناصر ما كان لديه من الدهاء والقوة؛ لذلك نما الضعف بعد وفاته والشيء الذي يثير الانتباه لدارس تاريخ اليعاربة وتاريخ البوسعيد هو مقدرة الحكام على معالجة مشكلاتهم الخارجية بقوة وجدارة ووقوفهم عاجزين أمام المشكلات الداخلية فهذا ما حدث في عهد الإمام اليعربي سلطان بن سيف الثاني* ١٦٩٢- ١٧١١م الذي تمكّن من السيطرة على ساحل شرق إفريقية ومناطق على ساحل الهند ولم يتمكّن من السيطرة على كامل عُمان بسبب ثورات القبائل من جهة والحروب الأهلية واستمرار الصراع الأسري من جهة أخرى(٣).

وهذا حدث في عهد السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٦- ١٨٥٦م أعظم حكام البوسعيد؛ إذ سيطر على زنجبار ونقل عاصمته من مسقط إليها وحكم عُمان من قصر الموتني في تلك الجزيرة، ومع

---

* **الإمام سلطان بن سيف** : خليفة ابن عمّه الإمام ناصر شارك في المرحلة الأولى من حياته في بناء الدولة اليعربية، وكان مشهوراً بحكمته وإرادته . السالمي ، تحفة الأعيان، ج٢ ، ص ١١٨ .

(١) – الطائي ، تاريخ عُمان السياسي ، ص ٢٠.

(2) Ruete , Rudolf Said , The Albu Said Dynasty in Arabia and East Africa . (Lecture given to a joint meeting of the Royal Asiatic and central Asian societies . July 1.1929 . Reprinted from the Journal of the central Asian Society . VoL . XVI . 1929. P . 32.

* **الامام سلطان بن سيف الثاني** : ١٦٩٢- ١٧١١م ، خليفة ابن عمه الإمام ناصر شارك في المرحلة الأولى في بناء الدولة اليعربية وكان مشهوراً بحكمته وإرادته عرف بتشجيعه للزراعة وبناء الأسطول الذي زاد عدد قطعه عن ٢٨ سفينة كبيرة بالإضافة إلى مئات المراكب التجارية ونقل العاصمة من نزوى إلى الرستاق وتم في عهده السيطرة على ممباسة في شرق إفريقية . السالمي ، تحفة الأعيان ، ج٢ ، ص ١١٨.

(3) Badger . History of the Imams and Ceyyids of Oman . P . 54.

ذلك وقف عاجزاً عن السيطرة على ساحل عُمان الذي ساد فيه القواسم . ونفسر الصراع الذي دار بين الهناويين والغافريين بأن النزعة القبلية فاقت العقيدة الدينية، وأبعدت منصب الحاكم عن عقد البيعة له بإجماع الإباضيين الذين انقسموا إلى مؤيد للإمامة ومعارض لها، ولعلّ تضخم ذلك الانقسام ناجم عن عدم وجود سلطة مركزية قادرة على حسم الموقف، وابتعدت الفئة التي رشّحت الإمام سيف بن سلطان لاعتلاء منصب الإمامة عن مبدأ الإباضيين في انتخاب الإمام، ومنذ عام ١٧١٣م بدأ ظهور السلطة الزمنية في عُمان وابتعادها عن الإمامة الإباضية، ويتساءل الباحث في ذلك الانقسام، هل العنصرية القبلية حازت كفّة أرجح؟ أم أن الصراع الأسري الذي اشتد عوده مع ظهور الصراع الهناوي الغافري* كان له الدور الأول في عزل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية؟.

ويمكن إبراز العوامل التي أسهمت في سقوط دولة اليعاربة كالآتي :

١- تركت الحروب الأهلية داخل عُمان، والتدخلات الخارجية في شؤونها كالتدخل الفارسي أثراً سلبياً في الأوضاع العامة فيها ، وانتشرت الفتن والاضطرابات الداخلية ، وأكد غالبية المؤرخين على دور بلاد فارس في إضعاف القوى المحلية العربية في منطقة الخليج العربي، وخاصة في فترة الحروب الأهلية داخل عُمان، وتوجيه طلب المساعدة من قبل الإمام سيف بن سلطان الثاني إلى نادر شاه، وحرص الفرس على العلاقات التحالفية مع القواسم؛ رغبةً منهم في إعلان حياد البحرية القاسمية وما يمكن أن تؤديه من دور خطير في إعاقة حركة التجارة الفارسية في الخليج العربي من جهة ، ومواجهة العُمانيين الذين كانت لهم التطلعات الخاصة للسيطرة على جزر الخليج وبعض المدن الساحلية الفارسية كـ بندر عباس[١].

٢- شكل القواسم قبل عام ١٧٤١م جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي في عُمان، كما أدّوا دوراً كبيراً ومؤثراً في الأحداث التاريخية التي شهدتها قبل انفصالهم عنها وإقامة دولتهم المستقلة على ساحل عُمان، وكان لهم مساهمة حقيقية في الدفاع عن عُمان ضد الأخطار الخارجية وهي طرد البرتغاليين من السواحل العُمانية في عهد اليعاربة، وكان ذلك بعد تعايشهم مع نظام الإمامة الإباضية العُمانية حيث إنهم شكّلوا قوة سياسية وعسكرية لها وزنها الثقيل وسط الحزب الغافري؛ ولاسيما بعد مبايعة محمد بن ناصر الغافري إماماً على عُمان وخوضهم

* اتخذ الفافريون العلم الأبيض ، والهناويين العلم الأحمر .

[١] – أحمد السامرائي ، القواسم والخليج العربي ،ط١ ، بغداد ١٩٧٣، ص ١٣٢.

الحروب الأهلية المدمرة التي تعرّضت لها عُمان في أواخر عهد اليعاربة ١٧٢١ – ١٧٤١م[1].

٣– شهد العصر الذهبي لدولة اليعاربة ظهور الدين في الحياة السياسية؛ لأن العامل الديني يساعد على الثبات في الموقف النضالي، ويوجه الشعور الوطني ضد الغزاة، حيث تداخل المفهوم السياسي والمفهوم الديني الوحدوي تحت شعار : توحيد الجبهة الداخلية وتحرير عُمان من الاستعمار البرتغالي . حيث أدّى علماء الدين من المذهب الإباضي دوراً أساسياً إلى جانب الحكام السياسيين الممثلين بالإمامة في اختيار الأئمة ، وتدخلوا في الأمور المهمة في الدولة، وهدفوا إلى المصلحة العامة والعدل ، وشكّلوا الجهاز الرقابي على تصرفات الأئمة ، لأنه حسب مذهب الأئمة الإباضيين يتم اختيار الإمام بالانتخاب حسب الأكفأ. أما انتخاب الإمام أو الحاكم فكان يتم من الشعب مباشرة ، " على مبدأ الدول الديمقراطية الغربية " ونال الشعب حقّ الانتخاب بشكل حرّ ومباشر[2] ، لكن هذا الوضع قد تغيّر في أواخر أيام اليعاربة وأدى إلى نشوب الصراع الداخلي والحرب الأهلية في عُمان بسبب غياب الوعي السياسي الكامل لدى العامة ، وتفضيل مبدأ الحكم الوراثي على مبدأ الشورى والانتخاب .

٤– كان لسقوط دولة اليعاربة أثر كبير ليس على الاستقرار الداخلي والازدهار الفكري والاقتصادي على عُمان فحسب؛ بل أدّى أيضاً إلى اختفاء الأسطول اليعربي العُماني الذي كان عامل أمنٍ واستقرار وحماية من أطماع الاستعمار الأوربي ، وأدى أيضاً إلى تنافس الدول القوية للسيطرة على عُمان وخاصة بريطانيا التي أدّت دوراً كبيراً في الأحداث السياسية داخل عُمان في إقامة مستعمرات عسكرية لتملأ فراغ الحروب الأهلية الذي خلّفته دولة اليعاربة، وإعادة علاقاتها مع شرقي إفريقية تحت الحماية البريطانية [3].

٥– ونتيجة للنجاح السياسي الذي حققه اليعاربة في عُمان في عصر قوتهم والمكاسب السياسية والعسكرية والاقتصادية التي حققوها منذ قيام دولة اليعاربة في عام ١٦٢٤م وحتى بداية

---

[1] – صالح العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧– ١٨٢٠م ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ١٩٧٦م، ص ٥٢ – ٥٣ .

[2] – عائشة السيار، دولة اليعاربة ، دار القدسي ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص ١٣٥.

[3] – السيار، دولة اليعاربة... ، ص ١٤٤ ، أيضاً: عبد المالك خلف التميمي ، الخليج العربي والمغرب العربي " دراسات في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي " ، دار الشباب للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ٤٥– ٤٦ .

الحرب الأهلية العُمانية في عام ١٧٢١م ، كان ذلك بداية رسم مستقبل القواسم والقبائل الحليفة لهم في ساحل عُمان ، وعندما أدرك القواسم أهمية امتلاك عناصر القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية في تأدية دور محلي وإقليمي في منطقة الخليج أدركوا مدى خطورة الصراع بين تيار الإمامة الإباضية من جهة، وتيار الملوك الجبابرة من جهة أخرى على وحدة الدولة العُمانية واستقرارها [(١)]، لذلك تولّدت لديهم الرغبة في الابتعاد عن هذا الصراع والانفصال بساحل عُمان، وإقامة دولة مستقلة لهم على يد زعيمهم رحمة بن مطر القاسمي ١٧٤١م*؛ مستغلين في ذلك ضعف دولة اليعاربة وسقوطها وقيام دولة البو سعيد.

---

(١) – التميمي ، الخليج العربي والمغرب العربي ... ، ص ١٢٣ . و خالد بن محمد القاسمي ، التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الإمارات العربية المتحدة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ط٢ ، ١٩٩٩م ، ص ٩٠ .

* **رحمة بن مطر القاسمي :** ١٧٢٢ – ١٧٦٠م أول زعيم بارز للقواسم ، أسهم في دعم الإمام محمد بن ناصر الغافري ضد الهناوية في عُمان . صالح بن مرعي القرني ، الحملات البريطانية ضد القواسم ١٨٠٥ – ١٨٢٠ م ، مكتبة الفلاح ط١ ، العين ٢٠٠٣م ، ص ١٤٩ .

٢. تأسيس دولة البوسعيد (الإمام أحمد بن سعيد)

امتد الصراع الأسري من دولة اليعاربة إلى دولة البوسعيد، وظهر ذلك في عهد مؤسسها الإمام أحمد بن سعيد الذي اشتد ساعده، واستطاع القضاء على منصب الإمامة ، ومهد لمجيء الوهابيين ، وقام بنقل العاصمة من الداخل إلى مسقط على الساحل ، و ذكر ابن بشر أن السيد أحمد قدم المساعدات للدول الأجنبية للوصول إلى عُمان والتي كانت إحدى الأسباب في نقل العاصمة إلى زنجبار ١٨٣٢م[١] ، كما تمكن من إعادة توحيد البلاد وتوطيد أركان الدولة وإخماد الفتن الداخلية وإنشاء قوة بحرية كبيرة إلى جانب أسطول تجاري ضخم ، كما أعاد لعُمان دورها بين دول الخليج والدليل على ذلك أنه قام بإرسال قوة بحرية كبيرة إلى شمال الخليج لفك الحصار عن البصرة بعد استنجاد الدولة العثمانية به ، فكافأهم السلطان العثماني بخراج سنوي استمر إلى أيام دولة السيد سلطان بن السيد أحمد ، وعندما أسند ولاية نزوى إلى ابنه سعيد تمرّد ولداه سيف وسلطان رداً على هذه الحظوة التي نالها أخوهم سعيد منه ، وسيطرا على حصون مسقط في عام ١٧٨١م وطردا قوات والدهم منها[٢]، فردّ الإمام على ذلك، واتجه من الرستاق* إلى مسقط وتحارب مع ولديه، وضرب حصن بركا بالمدافع فتدخل قضاة الرستاق لإجراء الصلح بينهم حتى هدأت الأحوال، وتوقف القتال الذي عاد عندما قبض كل من الأخَوين سيف وسلطان على أخيهما سعيد وأودعاه سجن مسقط حتى أنقذه أحد عبيده من جنود الحرس.

وقام سيف بن سلطان اليعربي الذي كان نائباً لوالي منطقة نخل بتقديم المساعدة للأخوين سيف وسلطان وعندما علِم الإمام أحمد بذلك جهز حملة كبيرة بقيادته، وهاجم نخل، ودمّر حصنها ١٧٨١م. واستغل شيخ القواسم فرصة وجود الإمام أحمد بن سعيد في نخل، فجهز حملة لمهاجمة الرستاق،

---

[١] – عثمان بن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، الجزء الأول ، تحقيق : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ط٤ ، ص ٢٦٣ .

[2]- Badger , Salil Bin Razik , History of the Imamsand Seyyids of Oman . P.L . III.

وانظر : حسين غباش ،عُمان الديمقراطية الإسلامية (تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠ – ١٩٦٠)، ص ١٠٨ ، من دون معلومات عن النشر والطباعة.

* **الرستاق:** تشتمل على بلدان جمّة من أفخر بلاد عُمان ، أحاطت بها الجبال من كل الجهات وتتخللها الأودية ويمتد واديها إلى الباطنة ولها توابع، وسوقها كبيرة وأنهارها غزيرة . أبو سليمان محمد بن عامر المعولي ، قصص وأخبار جرت في عُمان ، تحقيق سعيد الهاشمي ، ط١ ، مسقط ٢٠٠٧م ، ص٢٥٨.

ووصلت أنباء هذه الحملة إلى الإمام أحمد الذي اضطر إلى إنهاء القتال في نخل والعودة سريعاً إلى الرستاق لمهاجمة القواسم وصدهم عنها(١).

واستمر مؤسس الدولة في التصدي للثورات والفتن التي قامت ضده منذ بداية عهده حتى وفاته عام ١٧٨٣م وأصبح ابنه سعيد حاكماً لعُمان، إلا أن الابن لم تكن لديه شخصية والده الحازمة لذلك تمرّد حامد ضدّه، وكان سعيد طموحاً إلى حكم مدينة مسقط إلا أن والده أسند ولايتها إلى محمد بن خلفان* البوسعيد فلجأ حامد إلى خدمة والده واسترضائه، ورسم خطة سيطر من خلالها على مسقط في عام ١٧٨٤ م وبدأ بتوطيد حكمه من خلال زيادة عناصر الجيش، وبنى برجاً بالحصن الغربي في مسقط وشيّد قلعة في روى وأخرى في شنه في حصن بركا وأمر بصنع المركب المسمى بـ الرحماني* وأسند إلى محمد بن رزيق إدارة الجمارك، كما أنه لم يجرّد والده من لقب الإمامة فاستمرت قائمة في الرستاق اسماً من غير ممارسة سلطة أو نفوذ، واتخذ لنفسه لقب السيد وجعل مسقط عاصمة له(٢).

وكان تمرّد السيد حامد ضد والده أحد أسباب انقسام عُمان إلى قسمين سياسيين هما : عُمان الداخل وعُمان الساحل، ولم يتمكن سيف من الإطاحة من حكم السيد حامد من خلال الثورة التي قادها ضده فاضطر للهرب إلى إفريقية، فلاحقه السيد حامد إلى لامو، وعندما وصل إليها وجد عمه ميتاً فعاد إلى عُمان ، وتصدّى له عمّه سلطان الذي جاهره العداء بسبب ملاحقته لسيف في إفريقية،

---

(١) – سرحان بن سعيد الآزكوي ، تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة لأخبار الأمة ، تحقيق : عبد المجيد القيسي ط٤ ، ص ١٥٤ .

* **محمد بن خلفان بن محمد البوسعيدي** : عاش في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين ، كان والياً وعرف بالوكيل ، تولى مسقط من قبل السيد سعيد بن أحمد بن سعيد البوسعيدي . حميد بن محمد بن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ، مسقط ١٩٨٦م، ص ١٤٥.

* **مركب الرحماني** : سفينة حربية عُمانية قادها هلال ابن الإمام أحمد عام ١٧٥٦م على رأس عشر سفن حربية ، وهاجم السفن الفارسية التي كانت تحاصر ميناء البصرة حيث قطعت السلاسل الحديدية الغليظة التي نصبها الفرس وحررت البصرة من الحصار . محمد علي الصليبي ، عُمان ودورها الريادي بين حضارات العالم القديم ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٩٠م ، ص ٣٢٠ .

[2]- Bombay Government Selections from the Records of Bombay VoL . No.XXIV ,P. 20

وشكل قوة مؤلفة من عناصر غافرية، واستولى على حصن سمائل*، والتقى قوات السيد حامد في دارسيت*، فهزمها ولاحق فلولها إلى المطرح*، فاضطر السيد حامد إلى توقيع الصلح مع عمّه سلطان، وجاء فيه ولاية سلطان على سمائل، واستمر الصلح قائماً بينهما حتى وفاة السيد حامد في عام ١٧٩٢م على إثر إصابته بمرض الجدري[١]، وبعد وفاة السيد حامد قام والده بتعيين ابنه أحمد والياً على مسقط وعلي بن هلال والياً على بركة، ليعيد الإمامة إلى هيبتها، كما أحبط محاولة أخيه سلطان الذي سارع باحتلال حصون مسقط، واستولى على حصني بركا والمطرح، وأرسل قواته إلى السويق والمصنعة لفرض نفوذه عليهما، فعاد سلطان إلى بركا في الوقت الذي كان به قيس بن الإمام أحمد والياً على صحار وحاول التقدم إلى مسقط، ومنعه من ذلك سيطرة أخيه سلطان عليها[٢]. وجاءت محاولة سلطان التي حرّض بها قيساً على سعيد ليتخلص من أحد منافسيه على السلطة؛ لذلك وجّه قيس تهديداً للإمام سعيد بأنه سوف يحتل الرستاق فيما إذا تقدم باتجاه مسقط ، كما دعا سلطان إلى اجتماع عائلي في بركا عام ١٧٩٣م وكانت نتيجته بقاء الإمام سعيد في الرستاق ، وولاية صحار لأخيه قيس، وتكون لسلطان السيادة على باقي عُمان وعاصمتها مدينة مسقط [٣] وكان كلٌ من الإمام سعيد وقيس على إدراك تام بنوايا أخيهما سلطان ، لذلك طلب الإمام سعيد من محمد بن خلفان الذي كان والياً على مسقط، قبل تمرّد السيد حامد أن يعود لممارسة مهمته في مسقط وأن يشكل قوة لطرد قوات أخيه سلطان منها ، لكن سلطان لجأ إلى الدهاء، وقاد

---

* **حصن سمائل** : يعود تاريخه إلى ولاية سمائل في سلطنة عُمان لأكثر من ٣٠٠ سنة ، تبلغ مساحته أكثر من ١٠ آلاف متر مربع ويتكون من ثمانية أبراج دائرية ونصف دائرية تستخدم في الدفاع عن الحصن ويقع الحصن، على= الضفة اليمنى لوادي سمائل في سلطنة عُمان . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، الجزء ٦ ، ص ٢١١٨ .

* **حصن دارسيت** : بلدة كبيرة تقع على الساحل ، يعمل معظم سكانها بمهنة صيد الأسماك، يحيطها من الشمال ميناء قابوس مطرح ومن الجنوب ميناء الفحل والقرم تشترك معها بالشريط الساحلي يفصل بينهما الجبل ، ذات مرقع متميز. الصليبي ، عُمان ودورها الريادي ... ، ص ٢٤٣.

* قلعة **مطرح** : أحد القلاع التي تقع على قمة هضبة صخرية ضيقة وهي الممر الوحيد الذي يصل بين مطرح ومسقط تتكون من ثلاثة أبراج دائرية برج كبير يقع في القمة وبرجان أصغر حجماً وتعد مدينة مطرح أكبر مدن السلطنة وأهمها من الناحية التجارية . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ١٥١١ .

(١) – الآزكوي ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ... ، ص ١٥٥ .

(٢) – ابن رزيق، الفتح المبين... ، ص ٤٢٧ .

3- Miles ,S.B, The contries and Tribes of Persian Gulf .Vol 1 .London . 1919. P. 283.

قوات كبيرة إلى مسقط بعد أن كسب ثقة بدر بن سيف وألقى القبض على محمد بن خلفان البوسعيد وانتزع منه الحصن الغربي[١].

في هذا الوقت عقد الإمام سعيد اجتماعاً في الرستاق حضره قيس وواليه على مسقط محمد ابن خلفان واتخذ قراراً جماعياً وهو إعلان الحرب ضد سلطان ، وبعد أن علِم سلطان بهذا الاجتماع والقرار الذي توصلوا إليه شكّل قوة كبيرة للتصدي لمنافسيه لكن محاولته باءت بالفشل ، فاتبع أسلوب الخدعة وتظاهر لخصومه بأن قواته تفوق قواتهم عدداً وعُدة، فعادت قوات قيس إلى صحار وقوات الإمام سعيد إلى الرستاق، تاركة قلة من جنود سلطان في الجبال بين روى ودارسيت[٢] . فطمع بدر بن سيف بالاستيلاء على الحصن الشرقي بمسقط، لذلك نشب الصراع بينه وبين عمه سلطان، وبدأ هذا الصراع عندما خرج بدر ومعه ماجد بن خلفان من قرية صبرا في وادي المعاول ، وكان السيد سلطان قد وضع حصن مسقط الشرقي تحت إمرة عبد أعتقه سيف ابن الإمام اسمه كومبو[٣]؛ حيث طلب بدر من كومبو فتح باب الحصن في عام ١٧٩٤ فرفض طلبه رغم أنه أغراه بكثير من الأموال، ويعود ذلك إلى خوف كومبو من سيده أو إلى إخلاصه له، وبعد تلك المحاولة عاد بدر إلى بلدة عجمان، وحلّ ضيفاً على راشد بن حميد النعيمي الذي أحسن وِفادتَه، ومنها اتجه إلى الدرعية لطلب النجدة من الوهابيين ضد عمه سلطان، وقضى فترة زمنية في الدرعية، واعتنق الدعوة السلفية، ونال المساعدة من أمير الوهابيين[٤].

وعندما اتجه إلى عُمان وجد عمّه" سلطان" قد قُتل على يد القواسم عام ١٨٠٤م وعمّه قيس استعد لضرب الحصار على مسقط متقدماً إلى صحار، وراسلته عمته موزة، وطلبت منه التخلي عن الوهابيين والتقدم إلى مسقط لرد عمّه قيس عنها، كونه منافساً له على السلطة ورغم إطاعته لأوامر عمته موزة فلم يتخلَ عن الوهابيين، وتقدّم إلى مسقط، فعلِم قيس بقدومه على رأس قوة وهابية عُمانية، فاضطر إلى التراجع نحو صحار[٥].

4- Patricia Risso . Omans Muscat an early Modern History . London .1986. P. 170.

(٢) غباش ، عُمان الديمقراطية الاسلامية ..... ، ص ١٠٩ .

(٣) – ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٤٣٤.

(٤) – عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥ – ١٢١٩هـ/ ١٨٠٢ م . و ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٤٢٧ .

(٥) – عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، ج ١ ، ص ١٢٢– ١٢٤ . و عبد الرحيم بن عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى ١١٥٨ هـ – ١٢٣٣ هـ / ١٧٤٥م – ١٨١٨م ، ط٤ ، القاهرة ١٩٨٢م ، ص ١٠٩ .

وبعد وفاة السيد سلطان انقسم البيت الحاكم إلى معسكرين متصارعين، المعسكر الأول بقيادة قيس ابن الإمام أحمد ومركزه صحار، وانضم إليه الإمام سعيد وأخوه محمد وعلي بن هلال ومعظم ظواهر عُمان[١] . أما المعسكر الثاني فكان بقيادة السيدة موزة*، كونها وصية على أولاد السيد سلطان وانضم إليها السيد سرحان الجابري والي سمائل والشيخ مهنا بن محمد سليمان اليعربي والي نخل ، وكان بدر بن سيف حليفاً لأولئك الذين تلقّوا تعليمات السيدة موزة ، واستولى قيس على حصني الخابورة في الباطنة والسيب بالقرب من مسقط ، ثم تقدم إلى بركا، وضرب حصارا عليها وانضم إليه معظم الأهالي وشاركوه في الحصار[٢]. وبعد ذلك قام مهنا اليعربي بمهاجمة بركا عام ١٨٠٤م لفك الحصار عنها، ودار القتال بينه وبين قيس وقتل العديد من الرجال من كلا الفريقين.

وعندما انضم الشيخ حميد بن ناصر الغافري إلى السيد بدر بن سيف لرد الحصار عن بركا، أمرت السيدة موزة الشيخ مهنا اليعربي *وقف القتال بسبب مجيء الغافريين التي قالت عنهم إذا دخلوا مسقط لن يخرجوا منها بسهولة، لذلك تم توقيع صلح كلبوة في عام ١٨٠٤م الذي تضمن: إنهاء القتال بين الطرفين، و تراجع قيس من بركا إلى صحار على أن يأخذ حصني السيب والخابورة، وعودة الشيخ حميد بن ناصر الغافري إلى الظاهرة[٣]، لكن قيساً لم يحافظ على شروط الصلح، فقام بشن غاراته على بوشهر جنوب وادي سمائل، واتجه إلى مسقط وثار عليه بنو راسب والقواسم، فهزمهم واستولى على مسقط والمطرح وعين محمد بن خلفان والياً عليها . وشكّل بدر بن سيف مع حليفه محمد بن عبدان الوهابي قوة كبيرة ضد محمد ابن ناصر الجبري وحميد الغافري وقواسم بني ياس ثم أعلن الحرب ضد قيس. وكادت أن تقع حرب كبيرة لولا تدخل الشيخ الإباضي خميس بن

---

[١] – السيدة سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان ، مذكرات أميرة عربية (الأميرة إميلي روت) ، ص ١٩.

* **السيدة موزة** : بنت الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، مؤسس الدولة البوسعيدية ، ولدت في الرستاق عام ١٧٤٩م وهي من الشخصيات النسائية البارزة في التاريخ العُماني، ساهمت بشكل مؤثر في تهيئة الحكم لابن أخيها السيد سعيد بن سلطان، توفيت عام ١٨٣٢م. ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٤٣٦.

[٢] – ابن رزيق ، الفتح المبين... ، ص ٤٦٦ ، و مديحة درويش ، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، جدة ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢ .

* **الشيخ مهنا اليعربي** : بويع الإمامة بعد وفاة الإمام سلطان بن سيف الثاني بعد معارضة كبيرة من أهالي الرستاق وإصرارهم على أخيه الصغير سيف ، توفي في سجنه بعد مؤامرة عليه من أخيه سيف ويعرب بن بلعرب بن سلطان . انظر : الطائي ، تاريخ عُمان السياسي ...، ص ٧٠ .

[٣]– ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٤٧٠ .أيضاً:

Badger , Salil Bin Razik … P. 195.

سالم وأسهم في إقامة الصلح بين بدر وعمه قيس على أن يسلّم قيس لبدر حصن المطرح بالمقابل عودة قيس إلى صحار[١]. ودارت معركة شديدة بين قيس والشيخ حميد بن ناصر الغافري في نزوى حيث أصيب فيها بجروح، وانتزعت منه حصونها وسيطر عليها بدر بن سيف الذي كان مُقيماً في حصن بركا مع ابن معيقل الوهابي .

٣. الصراع الهناوي الغافري بين عامي ١٧٨٤- ١٨٠٦م

ظهر هذا الصراع في الفترة الأخيرة من دولة اليعاربة وانتقل إلى دولة البوسعيد منذ نشأتها، واستمر حتى القرن التاسع عشر وما بعده، ومثّل هذا الصراع تلك الحروب التي دارت في عُمان بين عرب الجنوب وعرب الشمال*. حيث أكد معظم الباحثين في تاريخ عُمان أن الخلاف الديني هو السبب في انقسام عُمان إلى فرقتين، وتولّد الصراع بينهما ، وهذا الرأي يحتاج إلى دراسة تحليلية للتأكد من صحته فيتضح أن السبب الأهم لهذا الصراع هو السعي للوصول إلى الحكم[٢]. وبدأ الخلاف الديني بين الفرقتين عندما حاول الهناويون تحويل الغافريين، كونهم من أهل السنة إلى العقيدة الإباضية، لكن لا يوجد الدليل القاطع الذي يؤكد صحة هذا الهدف، لذلك نجد أن العُمانيين انقسموا إلى قسمين أو حزبين متصارعين، عناصر الحزب الأول (الهناوي) إباضية *، وعناصر الحزب الثاني (الغافري) سنية ، وما يدل على ذلك وجود إباضيين في الحزب الغافري ووجود أفراد من أهل السنة في الحزب الهناوي وإن الصراع الهناوي الغافري يعد امتداداً للصراع الأسري في عُمان ، والدليل على ذلك عندما قام السيد بدر بن سيف بقيادة وهابيين وعُمانيين في الحرب التي أعلنها ضد عمّه السيد سلطان ، وقُدر على سلطان الموت في معركة خورفكان* قبل أن يشهد نفسه في حرب مع الوهابيين

---

[١]- ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٤٨٤ . و

Bertram . Arab Rule under the Busaid Dynasty of Oman . p . 15.

* **عرب الشمال** هم قبائل الزارية والعدنانية وبني رياه في الجبل الأخضر واليعاربة في نخل ، **عرب الجنوب** هم قبائل اليمنية والقحطانية وهم أول من وفدوا إلى عُمان. العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ....، ص ٤٦ وانظر :

Miles : Op Cit , p 242

[٢]- جمال زكريا قاسم ، دولة البو سعيد غي عُمان وشرق إفريقية مركز زايد للتراث والتاريخ ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٣٨ . و

Miles : The countries and Tribes of Persian Gulf . p . 240.

* **خورفكان** : إحدى توابع إمارة الشارقة وصفها ابن بطوطة عندما عبر المحيط الهندي إلى المناطق المطلة على بحر العرب بأنها مكان من الصخر يتوسطها الماء وهكذا أعطاها اسمها . مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٢ جزء، الجزء الثالث ، ص ١٧٣ .

بقيادة ابن أخيه بدر بن سيف وكان المجتمع العُماني منذ قيام دولة البوسعيد منقسماً إلى فئتين تنازعتا للظفر بالسلطة والنفوذ وظهر ذلك لدى الهناويين والغافريين تجاه الإمام أحمد بن سعيد حيث بدأت بوادر هذا الصراع عندما اتجه بعض شيوخ القبائل الغافرية إلى بلعرب بن حمير اليعربي، وشجعوه على انتزاع الإمامة من الهناويين في الوقت الذي كان به الإمام أحمد بن سعيد يراقب تحركات الغافريين[١]. ولاسيما عندما علِم أن بلعرب بن حمير اليعربي قد أرسل جيشاً يبلغ عدد أفراده عشرين ألف مقاتل واتخذ من نزوى مركزاً له، فما كان من الإمام أحمد إلاّ أن يراسل عبد الله بن محمد البوسعيد، ليجهز قوات هناوية من مناطق الشرقية وجعلان ضد الغافريين الذين ظهروا بأعداد كبيرة بقيادة الشيخ ناصر بن محمد بن ناصر الغافري من قبيلة الميايحة من منطقة دفع الأودية، واستعدوا لمهاجمة الإمام أحمد، كما تلقوا المساعدة من القواسم بفضل الشيخ القاسم حسن بن رحمة الذي حضر على رأس قوة عسكرية كبيرة إلى قرية العينين في الظاهرة لحضور الاجتماع الذي عقده الشيخ ناصر الغافري لوضع خطة القتال ضد الهناويين [٢].

وبعد المؤامرة التي دبرها الغافريين ضد الإمام أحمد ، قام الأخير بتجهيز قوات جديدة مؤلفة من الهنود والهنود الزيجلوس والزدجال* فضلاً عن مجموعة من القبائل الهناوية وغيرهم ، وكانت هذه العناصر بقيادة ابنه هلال الذي نفذ أوامر والده وهاجم حصون الميايحة وهدمها وهدم حصن القرضي ثم اتجه بعد أن استفاد من قوات والده في صحار والتقى بقوات الغافريين قرب سيح الطيب * حيث جرت بينهم معركة كبيرة كانت نهايتها هزيمة قوات الإمام أحمد أمام الشيخ ناصر الغافري وبقاء منطقة الظاهرة خارج مناطق النفوذ للإمام أحمد بن سعيد[٣]، وعلى الرغم من هزيمة الإمام في هذه المعركة فقد عاد إلى تشكيل قواته من جديد واتخذ من وادي سمائل مركزاً له وانضم إلى معسكره

---

[١] – بدر الدين عباس الخصوصي ، الخليج العربي ، ج١ ، الكويت ط٢ ، عام ١٩٨٤ ، ص ٧٨ وانظر : سرحان الآزكوي ، كشف الغمة .... ، ص ١٥٧.

[٢]– ابن رزيق ، الفتح المبين .... ، ص ٣٨٣ – ٣٨٥ .

* **البلوش والزدجال:** من أوائل القبائل العربية الأزدية التي استوطنت ساحل مكران بعد الهجرة من سواحل عُمان ، وترجع تلك القبائل في أصولها إلى عمرو بن عامر والبعض إلى سليمة بن مالك. ابن رزيق، الفتح المبين...، ص ٣٨٠ .

* **سيح الطيب** :منطقة يقطنها السكان، تقع في ولاية الرستاق التابعة لمحافظة جنوب الباطنة في سلطنة عُمان. لوريمر، دليل الخليج ، القسم الجغرافي، ج٦، ص ٢٠١٠

[3] Badger. History of the Imams and Seyyids of Oman .p. 168.

العديد من أهالي الباطنة والظاهرة حيث توجه بقواته إلى داخل عُمان وهاجم السيابيين* وقتل الكثير منهم، ومنها اتجه إلى سمائل حيثما عسكرت القوات الغافرية، وبعدها تقدم إلى وادي بني رواحة والتقى قوات عبد الله بن محمد البو سعيد، وانضم إلى جيشه العديد منهم إلى أن أصبح جيشاً منيعاً يصعب مواجهته، واتجه به إلى نزوى حيث جرت معركة بينه وبين الغافريين وكانت نتيجتها قتل بلعرب بن حمير والكثير من أعوانه عام ١٧٦٢م، وتجدد القتال بين الطرفين هناوين وغافريين في عهد الإمام سعيد بن الإمام أحمد الذي خاض معركة جديدة ضد الغافريين سميت بـ نزوى الثانية ١٧٨٤م(١).

وفي هذه المعركة التقت جيوش الغافرين بقيادة الشيخ حمد بن ناصر وجيش الإمام سعيد في منطقة نزوى، وكانت نتيجتها هزيمة الغافريين وقتل أعداد كبيرة منهم(٢). وبعد ذلك أجبر الإمام سعيد على توقيع صلحٍ مع الغافريين ، وتمرّد ابنه حامد، وأعلن انفصال مسقط عن الرستاق، وجعل الحكم المطلق بيده، وترك لوالده لقب الإمامة من دون ممارسة السلطة، وعندما وصل السيد سلطان بن أحمد إلى الحكم عام ١٧٩٣م قام بضم البحرين إلى مسقط عام ١٧٩٩ م، وذلك عندما استنجد به أهالي البحرين لمساعدتهم ضد حاكمهم الشيخ سلمان آل خليفة * الذي تم أخذه رهينةً إلى مسقط وعين سالماً بن السيد سلطان حاكماً عليها.

واستمرت الحروب بين الهناويين والغافريين حيث طلب السيد سلطان من أخيه سيف أن يتعاونا معاً للتصدي للغافريين وشكلوا قوة من أهالي عُمان الشرقية وبدية وجعلان، وانضم إليها سيف بن علي البو سعيد وقواته وسارت قوات الهناويين بقيادة السيد سلطان حتى وصلت قرب صحار، وتم توزيعها إلى فريقين:

---

* **السيابيون** : مفردها سيابي ، وينتشرون في مساحات واسعة، لكن عددهم ليس كثيراً ، وهم قبيلة في سلطنة عُمان، ومن الناحية السياسية فهم من الغافرية لكنهم إباضيون من الناحية الدينية، ويوجد السيابيون بصفة خاصة في الحجر ومنطقة مسقط . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٧ ، ص ٢٣٩٠

(١)- ابن رزيق ، الفتح المبين .... ، ص ٣٩٣

(٢)- لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج١ ، ص ٤٢٠

* **آل خليفة** : أسرة حاكمة في البحرين يرجع أصولها إلى العتوب من قبيلة عنزة ، استوطنوا في أول الأمر في الكويت حتى عام ١٧٦٦م ثم نزحوا عنها إلى شبه جزيرة قطر، تعلموا ركوب البحر للتجارة وتعاظمت سفنهم وازدادت ثروتهم، ومن العتوب تفرعت أسرة آل خليفة في البحرين وعُمان .. . جمال زكريا قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط١، ج٢، دار الفكر العربي، ص ٢٢١ و ص ٢٣٦ .

الفريق الأول: الفرسان بقيادة سيف بن علي، والثاني: المشاة بقيادة السيد سلطان[١]. ودارت معركة بين الطرفين فهُزم بها الغافريون عرب النعيم* الذين رفضوا بدايةً الخروج من صحار حتى تمت هزيمتهم واتجهوا إلى البريمي * وفيها جرى قتالٌ جديدٌ بين الغافريين والهناويين[٢] ، لكن الهجوم الوهابي الشديد الذي أصاب الظاهرة في عُمان والبريمي أدى إلى توقيع صلح هناوي غافري في البريمي.

٤. الأوضاع السياسية في عُمان قبل وصول السيد سعيد إلى الحكم:

أ- الموقف الدولي من قيام دولة البو سعيد

عندما أُسّست دولة البوسعيد في عُمان كانت الدول الكبرى في العالم تخوض فيما بينها صراعاً من أجل الاستحواذ على خيرات الشرق. ووقف الإنكليز ضد فارس والعثمانيين؛ لإضعافهم والحصول على المزيد من الامتيازات الاقتصادية[٣]، وتصدّوا لهولندا وأبعدوها عن سواحل عُمان، وخاضوا حرب السنوات السبع ضد فرنسا، وأجبروها على تنازلات في المحيط الهندي؛ بموجب معاهدة باريس في ١٠ شباط ١٧٦٣م، وكان رد الفعل الفرنسي على النصر الذي أحرزه الإنكليز في حرب السنوات السبع بأنهم هاجموا ميناء بندر عباس على ساحل الخليج العربي، ودمّروا القاعدة الانكليزية فيه[٤].

---

[١] – خالد السعدون ، مختصر التاريخ السياسي للخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١م ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ص١٢٣

* **عرب النعيم** : أكبر قبائل العرب وترجع بنسبها إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب وتنتشر في مختلف الأماكن والأقطار العربية الآسيوية وأكبر تواجد لهم في مصر وليبيا .وفي عُمان ينتشرون في واحة البريمي وهم سنيون على مذهب أحمد بن حنبل . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٥ ، ص ١٧١٨

* **البريمي** : واحة تقع على الحدود بين الإمارات العربية المتحدة ومسقط وعُمان وشبه الجزيرة العربية مساحتها ٢١٧١٠كم يسكنها حوالي ٤٠ ألف نسمة تتألف من ثماني قرى ، ست منها تابعة لأبوظبي واثنتان لمسقط وعُمان ، وأصبحت موضع نزاع بين أبو ظبي والسعودية على إثر اكتشاف النفط في نهاية الأربعينيات . الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، الجزء الثالث ، ص ١٧٢ .

[٢]– وثائق سعودية ، عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، ج١ ، ص ١٠٨.

[٣] – د. محمود علي الداود ، الخليج العربي والعمل العربي المشترك ، ص ٣٤.

[4] Rashed , Z.E. The Peace of Parise . 1763 . Liverpool , 1951. P . 229 .

وتابع الفرنسيون نشاطاً دبلوماسياً في الخليج العربي، وتمكّنوا من عقد معاهدة تجارية مع عُمان في عهد السيد حامد بن سعيد في عام ١٧٨٥م، فحاولت حكومة لندن كسب ود حاكم مسقط، لكنها فشلت في مسعاها. وفي تقديرنا أن فرنسا كانت تنتهج سياسة معادية لإنكلترا لذلك حاولت كسب الأصدقاء عن طريق الهند، وحتى تقوى علاقاتها مع عُمان سمحت للسفن العُمانية بنقل السلع التجارية إلى المستعمرات الفرنسية في الوقت الذي كانت فيه سفن شركة الهند الشرقية تنقل السلع التجارية الانكليزية وهذا يفسر قبول السيد حامد بن سعيد إقامة وكالة فرنسية في مسقط ورفضه لإنكلترا طلباً مماثلاً[١].

وكان النصف الثاني من القرن الثامن عشر مجالاً لدول العالم لفتح أسواق في الشرق؛ بغية الحصول على المزيد من الأرباح الناجمة عن التجارة، وجاءت حرب عام ١٧٩٣م معطلاً لتلك الأسواق، وحصلت هذه الحرب بين بريطانيا وبروسيا والنمسا وهولندا وسردينيا وإسبانيا من جانب وبين فرنسا من جانب آخر.

وكانت فرنسا تعيش أحداث الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م في الوقت الذي بدأتْ فيه السباق مع إنكلترا من أجل كسب نفوذ سياسي في عُمان والخليج العربي والدليل على هذا الاتجاه هو إرسال حملة عام ١٧٩٨م إلى مصر، وكانت هذه الحملة منبهاً لإنكلترا لتزيد قبضتها على الطريق الأوربي إلى الهند[٢]، ولا سيما عندما وجه قائد الحملة الفرنسية نابليون بونابرت رسائل إلى السيد سلطان بن أحمد حاكم عُمان وإلى تيبو صاحب حاكم ولاية ميسور في الهند، وإلى حاكمي دونة وطرابلس. ووضّح أهداف فرنسا في تحدي الوجود الإنكليزي في الهند وبحار الشرق[٣].

وعندما نشبت الحروب النابليونية ١٧٩٣– ١٨١٥م اتضح لساسة فرنسا أهمية إنشاء مراكز اتصال بالشرق، فسارعت حكومة الإدارة إلى تعيين بوشان Poshan أحد الجغرافيين قنصلاً في مسقط، وكُلف بمراقبة التحركات الانكليزية في الهند[٤] وأرسلت بعثة فرنسية إلى فارس لمراقبة الطرق المؤدية إلى الهند.

وصدرت التعليمات لبوشان بالتوجه إلى عُمان في عام ١٧٩٦م وحين وصلت الحملة الفرنسية إلى مصر كان بوشان موجوداً في القاهرة ينتظر الوقت المناسب ليغادرها إلى مسقط، ويبدو

---

(١) – قدري قلعجي، الخليج العربي ، بيروت ١٩٦٥م ص ٣٩٠ – ٣٩١.

(٢)– عبد الحميد البطريق ، الأمة العربية ، القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٥٦ .

(٣) – محمد فؤاد شكري ، عبدالله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ١٩٥٢م ص ٩٩ .

(٤) – العقاد ، التيارات السياسية... ، ص ٦٦.

أنه لم يكن واثقاً من نجاح مهمته لعدم موافقة لجنة الشؤون الخارجية على اقتراحه بعقد معاهدة سياسية مع السيد سلطان بن أحمد قبل إنشاء وكالة فرنسية في بلاده ، ولم تكن حكومة فرنسا على استعداد لصرف تعويضات مناسبة عن أعمال القرصنة، لهذا اعتذر بوشان عن مهمته بذريعة أنها أثارت الشعور المعادي عند العُمانيين للفرنسيين. وراقب الإنكليز نشاط الفرنسيين بحذر شديد، وتبيّن لهم بأن فرنسا تُعدّ العدّة للهجوم على مستعمراتهم في الشرق، ومن ثم راحت السلطات الإنكليزية في الهند تُعدّ الإجراءات اللازمة لمجابهة الموقف الفرنسي[١]، فأرسلت في عام ١٧٩٨ حملة بحرية إلى البحر الأحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح بقيادة الأدميرال Juon blanket جون بلانكيت [٢]، وأرسل مانيستي Manisty ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة رسالة إلى حكومة الهند الإنكليزية ضمّنها رأيه بعقد اتفاق عسكري مع السيد سلطان بن أحمد للتعاون العسكري ضد القراصنة العرب في الخليج العربي، وكانت سياسة شركة الهند الشرقية ترمي إلى عدم التوسع ما أمكن حتى لا تتكلف الشركة نفقات لا تعود عليها بربح مؤكّد، وتغيّرت سياسة شركة الهند في نيسان عام ١٧٩٨م عندما وصل إلى كلكتا حاكم عام جديد هو اللورد ونزلـي لأنه كان من دعاة سياسة التوسع، فأوفدت حكومة بومباي بعثتها إلى فارس؛ لإقناع عاهلها بأن الفرنسيين أعداء للنظام الملكي، واستقبل شاه فارس تلك البعثة التي لاقت نجاحاً كبيراً إذ أصدر الشاه أمراً بإرسال ألفي جندي لحماية سواحل عُمان والخليج العربي وحراستها[٣].

وأوفدت حكومة بومباي بعثة أخرى برئاسة مهدي علي خان إلى مسقط للتفاوض مع حاكمها، وعقد اتفاق معه، فتمكّن مهدي خان فارسي الأصل والموظف في شركة الهند الشرقية الانكليزية من إقناع السيد سلطان بن أحمد ووقع معه في مسقط عام ١٧٩٨ اتفاقية وفي ١٢ أكتوبر من العام نفسه، تمّ توقيع معاهدة سياسية بين الإنكليز والسيد سلطان بن أحمد، وكانت أول معاهدة بين دولة عربية وبين إنكلترا في العصر الحديث[٤].

وتعهد السيد سلطان في هذه المعاهدة في الاستغناء عن خِدْمات الرعايا الفرنسيين الذين يعملون في خدمته وطردهم من عُمان، ووافق على عدم السماح من إقامة أية وكالة تجارية فرنسية أو هولندية في عُمان والمناطق التابعة لها، وأجاز السيد سلطان لإنكلترا إقامة وكالة تجارية وإنزال حامية في ميناء بندر عباس الذي كان شاه فارس قد تنازل عنه لعُمان مقابل أجرة معينة، ومنح

---

[1] - Malone. J . J . The Arab Lands of Western Asia . New Jersy . 1970 . p . 216.

[٢] – رجب حراز ، بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال ، القاهرة ١٩٦٨م

[٣] – العقاد ، التيارات السياسية... ، ص ٧٥

[٤] – جان جاك بيري ، الخليج العربي ، ترجمة: نجدة هاجر وسعيد الغز ، بيروت ١٩٥٩م ص ١٩٦

الوكالة التجارية الانكليزية الامتيازات الاقتصادية كافة التي تتمتع بها الشركات الإنكليزية في فارس والدولة العثمانية، وهكذا خرجت مسقط عن حيادها وأصبحت حليفة للسلطات الإنكليزية في الهند، وسبّبت حملة نابليون على مصر إثارة مخاوف السلطات الإنكليزية[١] ، كما أن اتصالات بونابرت بشريف مكة والسيد سلطان بن أحمد حاكم عُمان[٢]، جاءت لتجعل من تلك المخاوف حقيقة واقعية؛ إذ خشيت إنكلترا أن يكون بونابرت بحملته على مصر وبلاد الشام يمهّد الطريق لغزو الهند عن طريق الخليج العربي أو البحر الأحمر ورغم المصاعب التي واجهت الفرنسيين في مصر، وفشل حملتهم على بلاد الشام فقد بقيت حكومة بومباي الإنكليزية محتاطة للأمر، وذلك من خلال احتلالها لجزيرة بريم في مدخل البحر الأحمر لأشهر عدّة في عام ١٧٩٩م، وإرسال بعثة برئاسة الضابط مالكولم w.Malcolm إلى فارس أسفرت عن إبرام معاهدة سياسية معها تقضي بالتحالف ضد أية قوة ثالثة تغزو الهند، وتقديم المساعدات العسكرية لفارس في حال الاعتداء عليها[٣].

وكانت لدى حاكم عُمان اعتبارات اقتصادية تؤثر في موقفه السياسي، فله تجارة نشطة مع الهند وجزيرة إيل دي فرانس(موريشيوس) الفرنسية؛ مما جعله يحاول المحافظة على صلاته بالفريقين المتحاربين (إنكلترا وفرنسا) معاً. وعلى ذلك لم تضع معاهدة عام ١٧٩٨م نهاية دقيقة لتردّد السيد سلطان بن أحمد في سياسته الخارجية، ويدل على ذلك تبادل المراسلات بين دونكان وحاكم عُمان في عام ١٧٩٩م فوجه الأول اللوم للثاني على استمرار علاقاته بالفرنسيين، وحاول الثاني تسويغ موقفه أمام الإنكليز، ويدلنا هذا على أن سياسة حكام عُمان بدأت تخضع للرقابة الإنكليزية منذ هذا التاريخ[٤].

وصرّح السيد سلطان بن أحمد بأنه قطع علاقاته التجارية مع جزيرة موريشيوس التي كانت قاعدة فرنسية في المحيط الهندي لتهديد المواصلات البريطانية وهو أمر ضار بمصالح العُمانيين[٥]. لهذا أخذت حكومة الهند في الضغط عليه حتى تضمن تنفيذ شروط المعاهدة الخاصة بمقاطعة الفرنسيين، وعلى ذلك قرّرت أن يمر Malkom مالكوم بمسقط في طريقه إلى فارس، وترتّب على هذه الزيارة توقيع معاهدة جديدة عام ١٨٠٠م مع السيد سلطان بن أحمد وافق بموجبها حاكم عُمان على

---

(1) Searight , S: The British in the Middle East . London . 1960 . p . 77

(٢) – محمد فؤاد شكري ، عبدالله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ، ص ٩٩

(3) Benoist – Mechin , J: Arabian Destiny .(Translated from france by Denis Weaver) London . 1957 . p 51.

(٤) – قاسم، دولة بوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا ، ص ١٢٦و ص ١٦٥.

(٥) – محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي سنة ١٩٦٣م، من دون ذكر تاريخ النشر ومكانه ، ص ١٠٨– ١٠٩ .

إحداث منصب مقيم إنكليزي في مسقط كوكيل عن شركة الهند الشرقية الإنكليزية لتمثيل مصالح إنكلترا في عُمان والخليج العربي [١].

وعندما بدا واضحاً منذ أوائل القرن التاسع عشر أن الانكليز سوف تنعقد لهم السيادة البحرية في المحيط الهندي تلك السيادة التي تأكدت بانتزاعهم جزيرة أيل دي فرانس من أيدي الفرنسيين عام ١٨١٠م لم يتردد السيد سعيد بن سلطان في ربط مصيره بمصير الإنكليز، وحافظ على صداقة والده مع السلطات الإنكليزية في بومباي، وكانت هذه الصداقة مفيدة للطرفين فقد كان السيد سعيد يعاني من الوهابيين والقواسم وقبائل عُمانية وهو بحاجة لمساعدة للقضاء على تلك المعارضة التي تهدّد عرشه بالزوال، أما إنكلترا فهي تعاني من هجمات القواسم على سفنها عبر الخليج العربي والمحيط الهندي، وهي بحاجة إلى حليف مثل السيد سعيد للتصدي لهم، والحفاظ على مصالحها.

وهكذا وقفت إنكلترا ضد محاولات فرنسا والوهابيين وقبلهم البرتغاليين والهولنديين للسيطرة على عُمان ووضعت العراقيل ضد السيطرة العُمانية على البحرين؛ ممهدة السبيل لنفسها لتنفيذ السياسة التي رسمتها لبسط سيطرتها المنفردة على عُمان والخليج العربي، وتحقق لها ذلك بعد معاهدة عام ١٨٠٠م والتي قعها Malkom مالكوم مع السيد سلطان بن أحمد حاكم عُمان.

ب- العلاقات مع القواسم خلال الفترة ١٧٨٤ – ١٨٠٦ م:

القواسم قبيلة عربية هاجرت من نجد إلى العراق ، ثم جاءت من العراق إلى الخليج العربي، وكوّنت إمارة كبيرة في رأس الخيمة والشارقة وبندر لنجة ، وبدأت زعامتهم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للهجرة على إثر انحلال دولة اليعاربة ، كما عرفوا بقوتهم وشدة بأسهم، وتطّلعوا إلى ملء الفراغ السياسي في منطقتهم، بسبب الضعف الذي حلّ بدولة اليعاربة في القرن الثامن عشر الميلادي والذي أدى إلى قيام الحروب الهناوية الغافرية[٢] .

وتمكّن القواسم من جمع أضخم قوة بحرية، وجنوا منها أرباحاً كثيرة، وملكوا أسطولاً يحتوي على عشرين ألف بحّاراً و٨٦٣ سفينة، وامتد نفوذهم على ساحل الخليج العربي بين قطر وخورفكان وازداد نشاطهم على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، وسواحل البحر الأحمر وشرق إفريقية وبهذه القوة اصطدموا مع بريطانيا؛ الأمر الذي دفع الإنكليز لإرسال حملة بحرية لمهاجمة القواسم الذين أدّوا دوراً رائداً في تاريخ الخليج العربي ، وكان أحد أجدادهم قاسم الكبير الحسيني السامرائي

---

[١] – عبد القادر زلوم ، عُمان والإمارات السبع ، دراسة جغرافية ، بيروت ١٩٦٣م ص ٦٦.

[٢]– سالم حمود السيابي، إيضاح المعالم في تاريخ القواسم ، ط١ ، عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م ، ص١٨٠ ، أيضاً : درويش ، تاريخ الدولة السعودية الأولى... ، ص ١١٠ .

الذي جاء ليقيم في جلفار منذ القرن السابع عشر وبفضله أصبحت هذه المدينة المركز الرئيس للقواسم، وعُرفت منذ ذلك الحين باسمها رأس الخيمة [١]، وبدؤوا ببناء كيانهم المستقل في هذه المنطقة في الوقت الذي كان فيه الإمام أحمد بن سعيد يُعدّ نفسه وارثاً للمناطق الخاضعة لليعاربة كافة بعد انتهاء دولتهم، ومنها أراضي رأس الخيمة ، وعَبَرت جموع من القواسم إلى فارس، وفَرَضت سيادتها على لنجة مقابل جزيرة قشم، وأسست فيها حكماً عربياً استمر حتى عام ١٨٨٧ عندما طردهم الفرس منها، وانتهى حكمهم في لنجة[٢].

ومن أهم مراكز القواسم التي ازدهرت على ساحل عُمان " لنجة*، رأس الخيمة* ، الشارقة*، خورفكان، وشناص*" وكان لهم الدور الأبرز في تجارة الخليج العربي حيث إنهم تحكموا بطرق التجارة، وحصلوا على العديد من الترضيات للسماح للسفن الأوربية بالمرور[٣]. وقام القواسم بحركة ضد الإمام أحمد بن سعيد في عام ١٧٤٥م، وهاجموا مسقط لانتزاعها منه. وعندما علِم الإمام أحمد بالحملة التي قادها شيخ القواسم رحمة بن مطر إلى صحار ، خرج على رأس قوات كبيرة لمهاجمته

---

[١]- السعدون ، مختصر التاريخ السياسي للخليج ..... ، ص ٢٠٥.

[٢]- جمال زكريا قاسم ، الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي ، أصول المشكلة وتطورها ، مؤتمر التاريخ الدولي في بغداد عام ١٩٧٣م ، ص ١٦٩ .

* **لنجة** : مدينة كبيرة مهمة على الساحل الإيراني تقع على بعد حوالي ٩٦ ميلا غرب الجنوب الغربي من بندر عباس وعلى بعد ٨٨ميلا غرب الشمال الغربي من الشارقة وأكثر من ٣٠٠ ميلا جنوب شرقي مدينة بوشهر وتوجد خلفها مزارع النخيل ، وصحراء قاحلة ترتفع بالتدريج خلف المدينة . لوريمر ، دليل الخليج الجغرافي ، ج٤ ، ص ١٣٧١ .

* **رأس الخيمة** : هي عاصمة المنطقة المسماة بهذا الاسم وهي تابعة لإمارة الشارقة وتقع على ساحل عُمان المتصالح (مشيخات الخليج العربي) على بعد ٤٨ ميلا شمال شرقي مدينة الشارقة و ٢٤ ميلا غرب الشمال الغربي من قرية دبة على الجهة المقابلة من رأس جبل عُمان . لوريمر ، دليل الخليج الجغرافي ، ج ٣ ، ص ١٢٤٩.

* **الشارقة:** هي أعظم وأكبر المدن على ساحل عُمان المتصالح وهي عاصمة إمارة الشارقة ومقر الحاكم ، وتقع بين العاصمتين العربيتين عجمان ودبي على بعد خمسة أميال عن الأولى وسبعة أميال عن الثانية وهي تقريباً على مسافات متساوية من قاعدة وطرف رأس عُمان والمسافة تقل عن مئة ميل عن كل منهما . لوريمر ، دليل الخليج الجغرافي ، ج٧ ، ص ٢٣١٠

* **مدينة شيناص** : مدينة هامة عبى ساحل الباطنة في سلطنة عُمان وتقع على بعد ٣٠ ميلا شمالي غربي منطقة صحار وهي عاصمة قسم شناص الموجودة في ولاية صحار ويوجد فيها قلعة تقيم فيها حامية، ويعتمد السكان في حياتهم على زراعة النخيل وصيد الأسماك والملاحة . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج٧ ، ص ٢٣٦٣ .

[٣] – كارستين نيبور، وصف بلاد العرب ، ط كوبنهاغن ١٧٧٢م ، ص ١٢١ ، وتُرجم هذا الكتاب إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية (رحلات في جزيرة العرب ١٧٦٣– ١٧٦٥م)

في وادي حام ١٧٤٩م، واضطر خلالها الشيخ القاسمي إلى الانسحاب وعادت قوات البو سعيد التقت مع قوات القواسم في منطقة خصب بقيادة شيخها حسن بن عبد الله الشموصي الذي كان تابعاً للقواسم والذي استسلم للإمام من دون قتال، وتعرّض الإمام لهجوم اليعاربة عندما علِموا بوجوده في خصب؛ فاضطر إلى الخروج منها، وعيّن خلفه محمداً بن خلفان، وأمره بالتوجه إلى رأس الخيمة(١).

وفي هذه الأثناء كان الإمام قد قضى على ثورة اليعاربة في جعلان، وعاد إلى خصب فوجد محمداً بن خلفان متقاعساً لم يحقق أي انتصار على القواسم، فعزله وعيّن علياً بن سيف قائداً للأسطول، ونجح في حروبه ضد رأس الخيمة والشارقة وجزيرة الحمرا، واعترفت هذه الموانئ بسيادة الإمام عليها ماعدا رأس الخيمة عام ١٧٦٢م ، حيث فشل أسطول البوسعيد في مهاجمتها لذلك انتهز شيخ القواسم راشد بن مطر* هذه الفرصة وقاد قوات كبيرة برفقة عمه عبد الله بن مطر إلى الرستاق ١٧٦٣م ، فقام الإمام أحمد بتوقيع الصلح معهم، واعترف باستقلال رأس الخيمة، مقابل اعتراف القواسم بسيادته على الموانئ الأخرى(٢)، أما شيخ القواسم رحمة بن مطر فقد وضع يده على السر والشارقة وخورفكان. وفي عام ١٧٧٢م ، اتحد مع الإمام أحمد بن سعيد ضد الفرس لإحباط محاولة زعيمهم كريم خان الزندي على ساحل عُمان وقاموا بمهاجمة بندر عباس وأحبطوا قوات الفرس ودمروا سفنهم وبعدها عاد أسطول عُمان إلى رأس الخيمة واستمرت عملية التحالف بين القواسم والإمام حتى قام كريم خان الزندي عام ١٧٧٤م بإرسال تعليماته إلى الشيخ ناصر خان حاكم بوشهر؛ لمتابعة الحرب ضد عُمان وإجبار الإمام على دفع إتاوة للفرس ضمن اتفاقية بين الطرفين(٣).

وعندما توفي الشيخ راشد بن مطر ترك المشيخة لابنه صقر في عام ١٧٧٧م الذي عقد هدنة مع الإمام أحمد، لكنها لم تستمر طويلاً فعادت الحروب من جديد عام ١٧٧٨م وحقق القواسم انتصارات عديدة على الفرس، ودمّروا مجموعة من السفن الفارسية التي كانت تحمل بضاعة خاصة

---

(١) – العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧–١٨٢٠م ....، ص ٩٠. أيضا :
Miles . The Countries and Tribe….. .P. 263

* **راشد بن مطر** : قاد القواسم بعد وفاة الشيخ رحمة بن مطر القاسمي عام ١٧٦٠ استمرت في عهده العلاقة سلبية مع عُمان حيث كان يطمح للسيطرة على القواسم وهم يريدون الاستقلال وتوسيع ممتلكاتهم ، خاض العديد من الحروب مع السيد أحمد بن سعيد وفي عام ١٧٧٧ تنازل عن الحكم لابنه صقر بن راشد القاسمي بسبب كبر سنه . انظر : سالم بن حمود السيابي ، عُمان عبر التاريخ ، ج٤ ، ص ٤٥ .

(٢)– العابد ، دور القواسم في الخليج العربي .... ، ص ٩٢

(3) Abu Hakima . History of Eastern Arabica . (1750-1800) . Beirut , 1905 .P.77
أيضا : لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج١ ، ص ٤١٢

بالإمام أحمد فعُدّ الإمام أن هذا التصرف تحدّياً له، فقام بتجهيز قوة كبيرة وهاجم رأس الخيمة لكن محاولاته باءت بالفشل، ولم يستطع تحقيق مراده في السواحل بسبب عدم قدرة سفنه على اجتياز المياه الكثيفة أمام سواحل رأس الخيمة ، ولكنه نجح في إحباط محاولة القواسم لهجوم الرستاق ١٧٨٢م(١).

وانتهز القواسم فرصة الخلاف بين أولاد الإمام سيف وسلطان، وقدّموا لهم الدّعم في ثورتهم ضدّ والدهم ، فما كان من الإمام إلاّ أن يقوم بتوقيع الصلح مع ولديه خوفاً من تدخّل القواسم في الرستاق ، وحانت الفرصة من جديد للقواسم في عهد الإمام سعيد ابن الإمام أحمد ، فجاءتهم رسالة من سيف وسلطان ولدي الإمام أحمد؛ طالبين من شيخهم المساعدة لانتزاع الإمامة من أخيهما سعيد(٢) ، فقام الشيخ صقر بن راشد على رأس قوة كبيرة توجه بها إلى الموانئ الشمالية وأعلن الحرب براً وبحراً ضد الإمام سعيد ، لكن القواسم فشلوا في تحقيق هدفهم في عزل سعيد عن الإمامة، فخاف كلٌّ من سيف وسلطان من الأحداث الجارية، وأصبح بقاؤهما في عُمان خطراً عليهما؛ لذلك توجه سيف إلى إفريقية ، وسلطان إلى جوادر *، واستلم السيد حامد زمام الأمور في مسقط حيث حقق انتصارات عديدة ضد القواسم.

عام ١٧٨٧م هاجم بأسطوله مدينة خورفكان وجزيرة الحمرا ورامس وانتزعها منهم لكن هذه العزيمة لم تستمر طويلاً بسبب اشتداد المرض وسوء الأحوال في عُمان، فعاد من جوادر، واتخذ من مدينة برقة* مركزاً له(٣) للهجوم على مسقط، وأصبح هو الحاكم الفعلي في عُمان، وخاض حروباً عدة مع القواسم عام ١٧٩٧م، ووقع عدة هدن لتسوية علاقاته مع والي بغداد سليمان باشا للحصول على الدعم منه بعد أن شنّ عليه القواسم حرباً تمكّنوا فيها من إحباطه ، فاضطر إلى توقيع هدنة مع الشيخ القاسمي عام ١٨٠٠م ليتوجه إلى مهاجمة الوهابيين الذين احتلوا البريمي واتخذوها مركزاً لهم.

---

(1) Miles . The Countries and The Tribes .P.281 , and see: Badger . History of the Imams and Seyyids .P. XLIX.

(٢)– العابد، دور القواسم في الخليج العربي .... ، ص ٩٦ .

* **منطقة جوادر** : قرية على ساحل مكران في فارس مشهورة بشدة البرد ، تنازل عنها السلطان سعيد بن تيمور لحاكم باكستان أيوب خان في عام ١٩٥٨م وفق اتفاقية رسمية برعاية بريطانية . لوريمر، دليل الخليج ، القسم الجغرافي، ج٥، ص ١٨٢٤.

* **منطقة برقة** : مأخوذة من اللفظ بركة أو بركا ، حصن بركا يقع وسط ولاية بركا، ويبعد عن خليج عُمان بساحل الباطنة لا يقل عن ١ كم، وله سور كبير للدفاع عن المدينة . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٤ ، ص ١٥٧٣ .

(٣)– لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٤٢٢ . و العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، ص١٠٣

ت- العلاقات مع الوهابيين بين عامي ١٨٠٠- ١٨٠٤م :

قبل أن ندخل في الحديث عن بداية الغزو الوهابي لعُمان، علينا أن نتعرف الأصول الأولى للوهابيين، ففي الوقت الذي قامت به أسرة البوسعيد في عُمان قامت في شبه الجزيرة العربية الدعوة الوهابية، وذلك في القرن الثامن عشر الميلادي وتزعم هذه الحركة محمد بن عبد الوهاب الذي ولد في العينية في نجد عام ١٦٩١م ، وأطلق خصوم دعوته على أتباعه اسم الوهابيين، أما الوهابيون فقد أطلقوا على أنفسهم اسم "الموحدون" لتأكيد اعتقادهم في الدعوة إلى الإسلام وتثبيت ديانة التوحيد(١).

وعُرِفوا أيضاً باسم آل الشيخ نسبةً للقب الذي أطلقه أمير الدرعية محمد بن سعود على محمد بن عبد الوهاب وهو لقب الشيخ، ومازال أحفاده حتى هذا الوقت يعرفون بهذا اللقب في المملكة العربية السعودية ، ثم تحوّلت هذه الحركة من دعوة دينية إلى دعوة سياسية قادها الأمير محمد بن سعود وأبناؤه وأحفاده حتى شكّلوا الدولة العربية السعودية. وتوجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية ورحب به أميرها، وتمّ التحالف بينهما على أن يبقى الشيخ إلى جانب أمير الدرعية؛ مقابل تقديم المساعدة له في الدعوة إلى الجهاد ، كما رأى آل سعود أن الجهاد الديني خير وسيلة لهم في توسيع حدود دولتهم ومد نفوذها(٢)، لذلك يُعدّ الأمير محمد بن سعود هو الباني الأول للدولة السعودية الأولى وحامي أمجادها، وبعد هذا الاتفاق أصبحت الدرعية المركز الديني والسياسي والعسكري ، وازداد عدد سكانها، وانقسم سكان شبه الجزيرة العربية إلى قسمين منهم من أيّد هذا الاتفاق، ومنهم مَن عارضه؛ لذلك خاض أمير الدرعية العديد من المعارك للقضاء على المعارضين لهذا الاتفاق.

وبدأت طموحاته تتسع لتأسيس دولة عربية تضم أرجاء الوطن العربي جميعه، والعمل على مواجهة الدولة العثمانية، كونها تسيطر على الحكم في شبه الجزيرة العربية من جهة، وبريطانية "حكومة الهند " من جهة أخرى الهادفة إلى تثبيت سيطرتها على سواحل الخليج العربي(٣) لمنع أي قوة تقترب منه ، واستمر السعوديون؛ أي الوهابيون بالتوسع والحروب وعملوا على مهاجمة أمير

---

(١) - أيوب صبري ، تاريخ الوهابيين ، ترجمة : مسعود سويلم الشامان ، مطبعة قرق أنبار ، استنبول ١٢٩٦هـ، ص ٣ . و عبد المجيد البطريق ،الوهابية دين ودولة، حولية كلية البنات ، جامعة عين شمس ١٩٦٤م ، ص ٧٤.

(٢)- ابن بشر، عنوان المجد .... ، ص ٤٢ - ٤٣

(٣)- عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى ... ، ص ٦١ .

الرياض دهام بن دوامس* الذي استمر في الدفاع عنها مدة سبعة وعشرين عاماً حتى سقطت بين أيديهم ووقعت تحت حكم الدرعية عام ١٧٧٣م، كما مدوا نفوذهم إلى العينية وأخضعوها لسيطرتهم عام ١٧٤٩م، وإلى العديد من المناطق في شبه الجزيرة العربية كالإحساء والخرج وجبل شمّر، وعملوا على توحيد نجد، ومدوا نفوذهم إليها [1]، وقام أمير الإحساء عريعر بن دجين بتشكيل حلفاً كبيراً معادياً للسعوديين وبدأت الحروب بين الدرعية والإحساء، وكانت نتيجة النصر مع السعوديين الذين تلقوا المساعدة من القائد ابراهيم بن سليمان بن عفيصان* لما تميّز به من حزم وشجاعة وتوفي أمير الدرعية ١٧٧٤م بعد أن فقد مساعدة أمير نجران ونقض الاتفاقية التي وقعها معه [2] .

واستمرت هجمات السعوديين الوهابيين على الإحساء منذ عام ١٧٨٣م حتى عام ١٧٩٢م، وواصلوا هجومهم إلى مشارف الخليج العربي هادفين إلى ضم البحرين وقطر والكويت وعُمان ، ففي قطر توسعوا في العديد من المناطق التي كان يسكنها العتوب آل خليفة وبطون من قبيلة ربيعة آل مسلم وآل أبي حسن ومن قطر تقدموا إلى البحرين وهي جزيرة تقع على بعد اثني عشر ميلاً من الظهران وقد مدّت عُمان نفوذها إليها في عهد السيد سلطان بن أحمد عام ١٨٠٠م، ووضعت فيها حاكماً عُمانياً، واتخذ من مدينة مرادا مركزاً له في البحرين، وأخذ آخاه الشيخ سليمان رهينة إلى مسقط، وعندما وصل نبأ وفاته إلى البحرين، قطع آل خليفة علاقاتهم مع الوهابيين، وبدؤوا بطلب المساعدة من سعود بن عبد العزيز أمير الدرعية لطرد العُمانيين من البحرين[3]. واستمر الوهابيون في محاولاتهم لضم البحرين، وخاضوا العديد من الحروب ضد العُمانيين ، وفي عام ١٨٠٨م

---

* **دهام بن دوامس بن عبد الله آل شعلان** : ولد في بلدة منفوحة جنوب مدينة الرياض حكم الرياض ما بين ١٧٣٧-١٧٧٣ دخل في حرب طويلة مع الدولة السعودية الأولى في الدرعية استمرت ٢٧ عاما وترك الرياض عام ١٨٨٧. انظر: ابن بشر، عنوان المجد .. ، ج١، ص ١٦٤.

[1]- مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق : أبو حاكمة ، بيروت ، ص ٦٢ . و

Philpy. H. St . JHON., Saudi Arabica. Libraimie. Dulebon.Beirut .1968.P.61.

* **ابراهيم بن سليمان بن عفيصان** : هو أمير الإحساء في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ، تم تعيينه عام ١٧٩٥م، ثم أصبح أمير البحرين ثم أمير قطر ثم المدينة المنورة ثم أمير عنيزة حتى توفي فيها عام ١٢٢٩هـ. ابن بشر ، عنوان المجد .. ، ج١، ص ٢١٠.

[2] – ابن غنام ، حسين ، تاريخ نجد (روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام) تحقيق : د. ناصر الدين الأسد ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، ص ١٢٧ .

[3]- سنان ، البحرين في الخليج العربي سنة ١٩٦٣، ص ١٣٢

استطاع آل خليفة إحكام سيطرتهم على البحرين، وطلبوا المساعدة من عُمان وفارس، وهاجموا السعوديين الوهابيين في معركة خكيكرة عام ١٨١٠م وعملوا على هزيمتهم(١).

وبدأت محاولة الوهابيين في الكويت التي سكنها العتوب*، وكانوا تحت حماية بني خالد حكام الإحساء، و قد ازدهرت الكويت بالتجارة، واستقبلت تجاراً من البصرة التي وقعت تحت سيطرة الفرس ١٧٧٦م وممثلين عن شركة الهند الشرقية الإنكليزية وهذه الأهمية كانت السبب في مطامع الدرعية تجاه الكويت حيث قامت بمحاولات عدة لضمها . وكانت الكويت محطّ أطماع قبيلة المنتفق العراقية من جهة ، والسعوديين من جهة أخرى؛ لذلك قام الكويتيون بإنشاء أسوارٍ حولها لحمايتها من الغزاة(٢) . وبدأت محاولات الأمير عبد العزيز بن محمد لمدّ نفوذه على عُمان التي كانت تعاني من الصراع الأسري والحرب الهناوية الغافرية من جهة، والقواسم من جهة أخرى كما أُشير سابقاً ، كما عانت من ضعف الحكام الأوائل من أسرة البوسعيد وعدم قدرتهم على إسكات الحركات المعارضة في عُمان، وقد كان للفرس مطامع عديدة في عُمان، ووقفوا ضد التقدم السعودي الوهابي مثلما فعلوا في أثناء تقدمهم إلى البحرين، كما أشارت سجلات بومباي أن حكومة الهند لم تكن مهتمة بتلك التطورات التي كانت موجودة في شبه الجزيرة العربية، وأن أول ظهور للوهابيين فيها كان في عام ١٧٨٧م(٣).

وبدأت حرب طويلة بين القواسم والوهابيين في عُمان حيث كان القواسم معلنين عداءهم للإنكليز؛ لذلك اعترفوا بالحكم السعودي. ففي عام ١٨٠٠م اتجه سالم بن بلال الحرف بقيادة قوة سعودية إلى البريمي، وسيطر عليها، واستمرت تلك المدينة مركزاً للسعوديين في عُمان لقربها من الإحساء، كما أعلنت الظاهرة وبنو قتب خضوعهما لسلطان الدرعية، ودفعوا لهم الزكاة نتيجة الأعمال الحربية التي قام بها سالم الحرف، كما انضم العديد من القبائل للحكم الوهابي كقبيلة بني

---

(١)- محمد بن خليفة الطائي، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، ج٦ ،ط القاهرة ١٣٤٣هـ ، ص ١٣٨-١٣٩ . و بن غنام ، روضة الأفكار .... ، ص ١٨٣ .

* **حلف العتوب** : العتوب أو بني عتبة، حلف يشتمل على مجموعة من الأسر في شرق الجزيرة العربية، وهم آل بن علي وآل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة، هاجرت من موطنها الأصلي نجد، واستقرت على شواطئ الخليج تحالفت مع بعضها البعض وشكلت حلفاً سمي بالعتوب ويعني هذا الاسم (رحل) أي رحل إلى الشمال واستقروا فيه . انظر: قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ص ٣٣٦ .

(٢)- سيف مرزوق الشملان ، من تاريخ الكويت ، ط القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٣٣.

(3) Bombay Government . OP. Cit . VoL .24 . P. 428.

أيضاً: مؤلف مجهول، لمع الشهاب .... ، ص ٧٩.

علي و بني راسب* وعدّ الإباضيون تعاليم الوهابية تعاليم جديدة دخلت بلادهم، وقالوا أن فيها انحرافاً عن الدين الحنيف ، كما أثارت هذه التعاليم النزاع بين الهناويين والغافريين حيث عدّ الغافريون بالنسبة للهناويين أنهم نجديون لذلك أعلنوا انضمامهم للوهابيين، وقام السيد سلطان بن أحمد بإجراء اجتماعٍ لشيوخ القبائل ووجهاء عُمان لتدارك الخطر الوهابي ومهاجمته؛ مستغلاً وفاة الأمير السعودي عبد العزيز في الدرعية عام ١٨٠٣م (١).

وقبل اغتيال أمير الدرعية، كان حاكم عُمان سلطان بن أحمد قد عقد معه هدنة لمدة ثلاث سنوات يقدم فيها مبلغاً من المال للسعوديين مقابل وقف القتال، واستغل سلطان هذه الهدنة، وقام بالتحالف مع حكومة الهند لحماية عُمان عام ١٨٠٠م، لكنه توفي عام ١٨٠٤م، دون أن يحصل على مساعدتهم له(٢) وعندما علِم أمير الدرعية أن حاكم عُمان قد أرسل طلب المساعدة من شريف مكة غالب بن مساعد غضب من ذلك وأعلن جاهزية القوات السعودية لغزو عُمان متعاوناً مع القواسم، ولم تتمكن القوات العُمانية من مواجهة هذا الهجوم؛ لذلك اضطر السيد سلطان إلى عقد هدنة جديدة مع حاكم الدرعية ١٨٠٣م وذلك قبل وفاته ، وكان حاكم عُمان على يقين كامل أنه إذا استطاع السعوديون السيطرة على عُمان فسوف يمدّون نفوذهم إلى كامل أراضي شبه الجزيرة العربية وستصبح تحت إمرتهم(٣)، وهذه الهدنة الأخيرة لم يستفيد كلا الطرفين منها بسبب وفاة حاكم الدرعية وحاكم عُمان. وعندما آلَ الحكم في عُمان إلى السيد بدر بن سيف ١٨٠٤– ١٨٠٦م بدأ أمير الدرعية سعود بن عبد العزيز بتعزيز قواته في البريمي لاحتلال عُمان؛ لذلك توجه السيد بدر إلى توقيع اتفاقية مع حاكم الدرعية؛ وتعهّد فيها أن يقدّم للوهابيين مبلغاً من المال مقابل مساعدته على تثبيت حكمه في عُمان، وأن يضع الوهابيون وكيلاً لهم في مسقط يتولى جمع الأموال وأن تقيم حامية عسكرية سعودية في بركا مؤلفة من أربعمائة مقاتل(٤).

وعندما أظهر السيد بدر تعاونه مع السعوديين أصبح مكروهاً من قبل العُمانيين الذين عدّوا ذلك خيانة لهم. و أول المتظاهرين ضده عمه قيس الذي أظهر العداء له، وتصاعد الصراع الأسري

---

(١)– سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ، إمارات ساحل عُمان ط٢ ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٥١ .

(٢)– سمير محمد علي أبو ياسين ، العلاقات العُمانية البريطانية ، البصرة ، العراق ، مركز دراسات الخليج العربي ١٩٨١م ، ص ١٥٨ وانظر:

Bombay Government . Selections from the Records of Bombay . Op. Cit .P.175.

(3) Badger . Salil Bin Razik . History of the Imams and Seyyids of Oman . P. LXVI

(٤) – مؤلف مجهول ، لمع الشهاب .... ، ص ٨٦ – ٨٩ .

في عُمان والذي كانت نتيجته مقتل السيد بدر على يد سعيد بن سلطان. وسوف يتبين بالفقرة التالية كيفية مقتله، ووصول سعيد بن سلطان إلى حكم عُمان والتي كانت الضربة الكبيرة للسعوديين ومشروعاتهم في عُمان.

٥)- تولي السيد سعيد بن سلطان الحكم في عُمان عام ١٨٠٦م :

أُشير سابقاً إلى الصراع الأسري الذي ظهر في دولة البوسعيد، وكان للسيد بدر الدور الأكبر في هذا الصراع ، فحافظ على علاقاته مع السعوديين الوهابيين على الرغم من إطاعته لأوامر عمته موزة التي أرسلت له طلباً للعودة إلى مسقط، والتخلي عن الوهابيين، ومواجهة عمه قيس الذي كان منافساً له على السلطة، وتصدّى للسيد بدر الذي توجّه على رأس قوة وهابية عُمانية، فهزمه واضطر للتراجع إلى صحار[١]. واستمرت الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة، ولم يغفر السيد بدر لعمه قيس عندما قام بنقض صلح كلبوة الذي بموجبه قدم قيس لبدر حصن المطرح ؛ لذلك حاول بدر إخراج البلوش* من الحصن الغربي بمسقط، ووضع فيه قوة وهابية ، فغضب كلٌّ من السيدة موزة من ذلك، وكذلك سالمٌ وسعيدٌ ولدا السيد سلطان ، وعلى الرغم من ذلك أعلن بدر الحرب على قيس، وشكل قوة كبيرة تحت إمرة مالك اليعربي لانتزاع الحصون من عمه قيس وضمها إلى مناطق نفوذه. ودارت حربٌ كبيرة بين قيس والشيخ حميد بن ناصر الغافري في نزوى واستطاع السيد بدر انتزاع الحصون من قيس عندما كان مقيماً إلى جانب ابن معيقل الوهابي في حصن بركا[٢].

وعندما شعرت السيدة موزة بخطر السيد بدر، ووقوفه سداً منيعاً في وجه سعيد بن سلطان، قامت بالتآمر عليه، وشجعت سعيد على قتله، فوافق السيد سعيد على قتله ودعا السيد بدر لزيارة الشيخ محمد بن ناصر الجبري في حصن نعمان، وسرعان ما لبى بدر الدعوة وتوجه إلى لقائه في الحصن، فوجد كلاً من سعيد بن سلطان ومحمد بن ناصر الجبري وخلفان بن محيسن، وبعد حوار قصير بينهما قام السيد سعيد بطعن بدر عندما حاول الهروب من الحصن وتخلص منه في عام ١٨٠٦م[٣]، كما أرسل السيد سعيد إلى قيس وأخبره بأنه قد تخلّص من بدر بن سيف لأن قيساً كان

---

[١]- بن رزيق ، الفتح المبين .... ، ص ٤٨١ – ٤٨٢

* **عرب البلوش** : طائفة تنتسب إلى إقليم " بلوشستان " جنوب بلاد فارس على المحيط الهندي شكلوا أغلب جيش الدولة العربية الإفريقية . سليمان بن عمير المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٤ – ١٨٥٦م ، دار الفرقد، سورية ٢٠١٤، ص ١٦٢ .

[٢]- ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٤٨٤

[٣] – صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج١ ، بيروت ١٩٥٧م ، ص ١٠٠ . وأنظر :

شديد الكراهية له، وغاضباً من تعاونه مع الوهابيين وتحالفه معهم، وأعلن سعيد أمام أهالي عُمان أن محمد بن ناصر الجبري هو الذي قتل بدر بن سيف وأخبر أمير الدرعية بذلك ، كما سيطر سعيد على الحصون التي كانت تحت إمرة بدر مثل حصن بركا وحصن المطرح، وجعلها تحت إمرة ابن درة_البلوشي ، وبعد فترة وجيزة من مقتل بدر بن سيف قُتل عمه قيس في المعركة التي دارت قرب خورفكان بين العُمانيين والقواسم عام ١٨٠٦م [١]، وبذلك يكون سعيد بن سلطان قد تخلّص من منافس قوي له، وبمقتله أعلن السيد سعيد نفسه حاكماً على عُمان، وقبض على محمد بن ناصر الجبري ووضعه في السجن [٢]، لكن السيدة موزة أمرت بإطلاق سراحه بعد وساطة قُدمت إليها، فاتجه إلى الظاهرة، ونزل عند الشيخ حميد بن ناصر الغافري، ومنها اتجه إلى الدرعية، وأخبر أميرَ الوهابيين سعودَ بنَ عبد العزيز الأخبار الصحيحة بكيفية مقتل السيد بدر وكيفية وصول السيد سعيد إلى الحكم في عُمان . وفي دراسة تلك الفترة يكون قد تم تسليط الضوء على أهم التغيرات التي شهدتها عُمان قبيل وصول السيد سعيد بن سلطان إلى الحكم، وفي الفصل الثاني سيتم توضيح كيفية توليه منصب السيادة وأهم التطورات التي شهدتها عُمان في عهده من إنجازات سياسية واقتصادية واجتماعية.

Badger . Salil Bin Razik . P. 289.

[١] – ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٤٨٤– ٤٨٥ .

[٢] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان .... ، ص ٣٩.

الفصل الثانـي

السيد سعيد بن سلطان وفترتا حكمه في عُمان

ما بين ١٨٠٦- ١٨٤٠م و ١٨٤٠- ١٨٥٦م.

أولاً– شخصية السيد سعيد بن سلطان:

بعد وفاة السيد سلطان بن أحمد خَلَفَهُ في الحكم ولداه سالم وسعيد*، فالأول كان له من العمر ثماني عشرة سنة، والثاني ولد في مقاطعة سمائل، وكان له من العمر اثنا عشر عاماً، وبعد أن تخلّص السيد سعيد من بدر بتشجيع من السيدة موزة بنت الإمام أحمد بن سعيد، شجعته ليخلف أباه بدلاً من أخيه الأكبر سالم الذي عُرف بهدوء الطبع وتوجهه لمجالس الأدباء والدين، وتزوج السيد سعيد مرات عدة وأنجب عدداً من الأبناء وكان شجاعاً وذا شخصية قوية، ويفوق ذكاؤه وحسن تدبيره السياسي شجاعته(١)، وأصبح السبيل مفتوحاً أمامه لكي يرث والده في الحكم، ويتولى الشؤون الإدارية والسياسية، وكان أخوه سالم سنداً له ينفّذ كل منهما ما يقرّره الآخر، ودخلت عُمان في عهد السيد سعيد مرحلة جديدة حيث استمر حكمه ما يزيد على خمسين عاماً، وفتحت عُمان في عهده أبوابها على الحضارة الأوربية، وكان من أهم الشخصيات التي عرفها الخليج العربي طيلة النصف الأول من القرن التاسع عشر وظلّت عاصمته مسقط من أهم مراكز التجارة والسياسة في حوض الخليج كاملاً، كما امتلكت في عهده أقوى أسطول تجاري حربي في المنطقة بعد بريطانيا(٢)، وعندما وصل إلى الحكم بدأ يعمل على توطيد نفوذه، فقام بالتخلّص من عمته موزة بنت الإمام أحمد، وكان عمه قيس بن سيف حاكم صحار قد ارتاح بمقتل بدر، لأنه تقرّب من السعوديين، لذلك قام قيس بتأييد السيد سعيد ومساعدته لتثبيت حكمه، وانصرف إلى حدود إقليمه في صحار، وعندما استتبت الأمور لصالح السيد سعيد اتجه لإقامة الوحدة بين الأقاليم العُمانية، فتخلص من اليعاربة في مقاطعتي نخل والحزم، واستغل فرصة وفاة عمه قيس، واتجه للسيطرة على إقليم صحار، ومدّ نفوذه إلى الرستاق العاصمة الدينية لعُمان، وكان السيد سعيد يتبع سياسة توسعية سواء في الخليج العربي أو شرقي إفريقية، لذلك لم يستطيع المحافظة على وحدة الأقاليم العُمانية لسنوات عديدة على الرغم من نجاحه في توحيدها، لذلك قام زعماء المقاطعات العُمانية بالاستقلال بمقاطعاتهم هذا فضلاً عن غزوات

---

* سالم وسعيد من أميّن مختلفتين : أم سالم، هي ناجية بنت محمد بنت خلفان البوسعيدي وأم سعيد، هي غنية بنت سيف بن محمد بن سعيد البوسعيدي. عبدالله بن صالح الفارسي، البوسعيديون حكام زنجبار، ترجمة :محمد أمين عبد الله ، ط١ ، العدد الثالث ، ص ١١

(١) الطائي ، تاريخ عُمان السياسي... ، ص ١١٥ .

(٢) مديحة درويش، سلطنة عُمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص٩١ .

السعوديين على الأقاليم العُمانية للقضاء على الوحدة بينها ومحاولات الإباضيين في تثبيت الإمامة، فقد كانت هذه الأسباب التي تؤدي إلى تفكك الوحدة التي حاول السيد سعيد تحقيقها [١].

وحسب ما ذكره الرحالة ويلستد خلال زيارته لعُمان عام ١٨٣٦م أن حكم السيد سعيد لم يكن ظالماً أو مستبداً، كما لم يعرف بالتعسف في جباية الضرائب حيث كان يتم إنفاق الدخل لصالح الرعية والبلاد ، ولم يتبع نظام الحكم المطلق حيث بقيت معظم القبائل العُمانية تمارس حياتها الطبيعية وعلى أنظمتها المألوفة من دون تدخل من السلطة المركزية ، كما لم يكن للسيد سعيد سلطة فعلية داخل عُمان. وعلى الرغم من ولاء شيوخها له فلم يفرض عليهم أية ضرائب أو قيود؛ لأن سياسته توجهت نحو المناطق الساحلية ووجه جلّ اهتمامه لها ، وتميز نظام حكمه بالشورى والتواضع حيث كان لا يفرق بين القريب والبعيد ولا يصدر أية أحكام إلا بعد اجتماع مجلس من الشيوخ والرؤساء وهذا حسب ما أورده الرحالة الأوربيين[٢]، وعلى الرغم من هذه الصفات الحميدة التي تميز بها السيد سعيد إلا أن السعوديين قد أثاروا الشكوك بها من خلال وصفهم له بالمستبد الجائر؛ لكي يثيروا حوله الخلافات العقائدية بين السلفية عقيدتهم والإباضية عقيدة أهل عُمان[٣] وذلك لتسويغ غزواتهم للأقاليم العُمانية.

ولم يحقق السيد سعيد أي نجاح داخل عُمان بسبب استقلال شيوخ القبائل داخل عُمان واعتناقهم المذهب الإباضي، إلا أنه استطاع تحقيق نجاحات عديدة في المناطق الساحلية؛ أي في القسم الإفريقي من ممتلكاته، كما استمرت فترة حكمه في مسقط حوالي الثلاثين عاماً، وبعدها انتقل بمركز حكمه إلى زنجبار تلك الجزيرة التي استقر بها حتى وفاته في عام ١٨٥٦م فلم يكن يذهب إلى عُمان إلا عندما تتعرض ممتلكاته لخطر ما [٤]، كما امتدت قوته البحرية من رأس الرجاء الصالح إلى اليابان ولديه الكثير من الموارد التي يحصل عليها بفضل المبادلات التجارية والرسوم التي يفرضها على السفن التي تمرّ في بلاده والقادمة من الخارج والأموال والإتاوات والهدايا التي يتلقاها من زعماء الداخل والقبائل المجاورة، وتوسع بحدود دولته بشكل واضح، فمن الساحل الشرقي

---

(١) قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقية ، ص ١٤٢ .

(2) - J.R. Wellsted ,Travels in Arabia , Vol. London, 1838, P.7.

(٣) – بن غنام ، روضة الأفكار والإفهام ..... ، ص ١٦٩ .

(٤) – أحمد محمود المعمري ، عُمان وشرقي إفريقية ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ،وزارة التراث القومي والثقافة ، ص ٩٩ . و أيضاً:

Wellsted , Op , cit, Vol ,J , P , 183

لإفريقية مدَّ نفوذه إلى السواحل الجنوبية للجزيرة العربية حتى مدخل الخليج العربي، ومن الساحل الشمالي للخليج إلى سواحل السند.

وهذا دليل على مدى القوة و الطموح التي تميز بهما السيد سعيد، والدور الكبير الذي قام به في إحياء عُمان، ولكن هو في الحقيقة لم يمارس حكمه وسلطته الفعلية على مناطق عُمان كافة بسبب ثورات القبائل في الداخل والمتاعب الخارجية كضغط الإنكليز عليه فقرر مغادرة مسقط وتوجه نحو المناطق الساحلية؛ واستخدم أسطوله في التجارة أكثر من استخدامه في الحروب. ومن أشهر سفن هذا الأسطول : السفينة شاه علم وليفربول وكارولينا وفكتوريا والسلطانة والرحماني وغيرها[١].

ثانياً – الثورات التي قامت ضده وموقفه منها

١. حركة القواسم ١٨٠٧م:

بدأ القواسم نشاطهم في البحر ضد سلطنة مسقط، وحاولوا إخضاعها لسيطرتهم، وكان السيد سعيد يعمل جاهداً على إثبات قوته ومقدرته العسكرية بجدارة ، لذلك قرر أن يبدأ عملياته الحربية مع القواسم، واختار أن تكون خورفكان مركزاً للقتال ، حيث بنى شيخ القواسم سلطان بن صقر القاسمي قلعة وميناء جعله قاعدة عملياته البحرية في خليج عُمان ، وكتب السيد سعيد إلى القبائل المجاورة يطلب منها الدعم كآل وهيبة والحجريين والحرث وبني بوحسن والشيخ محمد بن مطر صاحب الفجيرة وزعيم قبيلة الشرقيين[٢] ، وفي عام ١٨٠٨م أبحر إلى ميناء خورفكان، واقتحمت قواته وقوات والي صحار المدينة عنوةً، وقتل العديد من أهلها، واستحكموا في الأبراج على الجبال ، وعندما سمع شيخ القواسم سلطان بن صقر أخبار هذا الهجوم كان يقيم في جزيرة قشم ، فقام بجمع قوة من القواسم، وتوجه بها إلى خورفكان وعندما وصلت الشاطئ اصطدموا بالسيد قيس بن أحمد الذي نزل عليهم من الجبال برفقة رجاله، ليصطدم مع السيد سعيد بن سلطان في معركة كبيرة حُسمت نتيجتها لصالح السيد سعيد حيث نجا منها بصعوبة بعد أن تخلّص من السيد قيس بن أحمد وقتله ، وعندما علِم السيد سعيد بتغلغل النفوذ السعودي بين رعايا عدوه الشيخ سلطان بن صقر ردّ على ذلك بفتح باب الصلح مع زعيم القواسم، فغضب حاكم الدرعية من ذلك، وقام باستدعاء الشيخ سلطان بن صقر وعيّن مكانه الشيخ حسن بن علي، وعيّن الشيخ حسن بن رحمة القاسمي في رأس الخيمة[٣].

---

(١) – نجاح محمد و كاميليا أبو جبل ، تاريخ الجزيرة العربية المعاصر ، ط٤ ، جامعة دمشق ٢٠٠٦–٢٠٠٧م ، ص ٢٦٤ . و قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا.... ، ص ١٤٣ – ١٤٤

(٢) – ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٢٢٣ .

(٣) – عبد الله ، إمارات الساحل وعُمان ... ، ص ٢١٥

كما جهز السيد سعيد حملة توجّه بها إلى شيناص عام ١٨٠٩م وقبل إعدادها قام بتوقيع معاهدة سلام مع الوهابيين عام ١٨٠٨م، خوفاً من أن يقوموا بطعنه أو غدره من الخلف خلال توجهه إلى شيناص ، خاصة أن محمد بن ناصر الجبري كان متعاوناً مع القائد الوهابي مطلق المطيري[١]، ويعود السبب الذي جعل السيد سعيد يوقّع معاهدة سلام مع الوهابيين لتنفيذ حملته ضد القواسم حلفاء الوهابيين و سوء العلاقات خلال عام ١٨٠٨م بين الشيخ صقر بن سلطان وأمير الدرعية بعد أن دسّ الزعابيون أهالي جزيرة الحمرا الدسائس ضد الشيخ صقر، فاغتنم السيد سعيد تلك الفرصة، وقرّر الاستيلاء على شيناص وخوركلبا وخورفكان بعد أن فشل في تلقي المساعدة من الحكومة البريطانية بسبب انشغالها بمواجهة القواسم في رأس الخيمة، وعندما وصلت قواته إلى شيناص وجدها محصنة، وتعذّر عليه الاستيلاء عليها، فتوجّهت الحملة إلى خورشيل وتمّ الاستيلاء عليها، وبعد عدة أيام تعرّضت الحملة لهجوم قوات كبيرة من القواسم أجبرتهم على الانسحاب منها، وعاد السيد سعيد إلى مسقط، وما يزال مصمماً على مواجهة أهالي شيناص والاستيلاء عليها ، فقرر طلب المساعدة من الإنكليز مرة أخرى الذين كانوا قد انتهوا من حملتهم على رأس الخيمة عام ١٨٠٩م، لذلك لبوا طلبه، وأرسلوا له قوة استطاع أن يدخل بها مدينة شيناص* فوجدها مدمّرة [٢].

واستمرت محاولاته في ملاحقة القواسم لإخضاعهم، وعندما شعر بتراجع الإنكليز في مساعدته توجّه بطلب المساعدة من إيران، فرحب الشاه بطلبه لأنه كان حاقداً على القواسم عندما وقفوا في وجه قواته، وأبعدوهم عن البحرين ، لذلك أرسل قوة إلى عُمان تكوّنت من ألف وخمسمائة مقاتل بقيادة محمد بن هلال وسعدي خان[٣]. وجاءت الظروف المناسبة للسيد سعيد ليوجه أقوى حملاته ضد القواسم بعد وفاة القائد الوهابي مطلق المطيري* الذي تميز بالعنف والبطش والقسوة ، حيث تمّ قتله على يد رجل من قبيلة الحجريين عام ١٨١٣م ، وبعدها جاء شيخ القواسم سلطان بن صقر القاسمي من الدرعية إلى مسقط، وتعهّد للسيد سعيد أنه سيكون تابعاً له مقابل أن يعيد له مركزه في رأس الخيمة، وقدرت الظروف ليصبح شيخاً للقواسم وأخذ مركزه في الشارقة ، وعندما توفي

---

(١) - أبو حاكمة ، تاريخ الكويت الحديث ... ، ج١ ، ط١ ، ص ١٤٥.

(٢) – غباش ، عُمان الديمقراطية الإسلامية ... ، ص ١٩٢

(3) Mills . The countries and Tribes of Persian Gulf . VoL . I .P .318.

أيضا : ابن بشر، عنوان المجد ... ، ج١ ، ص ١٥٤

* **مطلق المطيري:** أقدر سياسي وأكفأ قائد ظهر في تاريخ الجزيرة العربية ينتمي إلى قبيلة مطير النجدية التي اشتهرت بالشجاعة والإقدام ، انظر : ابن بشر ، عنوان المجد ...، ج١ ، ص ٢٣٢.

عزان بن قيس* قام بمدّ نفوذه إلى صحار، وقتل الأمير الوهابي السعودي سعود بن عبد العزيز، الأمر الذي خفّف الضغط الوهابي على عُمان فترة من الزمن[١].

٢. ثورة بني بوعلي ١٨٢١م :

قبيلة بني بوعلي تعود بأصولها الأولى إلى نجد ، وقد اعتنقت المذهب الإباضي منذ أن هاجرت إلى عُمان في السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، واستمرت على هذه العقيدة حتى تحوّل أفرادها إلى التعاليم السلفية في أثناء الغزو السعودي لعُمان بين عامي ١٨٠١- ١٨١١م ، وأعلنت هذه القبيلة انفصالها عن حكومة مسقط بعد أن خضعت للنفوذ السعودي حيث بادر زعماؤها إلى الاستقلال بمقاطعاتهم في إقليم جعلان في الجنوب الغربي من مسقط ، واستمر السيد سعيد بمحاولاته للاستيلاء على القبيلة مرات عدة لكن دون جدوى[٢]، وهذا السبب الذي جعله يتوجه لطلب المساعدة من حكومة الإنكليز الذين أظهروا استعدادهم لمساعدته، لكن ذلك لم يكن على رغبة خالصة منهم في مساعدته على قمع الثائرين في بلاده، بل كانوا في الباطن يحاولون إثارتهم عليه ، حيث بنت الحكومة البريطانية سياستها على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لمناطق الخليج والجزيرة العربية ، لكن عندما أصبحت هذه القبيلة تقف حاجزاً أمام السفن البريطانية، وتشكل خطراً عليها قامت الحامية البريطانية الموجودة في جزيرة قشم بالاستجابة لمساعدة السيد سعيد ، وعلى الرغم من ذلك هُزِمت الحملة البريطانية التي انضمت إلى السيد سعيد عام ١٨٢١م وأُصيب السيد سعيد بجروح كثيرة [٣] ، وتبينت هذه الأحداث في الوثائق المصرية والرسالة التي بعثها محمد علي إلى الصدر الأعظم والتي أوضح فيها تحركات الإنكليز في عُمان ، وبينت هذه الرسالة اهتمام محمد علي المتزايد بأوضاع شرقي الجزيرة العربية حيث أدى إلى اصطدامه بالسياسة البريطانية في الخليج، وخاصة بعد نجاح الحملة المصرية في إخضاع نجد ووصولها إلى سواحل الإحساء في عام ١٨١٨م ، وتبين أن قبيلة بني بوعلي من توابع القواسم (الجواسم) وكانت في الأصل تحت طاعة

---

* **عزان بن قيس** : تولى الحكم في فترة يقظة ونمو الشعور القومي لشعب عُمان، وحاول جمع الشعب العُماني وتوحيده تحت لواء واحد، لكنه لم يستمر بالحكم لأن بريطانيا عملت على تقويض إمامته، وخاصة أن أتباعه الإباضيين كانوا متشددين في كراهيتهم للأجانب وعملت بريطانيا على إنهاء نظام الإمامة بزعامة عزان وساعدت تركي بن سعيد على العودة بعد أن أبعدته إلى الهند وجمع القبائل وقتل عزان . محمد ، وأبو بوجبل ، تاريخ الجزيرة العربية المعاصر ... ص ٢٧٠ .

[١] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ١٥١.

[٢] – السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج٢ ... ، ص ١٨٨ .

[٣] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ١٤٦

حاكم مسقط، وقامت بالعصيان ضد هذا الحاكم وحاربته في معارك عديدة ولم يستطع التغلب عليها وأدى إلى هزيمته إلى مسقط ، فبادر بطلب المساعدة من الإنكليز حيث أرسلوا إليه العساكر والمعدّات، وجرت حروبٌ عظيمة بينهم وبين هذه القبيلة وفي أثناء الحرب قُتل العديد من سكان القبيلة مقدار مئة وعشرين نفراً، وقُتل قائد العساكر الانكليزية وأربعون نفراً منهم ، كما أُصيب إمام مسقط في ذراعه فتراجع منهزماً إلى مسقط (١).

وحسب ما ذكرته المصادر التاريخية المتوفرة أن هذه الهزيمة كانت السبب التي جعلت حكومة الهند البريطانية ترسل على الفور قوة بحرية بقيادة الكولونيل ليونيل سميث Smith لمساعدة السيد سعيد والاستيلاء على قلعة جعلان وتسليمها له وإهدائه سيف الشرف لاشتراكه في القتال (٢). وأكدت الوثائق السعودية أن بعد الانتصار الذي حققه السيد سعيد على قبيلة البوعلي مستعيناً بالإنكليز وصل إلى ذروة قوته في مشرق الجزيرة العربية وكان هذا العام فاتحة خير له، حيث إنه لم يصل إلى هذا المستوى في أية مرحلة من مراحل عهده الذي استمر خمسين عاماً وعلى أثر إخضاع البوعلي أصبح السيد سعيد الحاكم الفعلي لعُمان من دون منازع له ، فاستفاد من التدخل المصري في الجزيرة العربية وعلى أثره تخلص من السعوديين كما ساعده الإنكليز على التخلص من القواسم وحلفائهم من قبيلة البوعلي (٣).

وعلى الرغم من النجاح الذي حققه السيد سعيد في السيطرة على الأقاليم العُمانية إلاّ أنها ضعفت وتفككت، ويعود السبب في ذلك إلى سياسته التوسعية في الخليج وانشغاله عن تنظيم شؤون الأقاليم وتصديقه للإنكليز وزيادة ثقته بهم والتماشي مع سياستهم، وانشغاله في تدعيم مملكته في شرق إفريقية ، لذلك بدأ السيد سعيد يواجه ضغوطاً من الإباضيين المحافظين داخل البلاد والسعوديين الذين استطاعوا إثبات وجودهم في واحة البريمي ، ووالي صحار الذي قام بفصل إقليمه عن مسقط، وقاد ثورة ضد السيد سعيد، فضلاً عن الثورات الإباضية المتتابعة وتوتر العلاقات بينه وبين القوى المجاورة.

---

(١) – الوثائق المصرية ، محافظ الحجاز ، دفتر رقم ٤ ، مكاتبة من محمد علي إلى الصدر الأعظم بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٣٦هـ ، ١٥ يونيو ١٨٢١م . و قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا .. ، ص ١٤٧ .

2- Bombay Government , Selections from the Records of Bombay Government , New Series 1863 , VoL . I , London , 1865 . P , 279.

(٣) – الوثائق السعودية (تسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي والمملكة العربية السعودية) ، العرض التاريخي ، ج١ ، ص ١٤٩.

٣. ثورة صحـــار* ١٨٢٩ :

لمّا كان ولاة صحار يُعّينون من بين أفراد الأسرة الحاكمة ، حاول الكثير منهم انتزاع الحكم من سلاطين مسقط ، وأولى هذه المحاولات هي التي قام بها قيس بن الإمام في بداية حكم السيد سعيد والتي كان من أحد نتائجها أنه حرم السيد سعيد أبناء قيس من الولاية على ذلك الميناء ، واستمرت الأمور تسير على هذه الحال حتى انتهز حمود بن عزان (وهو الذي ينتمي إلى أحد فروع أسرة البوسعيد) فرصة توجّه سعيد بن سلطان باهتمامه إلى الشرق الإفريقي وانصرافه عن إدارة شؤون عُمان الداخلية نتيجة التفكك والحروب الأهلية وضغط الإنكليز عليه، فقام بالاستيلاء على صحار في عام ١٨٢٩م، ومدّ نفوذه للسيطرة على معظم المقاطعات العُمانية مثل : شيناص ،الخابورة و السويق* واتجه إلى مهاجمة مسقط(١) وكانت حكومة بومباي الإنكليزية تسعى لحماية مسقط ووقفت ضد أي محاولة نجاح يقوم بها حمود بن عزان، حيث بادرت في إرسال بعض قطع أسطولها إلى ساحل الباطنة على مقربة من ميناء مسقط واحتج المقيم البريطاني في الخليج احتجاجاً شديداً يحذر به من القيام بأي عمل ضد السيد سعيد(٢).

وبعد محاولة حمود بن عزان السيطرة على مسقط أعلن السيد سعيد الحرب عليه في شباط عام ١٨٣١ لانتزاع صحار منه، وبدأ بطلب مساعدة من القبائل المجاورة واستمالتها إلى جانبه بالأموال وكان من بينهم الشيخ رشيد بن حميد النعيمي حاكم عجمان والشيخ صقر القاسمي حاكم الشارقة "سلطان بن صقر "، فالأول أخذ الأموال دون تقديم المساعدة ، أما الثاني أخذ الأموال و أرسل قوة قليلة العدد، وفشل السيد سعيد في هجومه على صحار، واهتزت سمعته؛ لذلك اضطر أن يعقد هدنة مع حمود ابن عزان نصّت على أن يقوم الأخير بحكم صحار بشرط أن يعترف بتبعيته للسيد سعيد(٣)، فاستغل بن عزان نقمة الإباضيين على البوسعيد، وكسب أعداداً كبيرة منهم إلى جانبه

---

* **ميناء صحار** : يقع على ساحل الباطنة، ويبعد حوالي مئة ميل شمال غربي مسقط، ويعود حكّام البوسعيد بأصولهم الأولى إلى أحد ولاة ذلك الميناء، وهو الإمام (أحمد بن سعيد) . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي، ج ٧ ، ص ٢٣٩٨ .

* **السويق** : مدينة وميناء على ساحل الباطنة في سلطنة عُمان ، يسكنها الصوالح والبلوش والإيرانيين ويعيشون على زراعة النخيل وأعمال الملاحة . لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٧ ، ص ٢٤١٣

(١) – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان ... ، ص ١٥٤

(2) Aitchison . AcoLLection of Treaties … VoL . XII . P . 805

(3) Bombay . Government . Selections from the Record . No . XXIV . P . 202

أيضا: تاريخ عُمان في عهد البوسعيد ١٧٨٤ – ١٨٥٦ ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ، إعداد : علي يوسف البلخي ، دمشق ١٩٩١ ، ص ٩٦ .

وحاز على نفوذاً شعبياً كبيراً، كما وجّه اهتمامه إلى إقليم الرستاق، ونجح في السيطرة عليه، وكسب تأييد الناس له حيث أمر بتخفيض الضرائب وسيادة العدل، فنودي به إماماً في الرستاق عام ١٨٤٦[١].

ولم تعمل هذه الاتفاقية على تهدئة الموقف بين الطرفين، فمن جرّاء النصر الذي حققه حمود بن عزان قام السيد سعيد بمهادنة الوهابيين حيث تحالف مع سعيد بن مطلق المطيري "المفوض السعودي في عُمان " وكان الهدف من ذلك القضاء على حمود بن عزان فتعّهد السعوديون بمحاصرة صحار برّاً في الوقت الذي تتقدم فيه سفن السيد سعيد لمحاصرة الميناء بحراً[٢]، ووقف الإنكليز إلى جانب السيد سعيد بناءً على طلب منه، ولا سيما بعد انسحاب حمود بن عزان من صحار وتمركزه في إقليم السويق وهجومه على مسقط ، فعلى أثر ذلك سارعت الحكومة البريطانية إلى إرسال أسطولها للمرة الثانية للوقوف ضد الخطط التوسعية التي يهدف إليها حمود بن عزان، فاستغلت الحكومة البريطانية الأحداث الجارية بين السيد سعيد وحمود بن عزان وهدفت إلى تحقيق مصالحها فقد وقفت إلى جانب السيد سعيد، وقدّمت الدّعم له، لكن من دون أن يكون قوياً وكانت تحرص على الاستفادة من الاضطرابات السائدة في السلطنة والتي قد تؤدي إلى إضعافها بعد أن امتدت امتداداً واسعاً في الخليج العربي وشرق إفريقية، وفي الوقت نفسه خشيت أن يخرج الأمر من يد حليفها السيد سعيد إلى آخرين لا تطمئن لهم [٣]، حيث كانت إنكلترا تتدخل في الأحداث كلما أوشك السيد سعيد على الانهيار، ولكن تقدم له المساعدة بقدر ما توقفه على قدميه فقط، وتنفيذاً لهذه السياسة توسطت إنكلترا إلى عقد اتفاقية ١٨٣٩م بين السيد سعيد وحمود بن عزان تنص على انفصال صحار عن مسقط[٤]، وعلى السيد سعيد تقديم المساعدة لحاكم صحار في حال تعرّضه لأي خطر خارجي، واستمرار العلاقات التجارية بين الطرفين كما عملت الحكومة البريطانية على تثبيت استقلال صحار، حيث وقعت معاهدة عام ١٨٤٩م مع حمود بن عزان خاصة بإلغاء تجارة الرقيق، وتوقيع هذه الاتفاقية من دون الرجوع إلى السيد سعيد يعني اعترافها باستقلال صحار عن مسقط، وبدأت محاولات حمود بن عزان للتخلص من بنود اتفاقية ١٨٣٩م وبدأ يعمل على تحريض الرؤساء

---

[١] – السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ....، ج٢ ، ص ٢٣٧ . وانظر أيضا :
Wellested . Travels in Arabis . VoL . XII . P . 801

[٢] – وثائق سعودية ، عرض حكومة المملكة العربية السعودية ، ج١ ، ص ١٦٨ .

[٣] – تاريخ عُمان في عهد البو سعيد ١٧٨٤– ١٨٥٦ ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٩٧ .

[٤] – قاسم ، دولة البو سعيد في عُمان .... ، ص ١٥٧

المؤيدين للسيد سعيد ونجح في استمالتهم إلى جانبه كما سافر إلى بومباي ليحظى بتأييد الحكومة البريطانية له ضد السيد سعيد، لكن الحكومة لم تُبدي أية استجابة له لأنها لم تكن ترغب في القضاء على حكم حليفها السيد سعيد[١]، وتلقى السيد حمود إنذاراً من حاكم بومباي ينذره بعدم الإخلال بالوضع القائم في مسقط وعدم القيام بحرب ضدها فعاد حمود إلى صحار وتنازل عن الحكم لابنه سيف الذي اتبع سياسة مخالفة لسياسة أبيه وهي استئناف القتال ضد السيد سعيد وتقربه من السيد ثويني[٢] وإقامة علاقات ودية معه، ولما كانت سياسته مخالفة لسياسة والده بادر الأخير للتخلص من ابنه وعاد إلى حكم صحار عام ١٨٤٩ لكنه لم يستمر طويلا بسبب تحريض السيد سعيد ابنه ثويني في إلقاء القبض عليه واحتجازه في قلعة مسقط الشرقية حتى وافته المنية [٣].

ولم تنته الثورة بوفاة حمود بن عزان، بل قام أخوه قيس بتجهيز قوة للأخذ بثأره في الوقت الذي وقفت فيه الحكومة البريطانية إلى جانب السيد سعيد بعد أن تشككت من صدق نوايا حمود ابن عزان وعدم تماشيه مع سياستها، فتزعم قيس الثورة واستمال سلطان بن صقر حاكم الشارقة وزعماء قبيلة النعيم في البريمي وظاهرة عُمان، أما السعوديون فقد وقفوا على الحياد، لأنهم كانوا يأخذون الزكاة من مسقط وصحار[٤]، ومن نتائج ثورة قيس بن عزان الاضطرابات الشديدة التي جرت في عُمان، وأدت إلى قدوم السيد سعيد من زنجبار إلى مسقط لكي يعالج الأمور حيث استطاع القضاء على التحالف بين قيس وسلطان بن صقر، واستمال القبائل المجاورة كالظاهرة وجعلان إلى جانبه، ودخل في محادثات مع قيس انتهت بتوقيع اتفاقية عام ١٨٥٠ جاء فيها تخلي قيس عن صحار على أن يحكم الرستاق بدلاً منه [٥]، وأن يدفع مقابل ذلك مائتي ريال شهرياً، ويبقى على ولايته لمسقط، كما أسند حكم صحار إلى ابنه تركي[٦].

---

(1) Bombay Government . Selections from the Record . No . XXIV . P . 307.

(٢) – السيد ثويني : ابنا للسيد سعيد كان يحكم مسقط نيابة عن والده خلال إقامته في زنجبار . الفارسي ، البوسعيديون حكام زنجبار ... ، ص ١٩

(3) – Badger . Salil Bin Razik .P. 361

(٤) – ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٥٤٩

(٥) – صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ج١ ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ٢٧٨ .

(6) - Aitchison , Acollection of Treaties . VOL .XII . P . 80

وانظر : ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ٥٥٠ .

ثالثاً – توسع السيد سعيد في المناطق الداخلية المجاورة

ازداد النشاط البحري للقواسم في عهد السيد سعيد ضد السفن الأجنبية العابرة من مياه الخليج كما ظهرت الحركة الوهابية ووصلت القوات المصرية إلى سواحل الخليج؛ متغلغلة في قلب الجزيرة العربية، فضلاً عن محاولات الحكومة البريطانية من توطيد نفوذها في سواحل الخليج والجزيرة العربية واستقرار الأسر الحاكمة في إمارات الخليج، سبق أن ذكرنا أن بريطانيا اتبعت سياسة الحيلة لتثبيت وجودها وحرصها على تأمين التجارة والملاحة ومقاومة النشاط البحري، ومنع تجارة الرقيق، ومساعدة حليفها السيد سعيد كلما تعرض للخطر، ومنعها لقيام أية قوى محلية أخرى تهدّد وجودها كما قامت بعقد معاهدات مع رؤساء القبائل المجاورة واتبعت سياسة استعمارية استهدفت من ورائها السيطرة المطلقة على الخليج العربي لأهمية موقعه الاستراتيجي؛ كونه الطريق الذي يصل بينها وبين امبراطوريتها في الشرق[1] ، وعندما شعرت بتهديد مصالحها نتيجة هجوم نابليون بونابرت ومحمد علي تذرعت بسياسة تحقيق الأمن في الخليج وبدأت نشاطها البحري بتجهيز حملات قمعية ضد القواسم وغيرهم من القبائل ونجحت بريطانيا في هذه المحاولات وبسطت سيطرتها على الساحل الجنوبي للخليج، وأطلقت عليه اسم ساحل القرصان أو الساحل المهادن* Trucial Coast

كما تقربت بريطانيا من البحرين، وعملت على ربطها بسياستها بمجموعة من المعاهدات غير المتكافئة تعهدّت بموجبها ألّا تقوم بعقد أي معاهدة خارجية إلا بموافقة بريطانيا، مقابل حماية الحكومة البريطانية لها ضد أي خطر خارجي[2]، ولم يكن الخليج العربي مطمعاً لبريطانية فقط؛ وإنما ظهرت أطماع خارجية أخرى للسيطرة عليه خاصة على سلطنة مسقط ، فاستطاعت بريطانيا أن تقف ضد تلك المحاولات جميعاً لتنفيذ سياستها الهادفة إلى بسط سيطرتها المنفردة على سواحل الخليج واهتمامها بالأنشطة البحرية أو سياسة القرصنة ضد القوى المحلية وخاصة القواسم واجتذاب السيد سعيد إلى جانبها، حيث استفاد من وراء ذلك بإقامة علاقات صداقة وطيدة معها للحصول على تأييدها له ضد الثورات الانفصالية في الأقاليم التابعة له ، وبدأت حملاتها ضد القواسم عام ١٨٠٤ وعقدت أول اتفاقية معهم عام ١٨٠٥ تعهد فيها القواسم باحترام العلم البريطاني وعدم

---

(١) – عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، الرسالة الأولى من رسائل الأهالي ، بغداد ١٩٣٥ ، ص ٤٥

* **الساحل المهادن** : كان يعرف باسم الساحل العربي للخليج، ثم أطلق عليه الأوربيون اسم ساحل القرصان Pirate Coast وبعد عقد معاهدة ١٨٥٣م صار يعرف باسم الساحل المهادن أو ساحل الصلح البحري وعدد شيوخ هذا الساحل يختلف من حين إلى آخر، وفقاً للسياسة البريطانية . قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، ج٢ ، ص ١٥٣ .

(٢) – ابن رزيق ، الفتح المبين .... ، ص ٥٤٨ .

التعرض لممتلكات البريطانيين وأرواحهم، لكن هذه المعاهدة لم تستمر طويلاً، حيث أخذت محاولات القواسم طريقها ضد الوجود في الخليج(١) .

وبدأت محاولات القواسم تظهر بشكل واضح في التصدي للسفن الأجنبية في عام ١٨٠٨م، حيث ذكر سابقاً أنهم امتلكوا قوة بحرية ضخمة وأسطولاً كبيراً استطاعوا من خلاله منافسة الأسطول البريطاني وفرض الرسوم على سفنه لحماية مشيخاتهم على ساحل الخليج العربي، حيث قاموا بالتصدي لسفينة بريطانية قادمة من بومباي إلى البصرة، وقتلوا قائدها ومعظم بحارتها وقاموا بتدميرها(٢)؛ لذلك قامت بريطانية بوقف الأعمال العدوانية خوفاً على حليفتها عُمان من تعديات القواسم والقوى الخارجية. فهذه الأسباب هي التي دفعت الحكومة البريطانية في الهند إلى القيام بحملة ١٨٠٩م ضد القواسم لحماية مسقط حليفتها التي تضمن من خلالها حماية مصالحها في سواحل الخليج وتحويله إلى بحيرة بريطانية(٣).

١. الحملتان على رأس الخيمة ١٨٠٩ و ١٨١٩:

قاد الكولونيل ليونيل سميث حملة إلى رأس الخيمة عام ١٨٠٩ لتحطيم مركز القواسم، واستطاع أن يهزمهم مع حلفائهم السعوديين، وأوقع بهم خسائر فادحة على الرغم من قوتهم البحرية والعسكرية، وتوجهت الحملة إلى الساحل الشرقي من الخليج للقضاء على القواسم في موانئ لنجة ولفت، وذلك بناءً على طلب من السيد سعيد وبعدها إلى شيناص الواقعة على ساحل كرمان والتي كانت تحت سيطرة الفرس(٤) ، فدخلوها ولم يعترض نادر الشاه على هذه الحملة، بل شجع كل من السيد سعيد والإنكليز للقضاء على القواسم وحلفائهم لذلك اتخذوا من قلعة شيناص قاعدة لنشاطهم البحري، وقاموا بتسليمها إلى السيد سعيد الذي لم يجد سهولة في امتلاكها بسبب الأطماع المتركزة حولها(٥)، ولم تنتهِ حملة ١٨٠٩ م بتوقيع معاهدة سلام مع القواسم مثلما حصل بعد حملة ١٨٠٤م التي انتهت بتوقيع معاهدة ١٨٠٥م وحملة ١٨١٩م التي انتهت بتوقيع معاهدة السلام ١٨٢٠م، ويعود سبب ذلك أن السيد سعيد حاول أن يتقرب من الشيخ سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة، ويعقد صلحاً معه، ولكن محاولته لم تنجح بسبب إرسال الشيخ سلطان إلى الدرعية بتحريض من

---

(1) Philip Ireland , Iraq" A Study in Political Dervelopment " , London , 1945 , p . 32.

(2) William Heude , A voyage up the Parsian Gulf , and Journey over land from India to England in 1817,London ,1819 . P. 37.

(3) Bombay , op , cit . P. 52

(٤) – رودلف سعيد رويت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١– ١٨٥٦ حاكم عُمان وزنجبار ، ترجمة : د. سامي عزيز، جامعة القاهرة ١٩٨٣ ، ص١١٩ .

(5) Lewis Burchardt , Notes on the Bedouuins, and Wahabys , vol . 2, London , 1831, P 206

السعوديين لتخريب علاقته مع السيد سعيد وبقائه بها حتى تمت إعادته إلى مشيخته من قبل محمد علي الذي بدأ باستمالة زعماء القبائل المجاورة للحصول على دعمهم في تحقيق أهدافه في سواحل الخليج العربي [1]، وفي عام ١٨١١– ١٨١٣م تحطّمت العديد من السفن البريطانية والفارسية في مينائي البصرة وبندر عباس وغيرها من موانئ الخليج، وكان ذلك سبباً في ضعف حملة ١٨٠٩م وفشلها في القضاء على النشاط البحري للقواسم، فضلاً عن التحصينات التي قام بها القواسم على الساحل؛ خوفاً من وصول قوات إبراهيم باشا ابن محمد علي فبنوا قلعة كبيرة في باسيدور جنوب غرب جزيرة قشم[2].

وهذا السبب الذي أدى إلى قيام الحكومة البريطانية بتجهيز حملة جديدة عام ١٨١٩م بعد أن رفض ابراهيم باشا التحالف معها ضد القواسم وحلفائهم السعوديين للتخلص منهم في سواحل الخليج ، وبدأت مراسلات التهنئة من الحكومة البريطانية إلى إبراهيم باشا لانتصاره في الدرعية ووقوفه إلى جانبها لقمع النشاط البحري للقواسم ، لكن إبراهيم باشا رفض التقرّب منها بناءً على توصيات محمد علي الذي كان مشغولاً بأمور نجد من جهة، وحريصاً على عدم التقرب من الإنكليز من جهة أخرى[3].

فعادت الحكومة البريطانية إلى التحالف مع السيد سعيد لتجهيز حملة جديدة ضد القواسم وحلفائهم ١٨١٩م، وهدف السيد سعيد إلى تقوية علاقاته مع بريطانيا لتحقيق أهدافه في مقاطعات الخليج[4]، انطلقت هذه الحملة بقيادة السير ويليام جرانت كير Keir ، وتمكنت من تحقيق انتصارٍ كبيرٍ على القواسم، وقضت على نشاطهم البحري والبري[5]، وسيطر من خلالها الإنكليز على الساحل الجنوبي للخليج، وتمّ عقد الاتفاقيات بين قائد الحملة السير جرانت وشيوخ القبائل المجاورة لتحقيق الأمن والسلام، وتمّ جمعها في معاهدة واحدة هي معاهدة ١٨٢٠م ونصت على:

– امتناع العرب جميعاً الموقعين عليها عن أعمال القرصنة والنهب وتجارة الرقيق.

– أن تلتزم السفن العربية بحمل وثائق تدل على هويتها وحمولتها وأعداد بحارتها، وألاّ تعارض التفتيش البحري الذي فرضته الحكومة البريطانية .

---

(١) – جورج بيرسي بادجر، مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عُمان ، ترجمة : د. محمد علي الداوود ، ط٢ ، ٢٠١٢م ، ص ٨٤

(2) Wellsted , op . cit , vol .I , P . 250.

(٣) – عبد الحميد البطريق، ابراهيم باشا وحروبه في بلاد العرب ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٦ .

(4) Bombay Gpvernment , Selection from the records of Bombay Govwrnment New Series no XXIV , Bombay , 1856 , p . 314.

(٥) – ابن بشر ، عنوان المجد ... ، ج١، ص ٣٢٣ .

-كان هدف كرانت من هذه المعاهدة هو القضاء على الدولة السعودية الأولى، وبالتالي فقدان القواسم للمساعدات التي يتلقونها منها[1].

ولم يكن هدف الحكومة البريطانية من هذه الحملة عقد معاهدات مع القواسم ورؤساء القبائل؛ بل كانت تهدف إلى تثبيت وجودها في المنطقة وحماية مصالحها والقضاء عليهم متمسكة بمعاهدة ١٨٢٠ التي كانت الداعم القوي للنفوذ البريطاني على الساحل الجنوبي للخليج، كما شجعت على التقارب بين بريطانيا وأعدائها السابقين وتأمين التجارة البريطانية على ساحل الخليج [٢]، وتلقى السير جرانت معارضة شديدة من الحكومة البريطانية في الهند بسبب التسهيلات التي قدمها للرؤساء العرب عندما أصدر عفواً عنهم، وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم على أساس التحالف مع الحكومة البريطانية. فعلى الرغم من ذلك استطاع جرانت إقناع الحكومة البريطانية لتصديق هذه المعاهدة ونجح في ذلك وأُطلق على الرؤساء الموقعين عليها اسم الرؤساء المتصالحين ، ولم تؤدِ هذه المعاهدة إلى القضاء الكامل على النشاط البحري للقواسم على الساحل على الرغم من نجاحها الكبير، وهذا ما جعل الحكومة البريطانية تعمل على تجديد هذه المعاهدة مرتين في عامي ١٨٣٥ و١٨٣٧م ، وفي عام ١٨٤٣م تعهد رؤساء الساحل جميعهم على تنفيذ شروط هذه المعاهدة لمدة عشر سنوات وصولاً لعام ١٨٥٣م وبعد أن تنتهي يتم استبدالها بمعاهدة جديدة تضمن فيها بريطانيا سيطرتها على الساحل الجنوبي للخليج [٣].

٢. حروبه ضد الوهابيين وحلفائهم القواسم ١٨٠٧- ١٨٢٠

امتدت غزوات السعوديين إلى الأقاليم الشمالية من عُمان في عهد السيد سلطان بن أحمد، شكّل السعوديون خطراً كبيراً في بداية القرن التاسع عشر، وفتحت الفرصة أمامهم للسيطرة على الأقاليم العُمانية مستفيدين من الصراع الأسري على الحكم. وبعد استلام السيد سعيد الحكم في عُمان تطورت علاقاته مع السعوديين، وحصلوا منه على العديد من التسهيلات من خلال معاهدات وقعها معهم وتظاهر بصداقته لهم على الرغم من قتله لحليفهم بدر بن سيف، وتخلصه من الحامية

---

(1) Ricgard Sanger , The Arabian Peninsula , New York , 1954 ,p. 172.

(٢) – جمال زكريا قاسم ، الدوافع السياسية لرحلات الأوروبيين إلى نجد والحجاز ، من أعمال ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ١٩٧٧ ، ص ٧٨

(٣) – البوريني ، الإمارات السبع على الساحل الأخضر ، ص ١٥١- ١٥٢ . و عبد الله ، إمارات الساحل وعُمان ... ص ١٦٩.

السعودية في بركة[١]، وشكّل السعوديون خطراً كبيراً على السيد سعيد، فلم يكن أمامه سوى أن يتقرب منهم خوفاً من إزاحته عن الحكم وبدأ يظهر موالاته لهم وترحيبه بصداقتهم واحترامه للاتفاقيات معهم وكان هدفه من ذلك تثبيت وجوده واستقراره في الحكم، لكن السعوديين كشفوا ذلك وأظهروا عداءهم له وبدأت الحروب بين الطرفين في عام ١٨٠٨م تعرضت الأقاليم العُمانية للخطر وأصبحت تحت السيطرة السعودية، وألحق السيد سعيد بهزائم فادحة وخاصة في أثناء الهجمات التي شنّها القواسم حلفاء السعوديين على السواحل العُمانية فسارعت بريطانيا لدعمه، وقمع النشاط البحري للقواسم ١٨٠٩م، لذلك أظهر السيد سعيد عداءه للسعوديين ونقض المعاهدات جميعها التي كان قد وقعها بدر بن سيف معهم[٢].

وبعد حملة ١٨٠٩م عمل الإنكليز على تفريغ قواتهم العسكرية لمواجهة القواسم، ولم يتدخلوا في الصراعات الداخلية بين السعوديين والسيد سعيد الذي كان مطمئناً بوقوف الإنكليز إلى جانبه، وكان موقف الإنكليز هذا فرصة فُتحت أمام السعوديين لاستكمال صراعهم ضد السيد سعيد، وتمّ توقيع اتفاقية بين القائد السعودي مطلق المطيري والقائد الإنكليزي ليونيل سميث، ومن أبرز شروطها :

– عدم تعرّض السعوديين وحلفائهم لأية سفينة تخصّ بريطانيا .

– تتعهد بريطانيا بعدم تقديم أية مساعدة للسيد سعيد في حال رفضه دفع الزكاة المقررة عليه من السعوديين أو انتهاكه لتعهداته معهم[٣].

وبدأت علاقات الصداقة والمهادنة بين السعوديين وبريطانيا حيث تبين ذلك في رسالة أرسلها الأمير سعود إلى هنكي سميث المقيم البريطاني في الخليج يقول فيها: " رأيت من الضروري بأن أخبركم أنني لن أدنو من شواطئكم وأنني منعتُ أتباع عقيدة محمد وسفنهم بأي تعدٍّ على سفنكم، فإذا قدِم أحد تجاركم إلى الموانئ التابعة لي أو رغب في المجيء إلينا فسوف يكون آمناً "[٤]. وعندما قرأ الحاكم العام في الهند نص الرسالة عبّر عن ارتياحه التام لإقامة علاقات طيبة مع السعوديين، وأكّد أن كل ما يطمح إليه هو تأمين الملاحة في الخليج ، وعلى أثر هذه العلاقات الطيبة بين بريطانيا والسعودية كان من الطبيعي أن ترفض بريطانيا تقديم المساعدة والدعم للسيد سعيد أثناء تعرض بلاده لهجوم بعض زعماء الأقاليم العُمانية ، واستغل السعوديون ذلك وبدؤوا بتوجيه الضربات للسيد سعيد

---

(١) – عبد الله ، إمارات الساحل وعُمان والدولة .... ، ص ٢٢٦.

(٢) – رويت ، سعيد بن سلطان ... ، ص ٣٧ .

(٣) – السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج٢... ، ج ٢ ، ص١٧٩.

(4) James Morrier , A Journey through Persia , Armenia , and Asia Minor to Constantinople in 1809 , London , 1812 , PP, 375

بحجّة نقضه لتعهداته معهم، فقام السيد سعيد بطلب المساعدة من الانكليز للوقوف ضدهم، لكنه فشل في ذلك فلم يقدموا له سوى النصيحة بعدم التورط في حرب معهم وأن يوافق على مهادنتهم في حال لم يكن ذلك خطراً على سلامة السلطنة(١).

وأكّدت له بريطانيا أن حملة ١٨٠٩ لم تكن سوى إلا للقضاء على القرصنة، فلم تقصد بها محاربة السعوديين، بذلك أصبح السيد سعيد ضمن دائرة ضيقة بعد أن تخلى الانكليز عن مساعدته، وحصل السعوديون على دعم القبائل العُمانية منها الظاهرة وبنو قتب ونعيم، كما حصلوا على تأييد محمد بن ناصر الغافري* الذي أظهر عداءه للسيد سعيد، وشجع السعوديين ضدّه لذلك قام مطلق المطيري بمحاصرة مسقط في عام ١٨١٠م مستعيناً بقواته، وأجبر السيد سعيد على طلب الصلح وتعهده بدفع الزكاة السنوية(٢)، لكنه سرعان ما نقض هذه المعاهدة، مستغلاً انشغال السعوديين في التصدي للمصريين في الحجاز عام ١٨١١م، وبدأ يبحث عن حليف آخر له بعد أن رفضت بريطانيا مساعدته ضد السعوديين فتوجّه إلى الفرس، لأنهم كانوا كارهين للسعوديين، ويظهرون عداءهم لهم لأنهم قد تعرضوا للعديد من القوافل الفارسية وآساؤوا لهم بتخريبهم للأماكن المقدسة في النجف وكربلاء، وكانت هذه الأسباب كفيلة لترحيب الشاه بطلب السيد سعيد والتعاون معه ضد السعوديين(٣) ، لذلك أرسل الشاه حملة بحرية بقيادة صادي خان انضمت إلى قوات السيد سعيد ودارت معركة كبيرة مع السعوديين بالقرب من نخل تكبدوا فيها خسائر فادحة ، لكن سرعان ما ظهرت الادعاءات السعودية بأن الفرس يهدفون إلى احتلال مسقط وليس لمساعدة السيد سعيد، لذلك بدأت تضعف أواصر التحالف بين فارس ومسقط، وانتشرت الفوضى بين القوات العُمانية، وانتهز مطلق المطيري هذا الوضع، فأرسل قواته ضد المتحالفين وكبّد السيد سعيد خسائر فادحة، واستطاع أن يبسط سيطرته على مدينة المطرح على مقربة من مسقط، واتخذها مركزاً لقواته للوقوف في وجه أي مساعدات قادمة من الفرس إلى السيد سعيد(٤).

---

(١) – الوثائق السعودية الخاصة بنزاع البريمي ، ج١ ص ١٢٨ ، أيضا: بن بشر ، عنوان المجد ... ، ص ١٢٥.

* **محمد بن ناصر الغافري** : زعيم الغافريين في عُمان ، أراد السيد سعيد التخلص منه فأكّد للسعوديين أنه هو الذي قتل حليفهم بدر بن سيف ، لذلك غادر إلى الدرعية ونال تأييد الأمير السعودي لإقصاء السيد سعيد عن الحكم . السيار ، دولة اليعاربة ... ، ص ١٣٤ .

(٢) – لوريمر ، دليل الخليج ،القسم التاريخي ، ج٢، ص ٧١١ .

(٣) – لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٦٩٤ .

(4) - Ch . Guillain , op . cit . 168

وهنا بدأ السيد سعيد يستعيد قوته، ويحصّن قلاعه بعد هزيمته الفادحة والتي كان سببها الفرس ، فقام بطرد صادي خان وهزيمته إلى بندر عباس، وسرعان ما وصله نبأ مقتل مطلق المطيري على يد أحد زعماء الحجريين عام ١٨١٣م ، فبذلك يكون قد تخلّص من عدوٍّ كبيرٍ له بثّ الرعب والخوف بين القبائل العُمانية، وتبع مقتله مقتل الأمير سعود، وبذلك سقطت الدولة السعودية الأولى وتحطمت عاصمتها الدرعية على يد القائد المصري إبراهيم باشا ١٨١٨م وأصبحت الفرصة مناسبة للسيد سعيد لاستعادة مناطقه التي خسرها[١] بعد تخلصه من أكبر خطر داخل الجزيرة العربية، وانصرف لتحقيق طموحاته في الشرق الإفريقي، لكن جرت مجموعة من الأحداث الجديدة داخل الجزيرة العربية قلبت الموازين فيها واستطاع السعوديون من خلالها استعادة نفوذهم من جديد، واستفادوا من انسحاب القوات المصرية من نجد عام ١٨١٩ لإعلان دولتهم الجديدة على يد الإمام تركي بن عبد الله المؤسس الحقيقي للدولة السعودية الثانية والذي اتخذ من الرياض عاصمة لدولته ، وامتد النفوذ السعودي إلى الأقاليم العُمانية نتيجة الدعاية القوية التي قام بها الدعاة الوهابيون وأصبحت المناطق كافة تقوم بدفع الزكاة السنوية للسعوديين[٢].

وفي عام ١٨٢٢م استطاع تركي بن عبد الله الذي أعدم والده في الآستانة أن يتخلص من أسره في مصر، ويعود إلى شبه الجزيرة العربية وتزعم الحركة الوهابية خلفاً لوالده وامتدت سيطرته إلى نجد والإحساء وصولاً إلى الساحل الجنوبي من الخليج حتى رأس الحد[٣]، وبدأت الوفود تأتي من أهالي عُمان إلى الرياض وأعلنوا ولاءهم له واستمر في الحكم حتى عام ١٨٣٤م، وتمكّن خلال هذه الفترة أن يستعيد نفوذ السعوديين على شرقي الجزيرة العربية وعُمان[٤].

٣. تدخلاته في البحرين عام ١٨١٢ – ١٨٣٩

شغلت جزر البحرين أهمية كبيرة بالنسبة لعُمان، وأدرك السيد سعيد أن امتلاكه لها سوف يؤدي إلى توطيد مركزه في الخليج العربي، وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر تعرّضت

---

[١] – المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، ج١ ، ص ٦٨ . وانظر : سليمان الغنام ، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا (١٨١١– ١٨٤٠) ، ط١ ، ص ٥٥

[2] - Anne Blunt , Voyage en Arabie , Paris , 1882 , p . 434.

و عبدالله، إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى... ، ص ٢٤٥– ٢٤٦

[٣] – محمد سعيد المسلم، على الساحل الأسود (دراسة تاريخية إنسانية لمنطقة الخليج العربي) ، ط١ ، ص ١٨٢.

[٤] – المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية ... ، ص ٢٧٨ . و بن بشر، عنوان المجد ... ، ج٢ ، ص ٢٣ .

لهجمات متعددة من نفوذ سعودي، ومن محاولات السيد سعيد المتكررة لضمها إلى حكمه فضلاً عن أطماع الدولة العثمانية وفارس وبريطانيا حيث بذلت العديد من المحاولات للاستيلاء عليها(١).

وإذا نظرنا من الناحية الاقتصادية نجد أن جزر البحرين امتلكت قدراً كافياً من الموارد الاقتصادية، ولاسيما غوّاصات اللؤلؤ التي كانت محط أطماع العديد من الدول ، وقدّم السيد سعيد مطالبه وادعاءاته للسيطرة على البحرين أنها سبق وأن خضعت لعُمان في عهد اليعاربة، كما بقيت بضع سنوات تحت سيطرة والده سلطان بن أحمد، وكان يسيطر على العديد من الجزر والموانئ على السواحل الشرقية للخليج العربي، ويدفع إيجاراً سنوياً للحكومة الفارسية كجزيرة قشم وهرمز وميناء بندر عباس(٢) ، وكانت أهداف السيد سعيد ومطامعه في البحرين واسعة جداً، لكنه فشل في السيطرة عليها على الرغم من حصوله على المساعدة مرات عدة من الحكومة البريطانية التي لم تشجعه على طموحه، خوفاً من ازدياده وعدم ثقتها بقدرته في الحفاظ على نفوذه في سواحل الخليج ، كما أن أهالي البحرين لم تكن لديهم الرغبة في الخضوع تحت السيطرة العُمانية، بسبب اختلاف المذهب، وهذا أدى إلى ظهور اضطرابات كثيرة داخل الخليج العربي ورفض الحكومة البريطانية تقديم أيّة مساعدة تؤدي إلى قيام قوة كبيرة تهدد مصالحها في سواحل الخليج.

وهنا جاء رفضها لمطالب السيد سعيد ودعمها له على الرّغم من توضيحه أنه سوف يكون مطيعاً لها في قمع تجارة الرقيق في ممتلكاته في شرقي إفريقية (٣) وفي عام ١٨١٠ في عهد الأمير سعود بن عبد العزيز نجح السعوديون في توحيد البحرين وقطر والقطيف وأرسل عبد الله بن عفيصان لحكم هذه الأقاليم، وتميز حكمه بالمركزية الشديدة حيث أرغم شيوخها على دفع الزكاة السنوية لمركز الدولة في الدرعية ولم يترك لآل خليفة إلا جزءاً بسيطاً من السلطة هذا بالإضافة إلى قيام السعوديون بنشر التعاليم السلفية، مما جعل آل خليفة يغادرون البحرين إلى ساحل قطر(٤)، وقاموا باستعادة سيطرتهم على البحرين في عام ١٨١١م بعد أن تلقوا الدعم من السيد سعيد والحكومة الفارسية ، ونتيجة التوسّع والتقدّم الناجح لقوات محمد علي في الحجاز تراجع السعوديون عن البحرين، وسحبوا

(١) – ابن بشر ، عنوان المجد ... ، ج١ ، ص ٣٢٤

(٢) – ماجد شبّر ، القبائل والصراعات السياسية والقبلية (الإمارات ، قطر ، البحرين ، المنطقة الشرقية) ، ط١، دار الورّاق للنشر ٢٠١٠م ، ص ١٧٩

(٣) – جورج رنس ، عُمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ،ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٣ ، ص ٣٨٧ . وانظر : =

Coupland , East Africa and Its Invaders " From the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856 " , Oxford , 1938 . P . 33.

(٤) – شبّر ، القبائل والصراعات السياسية والقبلية ... ، ص ١٨١.

قواتهم منها ليعملوا على مهاجمة القوات الزاحفة على الحجاز لكنهم سرعان ما عادوا إلى تجديد نشاطهم في البحرين، ووافقوا على طلب التحالف مع السيد سعيد للسيطرة على البحرين لكن هذا التحالف لم يُكتب له النجاح، لأن السعوديين والسيد سعيد كانوا يهدفون إلى السيطرة المنفردة على المكان نفسه وهي جزر البحرين[١]، وعاد السيد سعيد للالتجاء إلى الحكومة الفارسية وطلب المساعدة منها، وسرعان ما لقي الموافقة على عروضه في طلب التحالف معها وخاصة بعد انتماء العديد من البحرينيين إلى مذهب الشيعة، هذا ما جعلها تنظر إليهم كإخوان لها في العقيدة وبدأت المراسلات بين الحكومة الفارسية والسيد سعيد حيث أكد الشاه في إحدى الرسائل أنه سيقف ضد اعتداءات السعوديين على الأماكن الشيعية المقدسة وسوف يستمر بتقديم المساعدة لأهالي البحرين إذا استمروا على العقيدة والولاء لهم واستمر موضوع الخلاف بين الطرفين حول مصير البحرين بعد تخليصها من يد السعوديين.

ففي الوقت الذي أراد به الشاه أن يُبقي آل خليفة تحت سيطرته كان السيد سعيد يهدف إلى التخلّص من السعوديين من جهة، وآل خليفة من جهة أخرى لينفرد بالسيطرة على البحرين، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها السيد سعيد في إقناع الفرس على اعترافها بتبعية البحرين له مقابل أن يدفع لها مبلغاً من المال سنوياً، لكن محاولاته باءت بالفشل بسبب الاختلاف في وجهات النظر بين الطرفين[٢].

ووجد السيد سعيد الفرصة المناسبة له لطلب المساعدة من الحكومة البريطانية في الوقت الذي كان يبحث فيه عن حليف له حيث تلاقت مصالحه معهم عندما هدفت بريطانيا إلى إنشاء قواعد لها في الخليج العربي لقمع النشاط البحري للقواسم ووقوفها إلى جانب السيد سعيد، ليتمكن من السيطرة على الساحل الجنوبي للخليج وجزر البحرين، والقضاء على أية خطة توسعية يقوم بها محمد علي والي مصر في الخليج، كما اتخذ السيد سعيد من الحملة البريطانية العُمانية المشتركة على القواسم عام ١٨١٩م طريقاً لتحقيق أهدافه[٣]، كما استفاد من عدم ارتياح الحكومة البريطانية للتدخل السعودي في شؤون الخليج؛ لذلك طلبت من السيد سعيد أن يكون مسؤولاً عن مستقبل جزر البحرين والساحل الجنوبي للخليج والسماح لها بإقامة قواعد بحرية في جزيرة قشم والجزر والموانئ

---

(١) – لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٦٩٧ .

(٢) – نجدة فتحي صفوة ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد – الحجاز) ٧ مجلدات ، مج ١، ١٩١٤ – ١٩١٥ ، ص ٢١٥. وانظر:

Adamiyat , op , cit , p . 63.

(٣) – عبدالله ، إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى .... ، ص ٢٢٥ .

التابعة له على الساحل الشرقي من الخليج، لكن سرعان ما فشلت هذه الخطة، ولم تستمر وقتاً طويلاً، ورأت الحكومة البريطانية أنه من الأفضل أن تشرف هي بنفسها على شؤون الخليج، نظراً للمشكلات الداخلية التي عانى منها السيد سعيد، وكانت سبباً في عدم استقراره في الحكم[١]، وعلى الرغم من تغيير وجهة نظر الحكومة البريطانية تجاه علاقتها بالسيد سعيد استمر في محاولاته للاستيلاء على البحرين، فقام بالتعاون مع أحد زعماء قبائل العتوب المعارضين لآل خليفة وهو رحمة بن جابر الجلاهمة * الذي قدّم له الدعم البحري لتحقيق هدفه في السيطرة على البحرين، وكان يُعرف خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بأكبر بحّار ومغامر في السواحل الشمالية الغربية من الخليج، لكن هذه المساعدة لم يكن لها أية فائدة بسبب انشقاق قبيلة الجلاهمة عن حلف العتوب* والتفكك الداخلي بين قبائله ، لذلك اتجه للتحالف مع السعوديين لكن دون جدوى بسبب استمرار الخلافات بينه وبين آل خليفة عام ١٨١٦م، فعمل على مهادنتهم.

ومن ثم شنّ عليه آل خليفة معركة بحرية عنيفة هُزم فيها أثناء محاولته السيطرة الفردية على البحرين ، واعترف السيد سعيد بفشله في السيطرة على البحرين لكنه تدخّل بها من جديد واستغل فرصة إرسال محمد علي خورشيد باشا للسيطرة على الإحساء والقطيف ثم الاستيلاء على البحرين، وكان ذلك عام ١٨٣٩م حيث بدأت الاتصالات فيما بينهم حيث طلب من خورشيد باشا أن يكون حليفاً له في الاستيلاء على البحرين ويقدم له الدعم البحري مقابل مبلغٍ من المال يدفعه سنوياً لمحمد علي[٢]، لكن هذا الاتفاق لم يستمر طويلاً ولم تكن له أية نتائج إيجابية، فالسيد سعيد تخلى عن مشروع الاتفاقية مع محمد علي لأن ذلك يتعارض مع علاقته بالحكومة البريطانية، ولم يكن يريد أن يضحي بصداقته معها مقابل صداقته مع محمد علي، فحاول توطيد علاقته ببريطانيا عندما استجاب لرغبتها بقطع تعاونه مع خورشيد باشا في السيطرة على البحرين وعدم توقيع أي اتفاق معه

---

[١] – عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي (دراسة وثائقية) ، ط١ ، الرياض ١٩٨١ ص ٢٤٥ . أيضا : د. سعيد الشهابي ، البحرين (١٩٢٠ – ١٩٧١) ، قراءة في الوثائق البريطانية.

* **رحمة بن جابر الجلاهمة** : هو رحمة بن عذبي بن جابر الجلاهمة ولد عام ١٧٥٧ في الكويت شيخ الجلاهمة من العتوب جعله الإمام سعود بن عبد العزيز أميراً على الدمام فبنى قلعتها عام ١٨٠٩ وحكم الدمام وبعض القرى في شمال قطر كما كان محارباً بحريا قوياً للعتوب وآل خليفة حكام البحرين توفي عام ١٨٢٦. خير الدين الزركلي ، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين) ، ج ٣ ، ص ١٨.

[٢] – قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ... ، ص ١٨٢ .

لكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك ولم تستجب لمطالبه وبذلت جهودها في القضاء على خورشيد باشا ومنع محاولاته في البحرين ، وعلى أثر ذلك بدأت العلاقات غير الودية بين السيد سعيد ومحمد علي من خلال الولاة التابعين له في الجزيرة العربية، حيث عملوا على إثارة المتاعب ضد أبنائه في أثناء إقامته في زنجبار[1]. وفي فقرة لاحقة (سعيد بن سلطان وعلاقاته الخارجية) سيتم توضيح العلاقات بين السيد سعيد ومحمد علي وتدخلاته في الخليج .

رابعاً– انتقال سعيد بن سلطان إلى شرقي إفريقية عام ١٨٣٢م

قُسّمت فترة حكم السيد سعيد في مسقط وزنجبار إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول: يمتد من عام ١٨٠٦م أي من تاريخ وصوله إلى الحكم في مسقط حتى عام ١٨٤٠م، وهو تاريخ بدء إقامته الدائمة، وتولي الحكم في جزيرة زنجبار* وفي عام ١٨٣٢م بدأ بتوطيد حكمه في عُمان وتوجيه سياسته تجاه الخليج العربي، أما الفترة من عام ١٨٣٢م حتى عام ١٨٤٠م تميزت بعدم الاستقرار، وتوزيع أوقاته بين الإقليمين في عُمان وشرقي إفريقية ، أما القسم الثاني، فيمتد من عام ١٨٤٠م حتى عام ١٨٥٦م وهو تاريخ بدء إقامته الدائمة في زنجبار حتى وفاته في عام ١٨٥٦م وتميزت هذه الفترة باستقرار حكمه في زنجبار أكثر من حكمه في عُمان. فلم يكن يذهب إلى عُمان إلا عند حدوث مشكلات تستدعي معالجتها [2]، ولم يبدأ حكم السيد سعيد في شرقي إفريقية منذ نقل مركز حكمه إلى زنجبار ، إذ إن مركز حكمه في شرقي إفريقية قد بدأ منذ عام ١٨٠٦م ووصوله إلى حكم السلطنة حيث كان ذلك متوارثاً عن أسلافه، حيث إنهم توارثوه عن دولة اليعاربة التي عملت على تخليص عُمان من هيمنة النفوذ البرتغالي في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، لكن تأكيد حكم السيد سعيد في الشطر الإفريقي وتثبيت وجوده فيه لم يظهر إلا بعد محاولات كثيرة منه للسيطرة عليها ، ومن هذه المحاولات :

---

[1] – لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٦٩٩ .

* **جزيرة زنجبار** : عبارة عن مجموعة من الجزر الصغيرة والتي أكبرها جزيرة زنجبار البالغ مساحتها ١٤٦٥ كيلو متر مربعاً، تقع هذه الجزر شرق إفريقية على ساحل المحيط الهندي وهي أقرب ما تكون إلى تنزانيا ، يميزها جوها الريفي، فهي على شكل بستان دائم الخضرة، تتدفق المياه العذبة فيه من كل مكان. الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج٧ ، ص ٦٠ – ٦١ .

[2] – لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٧٠٣ و
Ethel Younghusband , Glimpses of East Africa and Zanzibar , London , 1908 , P . 238.

١. صراع السيد سعيد ضد المزارعة

وصل المَزارعة إلى حكم ممباسة* على إثر الحرب التحريرية التي قام بها اليعاربة ضد البرتغاليين، ولاحقوا فلولهم على ساحل شرقي إفريقية حتى أجبروهم على الجلاء عنه ودانت لليعاربة مناطق : زنجبار ، ممباسة ، بات وكوا وغيرها. وخلال فترة الصراع الأسري اليعربي على منصب الإمامة في النصف الأول من القرن الثامن عشر تمكّن الفرس من السيطرة على عُمان ، فتصدّى لهم حاكم صحار أحمد بن سعيد وحرّر بلاده من نيرهم.

انسحب البرتغاليون من الساحل الشرقي لإفريقية وسقطت قلعتهم الحصينة في ممباسة، وتم إحلال السيطرة العُمانية محلّ السيطرة البرتغالية، وظهر في ممباسة العديد من الحركات الانفصالية(١)، وبدأت محاولات السيد سعيد للسيطرة على المقاطعات الإفريقية التي كانت تحت زعامة آل المزروعي*. وكانت سلطنة عُمان قد فقدت قوتها، ولم يعد لها نفوذ فعلي إلا على مجموعة من الجزر والمدن الصغيرة التابعة لزنجبار، كما كانت ممباسة ذات طابع انفصالي تهدف إلى التخلص من أية سيطرة خارجية منذ وجود البرتغاليين وكذلك عندما قدم السيد سعيد لمحاولة السيطرة عليها(٢) وسنحت الفرصة أمام السيد سعيد للتوجه باهتمامه إلى الشرق الإفريقي ففي عام ١٨٠٧م قام المَزارعة

---

* **ممباسة** : مدينة تقع شمال زنجبار ، جزيرة في المحيط الهندي على مسافة ١١٨ ميلاً . المغيري، سعيد بن علي ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص ٧٢ . و مبارك الهنائي ، العُمانيون وقلعة ممباسة، ترجمة : محمد أمين عبدالله ١٩٨٠، ص ١٠ .

(١) – محمد حسن العيدروس، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي ، دار المتنبي للطباعة والنشر ، ط١ ، ص ٤٦ .

* **آل المزروعي** : أسرة عربية حاكمة تولت الحكم في ممباسة والجزيرة الخضراء ما بين ١٦٩٨ – ١٨٣٧ من قبل سلاطين عُمان ال بو سعيد حكمت ممباسة منذ عام ١٨٣٩ للانفصال عن التبعية العُمانية .وتنتمي إلى قبيلة بني جابر العُمانية وبني جابر هم أولاد ظبيان من غطفان ، من أصل داحس ، وسكنوا جبل ياسر ووديانه المسماة بإسمهم وتشمل : الناو ، سبها ، قلهات ، ضباب ، كلهم حضر ، منهم هناويين ومنهم غافريين . مايلز ، الخليج العربي بلدانه وقبائله ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ١٩٨٣م ، ص ٢٦٠ .

(2) R . Coupland , East Africa and Its Invaders (From the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856) , Oxford , 1938 , p . 218.

بالسيطرة على سلطنة بات* التي كان يحكمها النبهانيون، كما توجّهوا للسيطرة على الإمارات والسلطنات الأخرى التي سارعت لطلب الحماية منه، حيث بادر السيد سعيد بحمايتهم وأرسل قطع أسطوله إلى شرق إفريقية لحمايتهم، وأدرك أن طموحه في عُمان لا يتحقق إلا بالقضاء على المَزارعة في ممباسة. وفي عام ١٨١٤م وصل الشيخ عبد الله بن أحمد إلى حكم ممباسة، واستطاع إخضاع مقاطعات الشرق الإفريقي وتحدي السيطرة العُمانية كما استمرت الصراعات بين المَزارعة والسيد سعيد قرابة ثلاثة عشر عاما، وتميز الشيخ عبد الله بقوته وشجع الحركات الانفصالية في شرق إفريقية وأعلن عدائه للسيد سعيد بشكل واضح عندما أرسل له البارود بدلاً من الأموال التي كانت مترتبة على ممباسة(١).

وبعد وفاة الشيخ عبد الله خلفه ابنه سالم الذي لم يكن له مقدار القوة والشجاعة التي تحلى بها والده وكان ذلك فرصة انتهزها السيد سعيد للتخلّص من المزارعة ، وبدأ السيد سعيد باتباع طرق مختلفة لفرض الحصار على ممباسة، منها: الحصار الاقتصادي حيث حرم رعاياه التجارة مع ممباسة، واتّبع ذلك باستخدام القوة العسكرية للتخلص من سيطرة المَزارعة على المقاطعات العُمانية ونجح في إعادة العديد من الجزر إلى التبعية العُمانية، وأعاد جزيرة بات إلى الأسرة النبهانية ليعود النزاع من جديد بينها وبين المَزارعة، فتفتح ذلك الفرصة أمام السيد سعيد لضرب القوتين معاً والتخلص منهم ، وأمام هذه الضغوط توجه الشيخ سالم المزروعي لطلب المساعدة من الحكومة البريطانية لكنه فشل في ذلك، ورفضت الحكومة مساعدته، لأنها كانت على علاقة طيبة مع السيد سعيد، ولم تكن تريد تخريب هذه العلاقة وخاصة بعد توقيع معاهدة مورسبي عام ١٨٢٢م الخاصة بقمع تجارة الرقيق، فلم تكن بريطانيا في ذلك الوقت تقدّر الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لممباسة؛ لأنها وجّهت أنظارها واهتمامها إلى البحر الأحمر والخليج العربي؛ وهذا ما جعلها ترسل ردّها للشيخ سالم بالرفض والتعارض مع سياستها، وعدم معارضة حليفها السيد سعيد(٢).

وفي عام ١٨٢٣ استطاع المَزارعة تحقيق هدفهم في التقرب من حكومة الهند البريطانية بسبب استمرارهم في مراسلتها، حيث أنهم حصلوا على الحماية المنشودة منها وذلك عندما وصلت السفينة باراكوتا إلى ميناء ممباسة بقيادة الكابتن فيدال، وهي واحدة من سفن الأسطول البحري الذي

---

* **بات** : تقع في منطقة الظاهرة شرق ولاية عبري بالقرب من حدود دولة الإمارات العربية المتحدة وتعتبر من المواقع الأثرية والتاريخية التي يعود تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، انظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٥ ، ص ١٩٤. و المعمري ، عُمان وشرقي إفريقية ، ص ٩٠.

(١) – الهنائي ، العُمانيون وقلعة ممباسة ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ١٩٨٠ ، ص ١٩ .

(2) Coupland , op , cit ., p . 327.

أوفدته الحكومة البريطانية بقيادة الكابتن أوين لقمع تجارة الرقيق في شرق إفريقية، فبدأت بريطانية بدراسة الأمر حول المفاوضات مع المزارعة، ووجدت أنها إذا تجاهلت حمايتهم سوف يتقدمون لطلب المساعدة من فرنسا، وذلك سوف يشكل خطراً كبيراً على مصالحها في الخليج ، فاستمرت المفاوضات بين الكابتن أوين و سليمان بن علي المزروعي الذي كان يعاون الشيخ سالم في الحكم [١]، كما قام الكابتن أوين عام ١٨٢٤ بعقد اجتماع على ظهر سفينته، وقام بتوقيع معاهدة بينه وبين حاكم ممباسة نصت على :

- تتعهد بريطانيا بأن تعيد لممباسة ممتلكاتها جميعاً التي كان السيد سعيد قد انتزعها منها.
- تشجع الحكومة البريطانية نظام الوراثة في الحكم بين أسرة المزروعي ، ووكيل من جانبها يقيم في ممباسة .
- أن يقف المزارعة إلى جانب بريطانيا في قمع تجارة الرقيق.
- أن يسمح لرعايا بريطانيا حرية التجارة في ممباسة، و يتم اقتسام دخل الجمارك فيما بينهم[٢].

فقد أثارت هذه المعاهدة غضب السيد سعيد، وبدأ يسعى جاهداً للقضاء عليها من خلال مراسلاته للحكومة البريطانية يبين فيها أن الكابتن أوين قام بأعمال كثيرة ضده، منها: مساعدته للثوار في ممباسة، والوقوف في وجه استعادة ممتلكاته في الشرق الإفريقي، ورفع العلم البريطاني في زنجبار. وكان رد الحكومة البريطانية إيجابياً بالنسبة له، فأكدت أن هذه الأعمال التي قام بها الكابتن قد أثارت دهشتها، ولم تكن راضية عنها لتهدئة غضب السيد سعيد؛ لأنها كانت حريصة بالحفاظ على صداقته، فقد أرسلت أوامرها للكابتن بالانسحاب بعد سنتين من الحماية على ممباسة، وكان ذلك في عام ١٨٢٦م، وكان ذلك فشلاً للمزروعيين الذين حاولوا مرات عدة فسخ تخريب العلاقات الطيبة بين السيد سعيد والحكومة البريطانية[٣]، وإن تدخلات أوين ومحميته لم تكن أول تدخل من جانب الإنكليز في الشرق الإفريقي؛ وإنما كانت لهم تدخلات منذ أعوام مضت وخاصة في أثناء حملة نابليون على مصر والعراقيل التي وضعوها في طريقه.

---

(١) – روبت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١ – ١٨٥٦ .... ، ص ٦٥ .

(2) Coupland , op . cit ,p. 328.

و الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ، ترجمة : سمير نجم الدين سطاس ، ط١ ٢٠٠٦ ، ص ٣٣٠

(٣) – الهنائي ، العُمانيون وقلعة ممباسة ، ص ١٥.

وفي العام نفسه وصلت إحدى السفن الإنكليزية الاستكشافية إلى زنجبار، وتعرّضت لمقاومة كبيرة من أهلها، وقتلوا أعداداً كثيرة من أعضائها وبحارتها ، وعلى الرغم من أن حكومة الهند سحبت حمايتها عن ممباسة عام ١٨٢٦ حرصاً على علاقات الصداقة والتفاهم مع السيد سعيد ، إلا أنها بقيت تخشى من أن يلجأ المزارعة إلى طلب المساعدة من فرنسا، فيؤدي ذلك إلى تهديد مصالحها وهذا ما جعلها ترسل تعليماتها إلى المقيم البريطاني في الخليج لكي يعبر للسيد سعيد عن قلق الحكومة وألا يظهر عداءه للمزارعة، ويزيد في مضايقتهم لكي لا يلتجئوا للفرنسيين(١).

واتسعت حلقة الصراع بين السيد سعيد والمزارعة، فعندما أخذت القوات البريطانية بالانسحاب من ممباسة عام ١٨٢٦م أرسل إنذاراً إلى الشيخ سالم المزروعي يطلب منه الاستسلام ، لكن الشيخ سالم لم يهتم لهذا الإنذار وأخذ بتقوية وسائل دفاعه لمهاجمة القوتين معاً القوات البريطانية من جهة، والسيد سعيد من جهة أخرى، لكنه عندما أدرك مدى خطورة الحملة العُمانية أرسل إلى السيد سعيد يعلن له بأنه على أتم الاستعداد للاعتراف بتبعيته لعُمان ودفع الضرائب المفروضة عليه؛ شريطة أن يتابع المزارعة حكمهم في ممباسة من دون أية قيود(٢)، لكن السيد سعيد أراد القضاء على نفوذ المزارعة في ممباسة بشكل نهائي ، حيث بدأ باستعداداته العسكرية، واستطاع في عام ١٨٢٨م حصار ممباسة والاستيلاء على قلاعها حيث قام بتوقيع معاهدة مع الشيخ سالم ١٨٢٨م تضمنت أن يتولى الشيخ سالم حكم ممباسة مع تبعيته للسيد سعيد، وأن يتم اقتسام دخل ممباسة بالتساوي بين الطرفين وخضوع قلعة المدينة للسيد سعيد مع بقاء خمسين جندياً فيها(٣).

فلم يكن السيد سعيد شديد الاهتمام بهذه الاتفاقية، فأخذ يعمل على تحصين ممباسة وقلاعها أضعاف ما نصت عليه الاتفاقية، ودعا القوى المجاورة لها للوقوف إلى جانبه حيث كان ناصر ابن سليمان حاكم جزيرة بمبا موالياً للسيد سعيد؛ إذ سبق له أن انتزع هذه الجزيرة من ممباسة واتهم المزارعة بأنهم يحاولون استعادتها، وطلب سليمان من الشيخ سالم المزروعي أن يتنازل عن الجزيرة مستمداً قوته من السيد سعيد، لكنه عندما أصرّ على طلبه تم إلقاء القبض عليه وإعدامه من قبل الشيخ سالم ، فما كان من السيد سعيد إلى أن قام بمهاجمة ممباسة عام ١٨٢٩م، لكنه فشل في ذلك

(1) R . Coupland , The Exploitation of East Africa 1856 – 1890 . London , 1938 , p . 9
أيضاً : روبت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١– ١٨٥٦ .... ، ص ٢٥.

(٢) – روبرت جيران لاندن، عُمان منذ عام ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان ٢٠٠٣ ، ص ٢٦٥.

(٣) – محمود شاكر ، موسوعة تاريخ الخليج ، ج١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ٢٠٠٣ ، ص ٢٦٥ .

وعاد إلى مسقط التي كانت مليئة الفوضى والحركات الانفصالية حيث كانت هذه الفترة حرجة بالنسبة للسيد سعيد وسلطنته؛ بسبب الاضطرابات التي وقفت عائقاً أمام تحقيق حلمه في تأسيس إمبراطورية في شرقي إفريقية منها سيطرة المزارعة على ممباسة مثلما حصل في أثناء بدء حكمه في عُمان بينما مسقط بين أيدي السعوديين(١).

وبدت واضحة محاولات السيد سعيد للقضاء على المَزارعة، فلم يظهر ذلك علانية؛ خوفاً من تدخل فرنسا التي كانت بريطانيا تخشى منها إذ ما وقفت إلى جانب حليفها السيد سعيد للقضاء على المزارعة ، فلم يجد أمامه سوى أن يطلب المساعدة من ملكة مدغشقر لمساعدته في السيطرة على ممباسة والشرق الإفريقي، ودخل معهم في علاقة النسب والمصاهرة حسب ما تشير إليه بعض المصادر ، ووافقوا على مساعدته والوقوف معه لضم ممباسة، بيد أن السيد سعيد لم يكن يملك حرية التصرّف من دون أن يأخذ برأي الحكومة البريطانية حول وقوف مدغشقر إلى جانبه، لكن سرعان ما حصل على موافقة الحكومة البريطانية ولم يحالفه الحظ في الحملة التي أعدها بالاعتماد على مدغشقر كحليفة له بسبب وقوعها تحت السيطرة الفرنسية عام ١٨٣٢م وخشية بريطانية من نشوب النزاعات بينها وبين الفرنسيين(٢) ، فلم يبقَ أمام السيد سعيد سوى اللجوء إلى طلب المساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية، ودخل معهم في علاقات تجارية، وعقد معاهدة عام ١٨٣٣م بينه وبين التاجر والمفوض الأمريكي إموند روبرتس، فتعهد السيد سعيد بتقديم الامتيازات التجارية للأمريكيين في شرق إفريقية، مقابل مساعدته وإمداده بالقوات والأسلحة لاستعادة ممباسة ، لكن هذه المفاوضات قد فشلت؛ لأن الولايات المتحدة الأمريكية كان هدفها تجارياً، ولم تساير السيد سعيد فيما يطمح إليه من أهداف عسكرية(٣).

وتوفي الشيخ سالم المزروعي عام ١٨٣٥م وكانت الأحداث مؤاتية للسيد سعيد للسيطرة على ممباسة وامتدت الصراعات والاضطرابات إلى معظم مقاطعات الشرق الإفريقي منها مقاطعة كلنديني ومجموعة من رؤساء الساحل الذين أبحروا إلى مسقط لطلب المساعدة من السيد سعيد للقضاء على المزارعة، ففتحت الفرصة أمام السيد سعيد وقام الحلفاء بتجهيز حملة على ممباسة ١٨٣٧ حققت نجاحاً كبيراً، فتخلص السيد سعيد من أعدائه المزارعة، وأثبت سيطرته على طول الساحل الشرقي في

---

(1) - Coupland , East Africa and Its Invaders , p . 281.

أيضا : سعيد بن علي المغيري ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق : محمد علي الصليبي ، ط٤، وزارة التراث القومي والثقافة العُمانية ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٢٠ .

(٢) – المعمري ، عُمان وشرق إفريقية ، ص ٨١.

(٣) – لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٧٢٨ .

إفريقية، وأجرى عملية اعتقال واسعة النطاق استهدفت إلقاء القبض على المزارعة وزعمائهم[١]. فغاب نشاط المزارعة في أثناء فترة حكم السيد سعيد، وذكر كرابف أحد المبشرين الأوروبيين أنه في أثناء تجواله في مقاطعات الشرق الإفريقي عام ١٨٤٣ م تقدّم إليه بعض زعمائهم ليتوسط لهم مع بريطانيا لمساعدتهم في استرجاع ممتلكاتهم، لكنه رفض؛ لأن الهدف من رحلته ديني وليس سياسياً أو عسكرياً[٢].

٢. نقل مركز حكمه إلى زنجبار وسياسته الاقتصادية فيها

استطاع السيد سعيد تدعيم نفوذه في الشرق الإفريقي بعد نجاحه في إخضاع المزارعة في ممباسة عام ١٨٣٧م، وسنحت له الفرصة للإقامة في زنجبار تلك الجزيرة الصغيرة التي تبعد كثيراً عن ممتلكاته في عُمان والتي لا يسهل الوصول إليها إلا في أوقات محدودة من السنة[٣] بسبب هبوب الرياح الموسمية. وهناك مجموعة من الأسباب التي دفعت السيد سعيد للإقامة في زنجبار، فمن الناحية السياسية قد تعرض السيد سعيد إلى العديد من المضايقات الداخلية والصراعات العائلية على الحكم حيث ظهر العديد من المنافسين له من أفراد أسرته؛ فضلاً عن ثورات القبائل و السعوديين وحلفائهم حيث كانوا ينقضون عهودهم معه، ويستأنفون هجومهم عليه قاصدين إزعاجه[٤]، ومن الناحية الجغرافية تميّزت زنجبار بموقع جغرافي إذا ما قورنت مع مسقط التي تميزت بحرارتها العالية خلال أربعة شهور من السنة ، كما تميزت زنجبار بأنها مركزٌ تجاريٌّ لتبادل البضائع بين مقاطعات الشرق الإفريقي ، كما امتلكت موانئ صالحة لرسو السفن وتسهيل عمليات النقل التجاري[٥] ، وإن اختيار السيد سعيد زنجبار للإقامة فيها كان وراءها غايات سياسية واقتصادية لذلك اتبع سياسة اقتصادية في حكمه لزنجبار وشرقي إفريقية منذ أن انتقل للإقامة الدائمة فيها.

أ)- تشجيع التجارة:

كان السيد سعيد يهتم بتشجيع التجارة، فجاء بالعديد من التجار العرب والهنود الذين أسهموا بنشاط كبير في المجال التجاري في مسقط ، كما شجع الهنود من طائفة البانيان، وقدم لهم العديد من المساعدات، وعاملهم معاملةً حسنة، وأبدى تسامحاً كبيراً معهم تمثل بترك الحرية الدينية لهم؛

---

(١) – المعمري ، عُمان وشرق إفريقيا... ، ص ٧٥

(2) krapf , op , cit , p . 537

(٣) – قاسم ، دولة البو سعيد في عُمان وشرقي إفريقيا .... ، ص ١٩٤

(4) F.B. Pearce , Zanzibra , The Island Metropolis of Eastern Africa , London , 1920,p. 118.

(٥) – مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ، ص ٣٥٢-٣٥٣ .

فضلاً عن الحرية الاقتصادية (١). وعلى الرغم من ذلك لم يحصل الهنود على امتيازات تجارية، إنما حصلوا على امتيازات معنوية ومادية كبيرة حتى أصبحوا يشكلون أهم طبقة تجارية في زنجبار، وبسبب تفوقهم في هذا المجال استعان بهم السيد سعيد واستخدم الأكفياء منهم في مجال التجارة والاقتصاد وازداد عددهم حتى بلغ قرابة أربعة آلاف نسمة حسب تقدير الرحالة البريطاني ريتشارد بيرتون، وأصبحوا يتحكمون بالشؤون الاقتصادية في شرقي إفريقية(٢).

وأصبح للهنود مؤسساتهم ومراكزهم التجارية الخاصة بهم في زنجبار، وجزيرة مدغشقر وموزمبيق وجزر القمر، وبدؤوا بشراء الأراضي ورهنها وسيطروا على ممتلكات السكان، واستقدم السيد سعيد مئات من عرب عُمان الذين بدورهم أنعشوا التجارة بشكل واضح ، حيث استطاع بعض التجار العُمانيين التوغل إلى المناطق الداخلية التي لم يصلها أحدٌ من قبلهم وأقاموا فيها المراكز التجارية، وبعضهم استقر في منطقة البحيرات الاستوائية في الوقت الذي ظهر فيه النشاط التجاري للهنود في المناطق الساحلية ، وبذلك ذاعت سمعة عُمان في المجال الاقتصادي التجاري وامتدت القوافل في تحركاتها إلى مناطق نائية في قلب القارة الإفريقية، كبحيرة فيكتوريا نيانزا، وبدأت رحلات التجار العرب والمغامرين الباحثين عن العاج والرقيق، وتعددت رحلاتهم ومغامراتهم إلى أن أسسوا مراكز ومحطات تجارية لهم كانوا يعتمدون عليها في أسفارهم وتنقلاتهم(٣). وكانت هذه المراكز والمحطات التجارية امتداداً لنفوذ السيد سعيد الذي ذاعت شهرته في أجزاء واسعة من القارة الإفريقية، وكان ما يقوّي هذا النفوذ هو مرور القوافل التجارية في طريقها إلى الساحل.

كما أن الطرق التجارية كانت تقع تحت سيطرة عرب عُمان* الذين جلبهم السيد سعيد للإقامة الدائمة في زنجبار وعلى إثر قدومهم إلى الشرق الإفريقي بدأ الأمل واضحاً في تأسيس إمبراطورية عربية داخل القارة الإفريقية(٤)، ولم يكن لهذه الدولة أية معالم واضحة؛ بل كان النشاط التجاري للسيد

---

(١) – سليمان بن عُمير المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ – ١٨٥٦) ، دار الفرقد ، سورية ٢٠١٤ ، ص ١٩٤ .

(2) R. Burton , Zanzibar ,City , Island and Coast , vol . 1 , London , 1872 , PP . 315-317.

(٣) – المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد ... ، ص ١٩٨ . و

Coupland , The Explloitation of East Africa, p.5

* **عرب عُمان:** هم العُمانيون الذين وفدوا إلى زنجبار وشواطئ شرق إفريقية، وأصبحوا في عهد السيد سعيد يشكلون الطبقة الرئيسة الحاكمة وكبار التجار، وكانت تقع في أيديهم ملكية الأراضي، واختلطوا بالسكان الأصليين وظهرت روح المحبة والوئام بينهم . روبين ، بيدويل ، عُمان في صفحات التاريخ ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ، العدد السابع من سلسلة تراثنا ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢١٠.

(٤) – رويت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١ – ١٨٥٦ .... ، ص ٨٨ .

سعيد هو الذي يحدّد معالمها، فاستمرت القوافل تسير من مكان إلى آخر من دون تحديد أية فواصل، كما انتشرت المحطات والمراكز التجارية في أماكن متعددة؛ تحقيقاً لهدف السيد سعيد الذي حرص على وضع الأنظمة الإدارية بما يتناسب مع إنعاش الحالة الاقتصادية حيث اتّبع سياسة تبسيط نظام الضرائب، ووضع التعريفة الجمركية التي اتبعها في مسقط حيث أَعفى الصادرات من الضرائب وكانت ضريبة الواردات القادمة إلى الشرق الإفريقي لا تتجاوز ٥% من قيمتها، وقام بتنشيط التجارة الداخلية ووسع علاقاته مع البلدان العربية التي كانت تأتي من داخل إفريقية إلى الساحل كما شجع تجارة العاج والرقيق وكان يهدف أن يكون مركزها زنجبار[١]. وحاول السيد سعيد جاهداً أن يكون الميزان التجاري لصالح بلاده، ولا يخرج من بين يديه من أجل حماية موارده من المنافسة الأجنبية، وآمن بحرية التجارة واشتغل بها لصالحه الخاص حيث لُقّب السيد سعيد أنه تاجر قبل أن يكون سلطاناً، فكثيراً ما استخدم أسطوله الحربي في نقل البضائع .

ب)- الجمارك والعملة:

كانت الأنظمة الاقتصادية التي وضعها السيد سعيد للدولة العربية الإفريقية بسيطة ومرنة، وكانت لا تزيد على ٥% على الواردات التي تأتي إلى الموانئ في شرقي إفريقية، لتخفيف الأعباء التجارية وتشجيعها وإعفاء الصادرات الوطنية، كما تميّز عهد السيد سعيد في شرقي إفريقية بوضع نظام نقدي بسيط، وأدخل إلى دولته عملات صغيرة جاء بها من الهند لتحل محل العملات متعددة الجنسية التي كانت مستخدمة في شرقي إفريقية، منها الريالات الإسبانية والنمساوية والفرنسية، ولم يكدْ ينتهي عهد السيد سعيد حتى اختفت العملات الأجنبية من السلطنة العربية – الإفريقية وحلّ محلّها النظام الجديد الذي استحدثه والذي اعتمد على الروبية الهندية، وقد كان دخل جمارك زنجبار أقل من دخل مسقط[٢]، إذا ما قورن قبل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، ثم أخذ هذا الرقم يتزايد بشكل سريع بعدما أدخل السيد سعيد التنظيمات والإصلاحات الاقتصادية في شرقي إفريقية، حتى أصبح دخل جمارك زنجبار حوالي ١٥٠ ألف ريال نمساوي في العام الواحد، أما قبل تلك الإصلاحات والتنظيمات الاقتصادية فإن دخلها كان لا يتعدى ٣٠ ألف ريال نمساوي في العام. ويمكن القول إن

---

[١] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ١٩٨ . أيضاً: محمد حسن العيدروس ، السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية ، ط١ ، دار المتنبي للطباعة والنشر ، ص ٣٧ – ٣٨.

[٢] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ...، ص ٢٢١ .

مجموع دخل السيد سعيد من جمارك مسقط وزنجبار وبندر عباس كان لا يقل عن ٣٥٠ ألف ريال نمساوي أو ٧٠ ألف جنيه إسترليني في العام الواحد[١].

ج)- إدخال زراعة القرنفل:

لقد اهتم السيد سعيد بتحقيق استقلال زنجبار والقيام بمشروعات زراعية، وتشجيع زراعة قصب السكر والقرنفل؛ مستغلاً خصوبة الأرض في جزيرتي بمبا و زنجبار، وتُعدُّ زراعة القرنفل من أهم أعماله الإدارية في زنجبار وشرق إفريقية وهي ذات فائدة عظمى ودائمة لاقتصادها، لكن جهوده لدعم زراعة القرنفل قوبلت بمعارضة، لكنه ثابر حتى نجح في غرضه، فقد فشلت المحاولة الأولى لإدخال القرنفل من جزر موريشيوس إلى زنجبار في عام ١٨٠١م، وكان الفرنسيون قد وزعوها هناك لأول مرة في عام ١٧٧٧م ، لكنه قام بمحاولة أخرى بعد سبعة عشر عاماً فحقّق غايته من خلالها، وبعد مصادرة مزرعة القرنفل الأصلية في زنجبار، أمر السيد سعيد بتعميم زراعة القرنفل بعد التهديد بمصادرات أخرى[٢]، وبذلك يكون قد وضع حجر الأساسي للزراعة الأساسية في شرق إفريقيا وزنجبار، والتي أدت إلى رخاء هائل. وتقول بعض الروايات أن السبب في إدخال هذه الزراعة إلى زنجبار، هو أن السيد سعيد قام بطرد أحد أصحاب الضياع إلى خارج زنجبار لأمر خالفه فيه، وعندما عاد إليها جاء ومعه بذرة القرنفل وبها طلب السماح من السيد سعيد، فسامحه وبدأت تلك الزراعة تشغل حيزاً كبيراً من الاقتصاد الزراعي في زنجبار منذ عام ١٨٣٨م[٣]. فضلاً عن تشجيع السيد سعيد القوي لزراعة أشجار القرنفل على نطاق واسع فإن طبيعة البلاد والجزر قد تناسبت مع زراعتها حتى أصبحت لا تقل أهمية عن تجارة العاج أو أي محصول رئيسٍ آخر، ومازالت زنجبار تنتج ٨٠% من غلة القرنفل في العالم[٤].

---

(١) – كيلي ، بريطانيا والخليج ... ، ج١ ، ص ٣٨٤ .

(٢) – قاسم، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا... ، ص ١٩٩ .

(٣) – رويت ، سعيد بن سلطان ... ، ص ٧٣ – ٧٤. و قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ...، ص ١٩٩.

(٤) – حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٢٠٣ . و المعمري ، عُمان وشرقي إفريقيا... ، ص ٧٤ .

د)- فتح أسواق خارجية:

كانت نتيجة السياسة الاقتصادية التي اتبعها السيد سعيد هي تحول زنجبار من ميناء صغير إلى أعظم ميناء غربي المحيط الهندي، وأصبحت مركزاً أساسياً للتجارة الإفريقية الآسيوية [(١)]. وجاء في تقرير القنصل البريطاني الكابتن أتكنز همرتون أن عدد سكان زنجبار ازداد زيادة كبيرة بعد أن انتقل إليها السيد سعيد ، وكتب روبرت لاين عن الدور الذي أدّاه السيد سعيد في زنجبار حيث استطاع خلال فترة إقامته فيها أن يجعل منها واحدة من أهم المراكز التجارية غربي المحيط الهندي[(٢)].

وترجع شهرة السيد سعيد في العالم الخارجي إلى فتح موانئ شرق إفريقية للدول الأجنبية، وأصبحت زنجبار المستودع الرئيس لتجارة إفريقيا وآسية. ولما كان السيد سعيد يهتم بفتح أسواق جديدة خارجية لتصريف منتجات سلطنته، بعدما كانت الأسواق التقليدية تقتصر على ساحل المحيط الهندي الممتد من عدن إلى بومباي وعلى مصر والخليج والجزيرة العربية، لذلك اتجه السيد سعيد باهتمامه إلى أسواق أوربا وأمريكا لأهمية هذه الأسواق في رواج تجارة شرق إفريقية. ونتيجة اهتمامه بالتجارة رحّب بالتجار الأوربيين والأمريكيين الذين زاروا زنجبار، وعقد معاهدات مع الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٨٣٣م، وبريطانيا في عام ١٨٣٩م، وفرنسا في عام ١٨٤٤م وسمح بإنشاء قنصليات لهذه الدول في بلاده [(٣)].

وعندما توفي السيد سعيد كانت أسواق أوربا وأمريكا تستهلك أكثر من ثلث منتجات إفريقية التي تمرُّ من زنجبار، وكان قد دخل ميناءها تسعون سفينة أوربية وأمريكية في عام ١٨٥٧م[(٤)]. كما عُرِف السيد سعيد بحبه الشديد للتجارة وممارسته لها، وكان إلى جانب كونه حاكماً ورجل سياسة تاجراً ماهراً نظّم تجارة بلاده مع العالم الخارجي، ويقوم بالأعمال التجارية لحسابه الخاص، ومن أجل ذلك بنى أسطولاً تجارياً ضخماً يستخدمه في نقل البضائع، ويحمل منتجات زنجبار ومقديشو وممباسا وباقي المناطق الإفريقية إلى موانئ العالم الخارجي، وبذلك أخذ السيد سعيد يتاجر مباشرة

[(١)] – رويت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١ – ١٨٥٦ ... ، ص ٧٣ – ٧٤ . نقل العرب زراعة القرنفل إلى جزيرة موريس وكان الفرنسيون أول من أدخلها إلى هذه الجزيرة .

[(2)] R . N . Lyne , Zanzibar in Contemporary Times , London , p ,4.

وانظر : حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ...، ص ٢٠٣ .

[(٣)] قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا... ، ص ٢٢٢ .

[(٤)] – حسن ، انتشار الإسلام في القارة الافريقية ... ، ص ٢٠٤ وانظر : العيدروس ، السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية ... ، ص ٤٧.

مع الدول الأوربية ويرسل سفنه إلى مرسيليا، ولندن وجنوة .. الخ، وقد أدى ذلك إلى علو شأن مدينة زنجبار وازدهارها بعدما كانت مجرد قرية صغيرة في القرن الثامن عشر، واستطاع أن يجعل دولته في شرق إفريقية ثالث دولة تجارية على سواحل المحيط الهندي(١).

هـ)- نشاط الأسطول العُماني في عهد السيد سعيد

حصلت عُمان على مكانة عالية بين دول الخليج العربي في عهد دولة البوسعيد التي حققت العديد من الإنجازات العسكرية، ولا سيما بناء الأسطول العُماني وتطويره للأغراض العسكرية والتجارية، وأصبحت عُمان في عهد هذه الدولة يحسب لها الحساب على الصعيد الدولي والإقليمي، وكان الفضل لمؤسس هذه الدولة الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الذي تم اختياره إماماً على عُمان عام ١٧٤٤م بعد أن كان والياً على صحار من قبل اليعاربة، وتميّز بالقوة وشدة الانضباط، فحرر البلاد من الغزو الفارسي، ووحّد العُمانيين تحت راية واحدة وقام بإنشاء جيشٍ قويٍّ، واهتم بتدعيم الأسطول العُماني و تطويره لذلك حقق انتصارات حاسمة استعاد فيها لعُمان مركزها وقوتها بعد أن كانت تعاني من الفوضى وعدم الاستقرار(٢). ويُعدُّ عصر السيد سعيد بن سلطان حفيد مؤسس أسرة البوسعيد الحاكمة في عُمان من أزهى العصور التي مرّت بعُمان خلال القرن التاسع عشر إن لم يكن أكثرها ازدهاراً رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بناء الدولة ، وسبق أن ذكرنا أنه أدّى دوراً كبيراً في تاريخ عُمان والخليج وشرق إفريقية، وشهد النصف الأول من القرن التاسع عشر اهتماماً كبيراً ببناء الأسطول التجاري والحربي في عهد السيد سعيد، وكانت الموانئ العُمانية مثل مطرح ومسقط وشناص تشمل أهم أحواض بناء السفن حيث كانت تُبنى السفن في هذه الأحواض من الأخشاب المستوردة من الهند فضلاً عن الأخشاب العُمانية لبناء السفن، واستخدموا أشجار النخيل لبناء السفن الصغيرة ، وأمر السيد سعيد ببناء السفن التجارية والحربية في أحواض السفن في الهند وخصوصاً في بومباي. ومن أبرز هذه السفن في تاريخ الأسطول العُماني الحربي السفن المعروفة باسم: " تاج بكس " و " كارولين " و " شاه علم " و "ليفربول " و " سلطانة " و " تاجة " ، وقد أهدى السيد سعيد السفينة " ليفربول " إلى الملك البريطاني وليم الرابع عام ١٨٢٤م، وأطلق الملك

---

(١) – عامر محمد الحجري ، مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، ج٢ ، ص ٧٩٢ . و حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ... ، ص ٢٠٤ .

(٢) – المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد ... ، ص ٣٦٠ .

عليها اسم " الإمام " تكريماً للسيد سعيد بن سلطان ، أما السفينة الحربية العُمانية، فقد أُرسلت إلى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمل هدايا للرئيس الأمريكي[١].

وأصبح الأسطول العُماني الحربي والتجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ثاني أكبر أسطول على الإطلاق، ويأتي في المرتبة الثانية بعد الأسطول البريطاني؛ وذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها السيد سعيد بن سلطان واهتمامه بالبحرية العُمانية . كما كان لهذا الأسطول الضخم قواعد رئيسة على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانئ: بندر عباس وحاسك وشامل وسياب ولنجة وجزر قشم وهرمز و لارك ، وقواعده على الساحل العُماني موانئ مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة. أما على الساحل الإفريقي فإن أهم القواعد البحرية ممباسة ولامو وكلوة ومقديشو وزنجبار[٢]. وفي فترة النصف قرن التي حكم فيها السيد سعيد دولة واسعة في الخليج العربي والمحيط الهندي أخذ يتنقل بين ممتلكاته في عُمان والساحل الإفريقي ويبقى على ظهر سفينته يتفقد أحوال البلاد التي تتألف منها هذه الدولة، وفي الفترة الأخيرة من حكمه كان يقضي أطول فترة ممكنة في زنجبار؛ ليتمكن من الإشراف على الممتلكات العُمانية في ساحل إفريقية، وكان له علاقات واسعة مع زعماء القبائل الإفريقية وملوك المقاطعات والجزر التي لم يتمكن من السيطرة عليها مثل جزيرة مدغشقر، وعلى الرغم من امتلاكه أكبر قوة بحرية، لكنه اتبع الحذر الشديد، فلم يغامر بتوسعاته في الداخل، فاقتصر نفوذه على المناطق الساحلية كالساحل الشرقي للخليج العربي والساحل الإفريقي، لكن التجار العُمانيين توغلوا في داخل إفريقية ووصلوا إلى أواسط كينيا و البحيرات الإفريقية ونشروا الإسلام[٣]، وكانوا أول عامل ثقافي يربط بين العرب وإفريقية الاستوائية. والدليل على قوة الأسطول العُماني في عهد سعيد بن سلطان في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر وصوله على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعاً وثلاث فرقاطات* كل فرقاطة مزودة بستة وثلاثين مدفعاً وسفينتين كل سفينة مزودة بأربعة عشر مدفعاً

---

[١] – رويت ، سعيد بن سلطان ... ، ص ٦٥ . و مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ،... ص ٣٢٩ . أيضاً : لوريمر، دليل الخليج .. ، ص ٧٢٧ .

[٢] – سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ترجمة : عبد المجيد القيسي، ص ٥٧. وانظر :
Guillain , Relation du Voyage d' Exploration a la Cote Orientale d' Afrique , tome1 , p . 586.

[٣] – رجب محمد عبد الحليم ، العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مسقط ١٩٨٩م ، ص ١٣٣ .

* **الفرقاطة** : اسم يطلق على نوع من السفن الحربية السريعة التي تكون أصغر حجما من المدمرات تستخدم لحماية السفن المدنية أو الحربية والتصدي لحرب وأسطول الغواصات المعادية ومساعدة القوات البرمائية على السواحل واستخدامات أخرى للحرب البحرية . رويت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١ – ١٨٥٦ ... ، ص ٧٤.

ومائة مركب نقل عليها ستة آلاف مقاتل ، وبالرغم من بُعد الممتلكات العُمانية في إفريقية بأكثر من خمسة آلاف ميل لكن قوة الأسطول العُماني استطاع أن يحرس هذه الممتلكات الواسعة كما استطاع أن يحافظ على العديد من الموانئ الواقعة على السواحل العربية والافريقية والجزر المتوزعة في الخليج العربي والمحيط الهندي، وحقق إنجازاً كبيراً في تأسيس أسطولٍ تجاريٍّ حربيٍّ قويٍّ تمكّن من خلاله المحافظة على هذه الدولة [١] ، وتمكن من إقامة علاقات دولية قوية سواء مع مصر أو مع بعض الدول الأوربية أو مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ وبفضل ذلك وسّع ممتلكاته، وأصبحت دولته قوية مترامية الأطراف تحتل مركزاً مهمّاً بين دول الخليج العربي .

٣. نظام الحكم في زنجبار:

قام السيد سعيد بتقسيم زنجبار إلى مقاطعات، وعيّن على كل مقاطعة حاكماً محلياً من أهل البلاد يدين له بالتبعية والولاء ، وكل ما كان يطلبه من هؤلاء الحكام هو جمع الضرائب التي كان يفرضها على التجارة والزراعة وتسليمها لهُ وكثيراً ما كان يفقد ثقته بهؤلاء الحكام، ويعتمد على أعوانه في مسقط ، ووضع السيد سعيد لهؤلاء الحكام حاميات من الجنود للحفاظ على هيبتهم، لكنه لم يكن يهدف إلى بقاء حاميات عسكرية قوية في مقاطعاته في الشرق الإفريقي، خوفاً من الثورات والاضطرابات التي قد تؤثر سلباً في نشاطاته الاقتصادية، ولم يبقَ في زنجبار من القوات العسكرية سوى قوة صغيرة لحفظ الأمن والنظام، وحسب ما جاء به الرحالة الذين زاروا الشرق الإفريقي أن القوات العسكرية للسيد سعيد في زنجبار لم تكن على قدر كافٍ من القوة فقدرها ريتشارد بيرتون عام ١٨٤٦م بأربعمئة رجل موزعين في الجزر والموانئ[٢]، وكان هناك بعض الجنود المسلحين والمدربين من قبل الرؤساء والحكام المحليين يقومون بمهام السلطة التنفيذية وحفظ الأمن في المقاطعات التي يحكمونها إلى جانب السلطان والتي يتكون أفرادها من البلوش والحضارمة * وهذا ما أكده القبطان الفرنسي شارل جيان.

أما عن النظام القضائي في زنجبار فلم يختلف عن النظام الذي ساد في عُمان فظلّ القرآن الكريم هو أصل التشريعات ومصدر الأحكام ، وكان السيد سعيد هو القاضي الأول الذي يحكم

---

(١) – لوريمر ، دليل الخليج ، ص ٧٢٩ .

(2) R. Burton , Zanzibar , City , Island and Coast , vol . 1 , London , 1872 , PP , 265 .

* **عرب الحضارمة :** يعرفون بحب الهجرة في جميع أنحاء المحيط الهندي، وهم قبائل يمنية وفدت من حضرموت إلى ساحل إفريقية، معظمهم عمل في الجندية لخدمة دولة البو سعيد و اشتغل بعضهم في التجارة . المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان ...، ص ١٦٣.

بالقضايا الكبرى، وكلّف أبناءه في تبني القضايا الأقل أهمية، وعيّن مجموعة من القضاة في مقاطعات الشرق الإفريقي لتبني القضايا العادية وحل الخلافات والنزاعات والخصومات بين الرعايا، وعندما استقر السيد سعيد في زنجبار قرّر أن يشيد لنفسه قصرين ، فالأول كان يحتوي على مجموعة من القصور الصغيرة لأبنائه وحريمه وأفراد البلاط، وسمي "ببيت الساحل"، أما الثاني، فقام بشرائه عندما انتقل إلى زنجبار حيث يقع في بقعة ساحرة على الساحل وسمي "ببيت الموتني" نسبة إلى ضاحية صغيرة تبعد ثلاثة أميال شمالي زنجبار ، وتميّز هذا القصر برونقه وروعته، ويُقال إن ثروة السيد سعيد قد دُفِنت فيه، وجرى العديد من المحاولات من السيد ماجد والسيد برغش للبحث عن هذه الثروة بعد وفاة السيد سعيد[١]، وبدأت تدخلات الدول الأجنبية في أملاك السيد سعيد، لأن سيطرته لم تكن محكمة على المقاطعات في شرقي إفريقية، وبدأ يبحث عن الحل لتثبيت وجوده وإحكام سيطرته في المنطقة، لذلك توجه إلى الجنوب وحاول ربط جزيرة مدغشقر بزنجبار عن طريق عملية المصاهرة بالزواج من ملكتها، لكن فشلت هذه المحاولة، ولم يجد أمامه سوى السيطرة على جزيرة "نوسيبي " شمالي مدغشقر، وربطها بمعاهدة تجارية وافقت بموجبها على دفع عوائد ٥% من البضائع التي تصدرها إلى زنجبار، مقابل حصولها على حماية السيد سعيد لكن السيد سعيد لم يستطع تأمين الحماية الكاملة لهذه الجزيرة، فاستغل الفرنسيون هذه الفرصة وأخضعوها لحمايتهم[٢].

وبدأ السيد سعيد يتطلّع إلى السيطرة على الشمال بعد فشله في الجنوب. ففي عام ١٨٤٠م أرسل حملة إلى الصومال، وأخضع مقديشو، ولم تكن تعنيه السيطرة على مقاطعات الشرق الإفريقي بقدر ما كان يهدف إلى تحقيق أهدافه الاقتصادية، وكان يخشى من وقوع أي ثورات داخلية تؤدي إلى اضطرابات تعيق حركة التجارة فكان يلجأ إلى حل المشكلات الداخلية بالطرق السلمية، ووطد علاقاته مع رؤساء القبائل الداخلية ورؤساء الساحل، ليضمن الاستقرار الاقتصادي الذي يسعى إليه بالطرق السلمية، وليس بالحرب والمنازعات[٣]، وبذلك نجد أن السيد سعيد فشل في سيطرته السياسية، ونجح في سيطرته الاقتصادية.

---

[١] – سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ...، ص ٥٥ .

[٢] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا... ، ص ٢٠١ .

[٣] – المغيري ، جهينة الأخبارفي تاريخ زنجبار ... ، ص ١٥٨ .

٤. السكان في زنجبار

كانت زنجبار ملتقى الشعوب، لذا تنوّعت وتعدّدت الأصول العرقية في المجموعات التي كوّنت مجتمع شرق إفريقية، وتزايد عدد السكان تزايداً كبيراً حين نقل السيد سعيد مقرَّ حكمه إليها [١]، فضلاً عن السكان الوطنيين بقبائلهم المختلفة، والمجموعات السكانية الإفريقية الأخرى الوافدة من داخل القارة وخاصة الرقيق، إلى جانب سكان الساحل الذين انتشروا على طول ساحل إفريقية الشرقي وفي داخل البلاد، حيث خصّهم السيد سعيد بمعاملة كريمة تميّزت باللين والرفق والاحترام، كما وجد الأوربيون والعرب والعجم، ومن النوبة والحبشة ومصر والصين، وكانت العناصر الغالبة هي العناصر الإفريقية والآسيوية، أما الأمريكيون والأوربيون فكان عددهم قليلاً بسبب الظروف المناخية القاسية[٢]، كما وفد إلى زنجبار عناصر أخرى غير عربية أهمها الجالية الهندية بطوائفها المختلفة التي عملت بالتجارة وسيطرت على تحصيل الجمارك من موانئ شرق إفريقية، وكان للفرس " الشيرازيين" تواجد ملحوظ حيث اشتهروا بمهارتهم في علم الإدارة ، وعملوا محاميين في المحاكم، وطائفة البلوش الذين ينتسبون إلى إقليم " بلوشستان "الواقع جنوب بلاد فارس على المحيط الهندي، فقد شكّلوا أغلب جيش الدولة العربية الإفريقية، وتذكر بعض الدراسات ظهور التقسيمات الطبقية في مجتمع شرق إفريقية كون أن العرب يمثلون قمة الهرم ويشكلون الطبقة الأرستقراطية، وتقع بين أيديهم ملكية معظم الأراضي الزراعية ، وهناك المولّدون الذين ظهروا نتيجة الاختلاط بين العرب و الأفارقة والهنود ثم الرقيق في قاعدة الهرم، ولم يفرق السيد سعيد بين هذه الأجناس والطبقات، بل عاملهم بغاية الاحترام والمساواة؛ مما أدى إلى وجود مجتمعاً مستقر متماسكٍ[٣].

وكان تزايد السكان في عُمان متأثراً بهبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية حيث تصبح الجزيرة مليئة بالعرب الذين يفدون من عُمان أو غيرها إلى بلدان الخليج العربي؛ مما يؤدي إلى انتعاش الحركة التجارية، وكانت هذه الرياح سبباً في انتقال النخاسين الذين يأتون من أجل الاستيلاء على الرقيق لبيعهم في الجزيرة العربية وفارس والعراق، وكان قدومهم إلى زنجبار يسبب الفوضى والاضطراب [٤]. وتدفق العرب بشكل هائل من عُمان وجنوب شبه الجزيرة العربية إلى شرق إفريقية بعد نشاط حركة التجارة والتنمية الزراعية، وكانوا على النحو الآتي :

---

[١] – المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان ... ، ص ١٩٥.

[٢] – مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ... ، ص ٣٦٠ .

[٣] – رويت ، سعيد بن سلطان ١٧٩١ – ١٨٥٦ ... ، ص ١٥٤ .

[٤] – هولي دونالد ، عُمان ونهضتها الحديثة ، ترجمة : فؤاد حداد وعادل صلاحي ، تحقيق : محمد نيني ، نشر مؤسسة ستايس الدولية لندن ، ص ١٦٧. وأيضاً: قاسم ، دولة البو سعيد في عُمان ... ، ص ٢٠٣ .

عرب الحضارمة : كانوا يعرفون بحب الهجرة في أنحاء المحيط الهندي جميعه، وهم مجموعة من القبائل اليمنية الوافدة من حضرموت وخاصة مدينتي " الشحر والمكلّا " إلى ساحل إفريقية الشرقي، وعاشوا في منطقة خاصة بهم في زنجبار، ويشكلون قسماً متميزاً ومهمّاً من السكان العرب، ومنهم مَن جاء إلى زنجبار للإقامة الدائمة ، وقد تولّى بعضهم منصب القضاء وعمل بعضهم في سلك الجندية لخدمة الدولة البوسعيدية، ومنهم من اشتغل بالتجارة والأعمال اليدوية، لاسيما حمل البضائع في الموانئ، وتطورت هذه المهنة نتيجة ازدهار النشاط التجاري في زنجبار(١) .

عرب جزر القمر : هم مجموعة من التجار، كانوا يعملون في التبادل التجاري مع جزر القمر، وعندما قام السيد سعيد بتوحيد الساحل الإفريقي تحت سيطرته، فضّلوا الاستقرار في زنجبار لمتابعة أعمالهم التجارية ، ولا يعرف أصلهم بشكل دقيق ، لكن جاءت احتمالية تحديد أصولهم وانحدارهم من أصول سامية أتوا من شواطئ البحر الأحمر، واستقروا في شرق إفريقية ، ويذكر المغيري أن سكان جزر القمر هم خليط من عرب عُمان وعرب حضرموت، وتأثروا بالدماء الفارسية، وكان عددهم في زنجبار حوالي ٤٠٠٠ نسمة في عهد السيد سعيد(٢).

عرب عُمان : هم العُمانيون الذين وفدوا إلى زنجبار وسواحل شرق إفريقية بشكل جماعي أو فردي منذ القدم حتى وصول اليعاربة إلى الحكم ، وازدادت هجراتهم في عهد السيد سعيد، وكانوا يشكلون الطبقة الرئيسة الحاكمة في البلاد وكبار التجار، وتقع في أيديهم ملكية أكثر الأراضي ، وحرص السيد سعيد على إعطائهم مكاناً مرموقاً عند انتقاله إلى زنجبار ، لكن هؤلاء العُمانيين كانوا بعيدين عن الأهالي الوطنيين، ثمّ سرعان ما تمّ اختلاطهم وانصهارهم معهم، وظهرت روح المحبة والوئام بين المهاجرين العُمانيين والسكان الأصليين(٣) .

عرب الساحل : هم العرب الذين نزحوا إلى سواحل الشرق الإفريقي من سواحل الخليج والجزيرة العربية قبل تأسيس سلطنة زنجبار الحديثة(٤).

وبذلك أصبحت زنجبار ملتقى العديد من الأجناس والحضارات، فهي إفريقية في موقعها ومناخها، وشرقية إسلامية بسكانها وحكامها ، وأصبح عدد سكانها خاصة العرب يتزايدون بشكل

---

(١) – المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان ... ، ص ١٦٢ . و الفارسي ، البوسعيد حكام زنجبار....، ص ١٢٥ .

(٢) – المغيري ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار... ، ص ١٧٤.

(٣) – بيدويل روبين ، عُمان في صفحات التاريخ ....، ص ٢١٠

(4) F.B.Pearce ,Zanzibar , The Island Metropolis of Eastern Africa , London , 1920 ,pp. 215-218.

واضح بعد انتقال السيد سعيد إليها والإقامة فيها حيث ارتفع عددهم من ١٠٠٠ نسمة في عام ١٨١٩ إلى حوالي ٥٠٠٠ نسمة في عام ١٨٤٠م .

أ)- العادات والتقاليد

حمل المهاجرون العرب معهم عاداتهم وتقاليدهم إلى شرق إفريقية، وبدأ التجار العُمانيين يتزاوجون من النساء الإفريقيات من المدن الصغيرة التي يمرّون بها أو من بنات رؤساء القبائل الإفريقية كصفقات تجارية ، وكلما ازداد استقرار المهاجرين العُمانيين وتحسنت أحوالهم المادية تمكّنوا من الزواج من نساء، إما من أقاربهم من أصل عثماني أو من ساحل إفريقية الشرقي، ولكن أغلب طرق الزواج كانت تتم بين العرب أنفسهم للحفاظ على العادات العُمانية، وبذلك اتسعت الجالية العُمانية في أواسط إفريقية، وحافظوا على الترابط العائلي القوي فيما بينهم ، وكان تأثير الإسلام في المجتمعات الإفريقية يظهر بشكل واضح، وأدخلوا مفاهيم وعادات جديدة أثرت بدورها في المفاهيم الاجتماعية وفي المعتقدات والتقاليد السائدة لديهم ، وأهم ما أثر به الإسلام هو تحقيق الوحدة الاجتماعية بعد أن أصبح الجميع يعبدون إلهاً واحداً، ولكن هذا التغيير لم يكن جذرياً حيث بقي الصراع بين القديم والحديث فترة لا بأس بها [1].

وإن انتشار المصاهرة والزواج في المجتمعات الإفريقية من دون تفرقة أو تمييز عنصري جعل الكثير من الأفارقة يفتخرون بالانتماء إلى النسب العربي، كما قامت مجتمعات إفريقية ما تزال متمسكة بالهوية العربية الإسلامية في قلب القارة الإفريقية، وأهم ما تميز به المجتمع في عهد السيد سعيد أنه حصر عدد الزوجات في أربع بعد أن كان الرجل منهم يتزوج بأي عدد شاء من النساء واهتم بنظم الزواج والبناء الأسري بشكل عام، ورفع مكانة المرأة وظهر التجانس واضحاً بين الثقافة العربية الإسلامية والتقاليد الإفريقية والذي أدى إلى ظهور هوية إسلامية قوية على طول الساحل الإفريقي[2].

كما تأثر المجتمع في شرق إفريقية بالتقاليد العربية الإسلامية من ناحية اللباس، فهم يرتدون الزي العربي التقليدي، فالرجال يلبسون ثوباً طويلاً يسمونه "الدشداشة"، ويشدّون فوقه نطاقاً، وهذه الكلمة عربية مأخوذة من سلطنة عُمان بحكم العلاقة مع شرق إفريقية[3]، وهذه الملابس تنتشر في الخليج والجزيرة العربية. ومنهم من يرتدي القفطان والعباءة والنعال، وتلبس النساء السراويل الطويلة ويرتدينَ

---

(١) – مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ... ، ص ٣٦٠ .

(٢) – المحذوري ، زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان ... ، ص ١٩٤ .

(٣) – العيدروس ، السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية ... ، ص ٥٥.

فوقها ثوباً يتدلّى إلى الركبتين يشدُدْنَ فوقه نطاقاً وعلى رؤوسهنَ نسيج يشبه الكوفية، يعلوها حزان كعقال الرجال، ويصففن النقود الذهبية على رؤوسهن ويكثرن من الأساور والخواتم والقلائد والسلاسل الذهبية التي توضع حول العنق وترخى إلى الوسط وتختلف أنواع تلك الحلي من ذهبية إلى فضية حسب مركز المرأة الاجتماعي ودخلها المالي، ويزججن الحواجب ويكحلن العيون، ويصبغن أيديهن وأرجلهن بالحنّاء[١].

وهناك تشابه كبير مع النساء العُمانيات اللواتي يلبسن ويتزين مثلهن، ويتجولن نهاراً لقضاء لوازم منازلهنَ، أمّا المخضرمات كثيرات التحجب فلا يبارحن منازلهن نهاراً، ربما خرجن ليلاً للتنزه وإذا ما لقيهن رجلٌ في الطريق وقف مختبئاً رعايةً لحرمتهن، وهذا دليل على تأثر نساء شرق إفريقية بالنساء العُمانيات[٢]. وتقول السيدة سالمة : " إن النساء يتجنّبن الظهور في الشوارع نهاراً؛ لذلك يخرجن في الصباح الباكر أو بعد حلول الظلام، ولم تكن في أيامي في زنجبار شوارع مضاءة فكان على السائر في الطريق أن يؤمن وسائل الإضاءة كالفوانيس الكبيرة التي تفنن في صنعها"[٣]. ويزاول بعض الأفراد في المنطقة الساحلية مهنة التجارة، والبعض الآخر يعمل في السمسرة، ويكتفي البعض بما يجنونه من غلات الأرض، أما في الداخل فتزرع النساء الذرة والبطاطا، وينسجن الحصر وغيرها، ويقضي الرجال أوقاتهم في الصيد والقنص، ويعتمدون على النساء في قضاء لوازم بيوتهن وحرث أراضيهم[٤].

ب)- الثقافة واللغة

انتشرت الثقافة العربية الإسلامية في شرق إفريقية مع بداية الهجرات العربية التي جابهت الثقافات المحلية الموروثة للسكان الأصليين، وظهرت مشكلة الملاءمة بين هاتين الثقافتين، ونتجت عنها ثقافة عربية إفريقية مشتركة على الساحل الشرقي من إفريقية. وكان العامل الأهم في إظهار الصلة بين المنطقتين الجزيرة العربية وإفريقية هو شدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات السامية القاطنة في الجزيرة العربية، فقبل ظهور الإسلام استقرت بعض المجموعات الإفريقية التي هاجرت إلى الجزيرة العربية، واندمجت في بوتقة القبائل العربية عن طرق الولاء والانتماء الكامل، وبعد ظهور الإسلام حمل العرب رسالتهم الجديدة باتجاه الغرب إلى إفريقية، واتبعوا

---

(١) – حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ص ٢٠٨ .

(٢) – السيدة سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ص ١٣٥ .

(٣) – السيدة سالمة ، مذكرات أميرة عربية ، ص ٢٠٩ .

(٤) – حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ص ٢١٦ .

الطريق نفسه الذي سلكه أجدادهم من قبلهم بهدف التجارة أو الهجرة، وكانوا في ذلك يحملون أهم مظهرين من مظاهر الثقافة، هما : **اللغة العربية والإسلام**[١].

وكان لانتشار الإسلام أثر كبير في نشر اللغة العربية بين القبائل، رغم أن انتشاره كان بطيئاً في شرق إفريقية، وأكد السير توماس أرنولد بقوله : إن العرب لم يعملوا على صبغ البلاد بالصبغة الإسلامية ، وإن الإسلام لم يقم في شرق إفريقية نتيجة فتح أو توسع عسكري، وإنما الذين قاموا به في الغالب جماعات من التجار العرب كانت تعنيهم التجارة أكثر مما يعنيهم الإسلام[٢].

فلم يكن الدين هو العامل الوحيد الذي أسهم في انتشار اللغة العربية ودليل ذلك أن الدين الإسلامي ظهر بين شعوب إفريقية، ولم تكن اللغة العربية معروفة عند تلك الشعوب؛ وإنما هناك عوامل أخرى مثل التقارب الكبير في المظاهر اللفظية والنحوية بين بعض اللهجات واللغات المحلية الإفريقية، وكان ٢٠% من مصطلحات اللغة الساحلية التي تستخدمها دول شرق إفريقية حالياً مثل " تنزانيا – كينيا – أوغندا – زائير" مأخوذة من اللغة العربية[٣]. وانتشرت اللغة السواحلية على طول الساحل الشرقي لإفريقية، وهي خير مثال على تأثر العلاقات العربية– الإفريقية في الثقافة واللغة ، والدليل على عمق هذه العلاقات وأثرها في المجتمع الإفريقي الشرقي **اللغة السواحلية والتي هي نتاج لاختلاط المهاجرين العرب بدماء البانتو ولغاتهم.**

وتزوج العرب من نساء البانتو الزنجيات ونتج عن ذلك الأمة السواحلية التي تكلمت اللغة السواحلية، وانتشرت بين السكان الأصليين مثل : الديجو ، الباو، الجلا، وأصبحت لغة التجارة والمعاملات التجارية والمالية[٤]. وتميزت اللغة السواحلية برقتها في تطرب السامع، وجاءت حركاتها من اللغة العربية، واستمدت بعض التعبيرات من اللغتين الفارسية والهندية، وتُعدّ هذه اللغة حالياً اللغة الرسمية القومية في ساحل شرق إفريقيا.

كما كتبوا بالأبجدية العربية حتى منتصف القرن التاسع عشر، لكن الاستعمار الأوربي قام بتغيير حروفها من العربية إلى اللاتينية، لكن ماتزال بعض المعاملات التجارية والصكوك الشرعية لدى

---

(١) – هدى سليم عبد الباقي ، الروابط بين العرب والأفارقة السود والأمريكيين السود ، دار المروج ، بيروت ١٩٨٦م ، ص ٢٤ .

(٢) – العيدروس ، السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية ... ، ص ٦٥ . و السيار، دولة اليعاربة ... ، ص ١٢.

(٣) – عصام محسن الجبوري ، العلاقات العربية الإفريقية ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨١م ، ص ٥١.

(٤) – عبد الباقي ، الروابط بين العرب والأفارقة السود والأمريكيين السود ... ، ص ٢٥ .

أهالي شرق إفريقية مكتوبة بالأبجدية العربية [١]. وهناك نوع آخر من التشابه بين الشرق الإفريقي والحضارة العربية الإسلامية، لاسيما في المناصب والمصطلحات الإدارية ونظم ملكية الأرض، لكن المستعمرين الأوربيين فتّتوا الدولة العربية الإسلامية في شرق إفريقية بعد أن أخضعوها لسيطرتهم، وشجعوا النظم والتقاليد المحلية ونفوذ زعماء القبائل، وهذه السياسة تهدف إلى تمزيق وحدتهم، لكن هذه الأحداث دفعتهم للتمسك والدفاع عن بقائهم وثقافتهم العربية الإفريقية الموروثة المشتركة[٢].

وكان التأثير الثقافي متبادل ، مثلما أثرت الثقافة العربية في شعوب شرق إفريقية، كان هناك تأثير من إفريقية على الثقافة العربية وحضارتها، وظهرَ العديدُ من المصطلحات المأخوذة من شرق إفريقية في الأوساط المحلية العربية، كساحل حضرموت وعُمان والإمارات العربية، وأحياناً في دول الخليج العربي كلها. وكذلك في الفن فهناك الكثير من الأغاني والرقصات الشعبية في منطقة الخليج مأخوذة من شرق إفريقية. وذلك يتوضّح لنا مدى التأثير المتبادل بين الثقافة العربية الإسلامية في الخليج والجزيرة العربية وشرق إفريقية كما توضحت الأسباب التي جعلت الشعوب تتقبل فكرة التمازج بين البلدين، وبقيت اللغات والثقافات الوطنية للسكان الأصليين إلى جانب القرآن. وهذا دليل على انتشار روح التسامح العربي الإسلامي الحضاري في التعايش والاندماج بالأفارقة ومعاملتهم باللين واللطف، مما جعل الشعوب الإفريقية تنظر إلى الدين الإسلامي وحضارته كمنقذ لها من الجهل والظلام، وإلى القرآن الكريم كمنظم لجوانب الحياة المختلفة [٣].

٥. نشاط البعثات التبشيرية في شرقي إفريقية بين عامي ١٨٤٠ – ١٨٥٦م

أقام العرب والفرس مستوطنات في شرقي إفريقية امتدت على مساحات واسعة، ولم يكن هدف أولئك المهاجرين التبشير بالدين الإسلامي ،بل كان هدفهم العثور على ملجأ آمن من جهة، والتجارة من جهة أخرى[٤]. وكان اعتناق الأفارقة للدين الإسلامي؛ نتيجة للعلاقة الوثيقة التي نشأت بينهم وبين ضيوفهم المهاجرين، وبحكم الزواج والامتزاج بين الطرفين، الذي بدأ منذ قرون واستمر في

---

[١] – ذياب ، أحمد ابراهيم ، لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث ، دار المريخ ، الرياض ١٩٨١م ، ص ٧٣.

[٢] – الجبوري ، العلاقات العربية الإفريقية ، ص ٥١.

[٣] – الجبوري ، العلاقات العربية الإفريقية ، ص ٥٣.

[٤] – مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ، ص ٨٦ . وانظر : أرنولد ويلسن ، الخليج العربي ، ترجمة : محمد أمين عبد الله ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٠٤.

القرن الثامن عشر مع الاستيطان الدائم للمسلمين القادمين من الجزيرة العربية وشيراز*. والعامل الذي ساعد على الدخول في الدين الإسلامي هو تلك الروابط الأخوية بين الشيرازيين والعرب من ناحية، وبين سكان شرقي إفريقية من جهة أخرى، وهي روابط اجتماعية وثقافية قامت منذ زمن طويل. كما انتشرت المسيحية في شرقي إفريقية من خلال فتح هذه المناطق على يد الأوربيين، كما ارتبط نشاط البعثات التبشيرية المسيحية بالقصة الكاملة لفتح إفريقية الاستوائية وتطورها في القرن التاسع عشر والجزء الأكبر من حركة الكشوف في المناطق الداخلية كان على يد مبشرين مسيحيين أسهموا بشكل كبير في وقف تجارة الرقيق(١). والدليل على الديمقراطية الكاملة في الدين الإسلامي هو التسهيلات التي قدّمها السيد سعيد سلطان زنجبار للبعثات المسيحية رغم أنه مسلم، فالإسلام لا يتدخل في شؤون أية ديانة أخرى؛ بل يحترم الديانات جميعها، قال تعالى:" لا إكراه في الدين "، واتبع السيد سعيد تعاليم الإسلام في تقديم المساعدات والتسهيلات للبعثات المسيحية التي دخلت عُمان، فتصرف عن حسن نية بغض النظر عمّا إذا كان مخطئاً أو مصيباً. ومن البعثات التبشيرية التي عُرِفت بنشاطها الزائد في شرقي إفريقية :

١- **جمعية التبشير الكنسية:** أُسّست هذه الجمعية في عام ١٧٩٩م للعمل في إفريقية والشرق، وفي عام ١٨٤٠م أُرسِل الدكتور كرامبف إلى الحبشة في بعثة لتقصّي الحقائق والتعرّف إلى أوضاع المنطقة وإذا من الممكن التبشير بالدين المسيحي في هذه البلاد، وكانت نتائج رحلته بعدم نجاح التبشير هناك في ذلك الحين، وغادر الحبشة إلى زنجبار في عام ١٨٤٤م حيث أكرمه القنصل البريطاني همرتون وقدمه للسيد سعيد. وقد شرح كرامبف للسيد سعيد أنه يرغب الاستيطان في ممباسة من أجل تحويل السكان إلى المسيحية، فسمح له السلطان بذلك، وسلمه رسالة توصية للحاكم العربي في الساحل(٢). وفي العام نفسه أبحر كرامبف إلى ممباسة، وبدأ عمله في نشر المسيحية بين القبائل، لكن البيئة المحلية لم تكن مهيأة له ولعائلته، فخلال بضعة شهور من إقامته هناك فقد زوجته وطفله، بينما أُصيب هو بمرض خطير، ولمّا توفيت زوجته

---

* **شيراز** : مدينة من المدن الإيرانية الكبيرة، وهي مركز محافظة فارس وهي موجودة في منطقة جبال زاغروس ، وهي المركز الاقتصادي لجنوب إيران، تتميز بتفوقها العلمي، فتحها أبو موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص في أواخر أيام خلافة عثمان، اشتهرت بخمرها وسجادها . انظر: الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٤ ، ص ٢٠٤.

(١) – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ، ص ٢١٨ .

(2) Coupland , East Africa and Its Invaders , p . 390.

وانظر : قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ، ص ٢١٨ .

حضر حاكم ممباسة وغيره من المسلمين، المسيحيين جنازتها إكراماً له. ولم تثبط تلك الأحداث من همته، واستمر في عمله، وفي عام ١٨٤٦م لحق به صديقه القس جون ريبمان، وأقاما مقراً للبعثة في قرية راباي[١]، ومازالت كنيسة راباي موجودة حتى اليوم.

٢- البعثة الجامعية لوسط إفريقية :

أُسّست في عام ١٨٥٦م نتيجة لنداء وجّههُ الدكتور ليفنجتون إلى جامعتي أوكسفورد وكامبريدج، وفي البداية أوصت البعثة بالعمل في إقليم نهر شبري بقيادة الأسقف ماكنزي، لكن لم يكن اختيار المكان مناسباً بسبب الطبيعة القاسية هناك، حيث توفي ماكنزي ومعظم مساعديه في العام الأول من بدء نشاطهم، وقرّر خَلَفهُ الأسقف توزر الذي وصل إلى نهر شيري عام ١٨٦٣م وقف العمل هناك لفترة ونقل المقر إلى زنجبار بعد أن تأكد من أن مركز زنجبار المتوسط على الساحل الشرقي يمكن أن يجعل منها نقطة مركز إنطلاقٍ للعمل وتحقيق الإنجازات في الداخل[٢]، ووصل الأسقف توزر إلى زنجبار في عام ١٨٦٤م واستقبله القنصل البريطاني استقبالاً جيداً، وبعدها اتفق مع السيد ماجد بن السيد سعيد على تزويد البعثة بمبنى كبير مواجه للبحر في شانجاني في وسط زنجبار، كما زوّد السلطان الأسقف توزر بخمسة من الصبية الذين كانوا عبيداً وحرّروا ليساعدوه في أداء مهمته، وبهؤلاء الصبية وغيرهم ممن انضموا إليه استطاع توزر أن ينجز عمله بتعليمهم وأصبحوا فيما بعد مدرسين وقساوسة، وبعد ذلك وفي عام ١٨٦٥م اشترى توزر مقاطعة في كيونجاني وهي مدينة لا تبعد كثيراً عن مدينة زنجبار، وبعد فترة اشترى أرضاً أخرى في مبويني إلى الجنوب من المدينة، واستخدمها لإقامة الوافدين الجدد إلى البعثة، ولم يمضِ وقت طويل حتى أنشئت قرية في هذا الموقع للعبيد الذين تمّ تحريرهم[٣]، ومن هذه المنطقة انتشرت المسيحية إلى الداخل حتى وسط إفريقية.

٣- **بعثة الروح:** تتبع هذه البعثة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وقد أسسها الدكتور أماند مانيوينت، وأسقف سانت دينس الذي أرسل نائبه العام إلى زنجبار عام ١٨٦٠م، وعند وصوله إلى زنجبار قام هو ومرافقوه بزيارة السيد ماجد، وأبلغوه بأنهم سيمارسون أعمال التمريض لمساعدة الفقراء وتعليمهم، حيث لقوا من السيد ماجد ترحيباً كبيراً وقدّم لهم التسهيلات، وأعرب لهم في أن يكون في عملهم خيراً وبركة لشعبه. وتمّ إنشاء مستشفيين بفضل جهود البعثات، واحدة كانت للبحارة

---

(١) – المعمري ، عُمان وشرقي إفريقية ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ، ص ١٠٥ .

(٢) – لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٣٤.

(3) R. Burton , Zanzibar , City , Island and Coast , vol . 1 , London , 1872 , p , 34

وانظر: المعمري ، عُمان وشرقي إفريقيا ، ترجمة: محمد أمين عبدالله ، ص ١٠٦

الأوربيين والأخرى للأفارقة ومدرسة أولية، ومدرسة صناعية، ومن هنا انتشر عملهم إلى الداخل ولقي اهتماماً كبيراً[١].

٤- **بعثة الأصدقاء الصناعية (بيمبا)** : كان الهدف منها هو مكافحة تجارة الرّق، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها آمنت بأن أفضل طريقة للتخلص من الرق هو تحويل العبيد إلى مواطنين يمكن الاستفادة منهم في أعمال عديدة، وكان على رأس هذه البعثة تيودور بيرت الذي وصل إلى بيمبا عام ١٨٩٧م قبل صدور المرسوم القانوني القاضي بإلغاء الرق ببضعة أشهر[٢].

وتبين أن البعثات التبشيرية قد لاقت رعاية واسعة من سلطان زنجبار السيد سعيد بن سلطان وأولاده من بعده، وقدم لهم العديد من المساعدات والتسهيلات، وعلى الرغم من هذا كله أطلقوا على الإسلام فيما بعد أنه عدو المصالح الأوربية في الشرق وأنه يربط العربي بالرّق ويمارس الاستغلال. وإن الإنجازات جميعها التي قام بها السيد سعيد أدّت دوراً متميزاً في إحياء دولته في زنجبار من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفتحت المجال واسعاً أمام توطيد علاقاته الخارجية دولياً وإقليمياً وتوقيعه للعديد من المعاهدات التجارية التي تضمن له سلامة دولته، وهذا ما سيتم توضيحه بدراسة مفصلة في الفصل الثالث .

---

[١] – السالمي، عبد الله ، عساف ، ناجي ، عُمان تاريخ يتكلم ، ص ١٣٢ . و المعمري ، عُمان وشرقي إفريقية ، ص ١٠٦.

[٢] – قاسم، الدوافع السياسية برحلات الأوروبيين إلى نجد والحجاز .... ، ص ٩٨ . و قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا، ص ٢١٨ .

الفصل الــثالث

علاقات السيد سعيد بن سلطان
الدولية والإقليمية خلال فترتي حكمه

١٨٠٦- ١٨٣٣م و ١٨٣٣-١٨٥٦م

مدخل:

تعاظمت قوة ومساهمة الدولة البوسعيدية منذ بدايتها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، واستمرت متطورة رغم الصعوبات والعثرات التي مرت بها، ومثلها مثل أية دولة أخرى واجهت العديد من التحديات الداخلية والهجوم الخارجي من القوى الأجنبية الأوربية ، لكنها استطاعت أن تبقى صامدة، وحققت العديد من الانتصارات بفضل قوتها ووحدتها الوطنية والتواصل مع القوى الأجنبية التي تهدف إلى السلام ، وأكدت المصادر العربية والأوربية على أن الفترة التي حكم بها البوسعيد تميزت بالازدهار الشديد، واستمرت ثمانين عاماً على هذه الوتيرة وسبق أن ذكرنا أن العامل الأهم لهذا التطور هو المهارة والخبرة الملاحية والتجارية، حيث اكتسب العُمانيون رصيداً ضخماً من التجربة خاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان، ويُعدّ ذلك محصلة للأحداث الجارية داخل الدولة البوسعيدية وعلاقاتها الخارجية(١).

تطلّعت عُمان إلى توطيد علاقاتها في الخارج منذ عهد مؤسسها السيد أحمد بن سعيد الذي واجه العديد من الصعوبات نتيجة الصراعات والفوضى الداخلية فضلاً عن التحديات الخارجية التي لا يمكن تجاهلها، ففي شرق إفريقية ظهرت النزعات الانفصالية عند بعض الولاة التابعين لدولة اليعاربة حيث استغلوا سقوط الدولة، وأعلنوا انفصالهم التام وتكوين دولة تابعة لهم، والدليل على ذلك ما قام به محمد بن عثمان المزروعي الذي أعلن استقلاله عن الدولة العُمانية، ليحافظ على ممباسة التي كانت تخضع لحكمه، ومازالت على ولائها لدولة اليعاربة حتى سقطت ولا يعني ذلك أن تستمر تبعيتها لعُمان بعد سقوط الأسرة الحاكمة ، فأصبح الوضع خطيراً أمام مؤسس الدولة البوسعيدية، حيث لا يمكن تجاهله فبدأ الصراع بينه وبين آل المزروعي، ولجأ إلى حلّ الخلاف بالعقل ليمنع انفصال ممباسة عن دائرة حكمه، لكنه فشل في ذلك بعد نجاح علي بن عثمان المزروعي باغتيال والي الإمام سيف بن خلف الذي وصل إلى ممباسة ليقنع آل المزروعي بأنهم خارجون عن الإمام ، فبقيت ممباسة تحت سيطرة المزارعة(٢) .

أما عن علاقة الأسرة البوسعيدية مع الفرس، فتميزت بالتنافس من أجل الحصول على السيادة البحرية ، فسعى الفرس خلال فترات مختلفة إلى تحجيم القوة البحرية العُمانية، كما واجه الأسطول الفارسي العديد من المشكلات، منها: اعتماده على المساعدات الأجنبية في بنائه وعدم

---

(١) – المغيري ، جهينة الأخبار ... ، ص ٨٥ . و الآزكوي ، تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ... ، ص ١٠٩ .

(٢) – غباش ، عُمان الديمقراطية الإسلامية تقاليد الإمامة ... ، ص ١٦٣ – ١٦٤

وجود الخبرة البحرية في فن الملاحة[١]، مما دفع الفرس إلى الاستعانة بالبحارة العرب لقيادة هذا الأسطول، وكان ذلك في عهد نادر شاه وبعد وفاته خلفه على الحكم كريم خان زند الذي حاول السير على نهج نادر شاه التوسعي في الخليج العربي، لذلك بدأ كريم خان بمراسلة الإمام أحمد طالباً منه دفع الجزية السنوية واثقاً من تبعية عُمان إلى الفرس ، لكن الإمام أحمد رفض المطالب الفارسية كرجل سياسة متمرس واعياً كيفية مخاطبة التطلعات والأطماع الاستعمارية وذلك برفض المطالب الفارسية بشكل كامل ، ولجأ الإمام إلى استخدام القوة، وتحالف مع خصوم الفرس، وخاصة الأتراك بسبب ضعف الفرس بعد وفاة كريم خان ، وأحرز نصراً كبيراً وأعاد لعُمان مركزها القوي في منطقة الخليج العربي ، فيتبّين من ذلك أن العلاقة بين الدولة البو سعيدية وفارس علاقة عدائية من قبل الفرس الذين كانوا يطمعون بخيرات عُمان؛ وخاصة بعد القوة البحرية التي امتلكتها ، وستظهر علاقة الفرس بالدولة البوسعيدية في عهد السيد سعيد بن سلطان بين عامي ١٨٣٠ – ١٨٤٨م في فقرة لاحقة[٢] .

فضلاً عن العلاقات العُمانية مع شرق إفريقية والدولة الفارسية كونت عُمان في عهد حكام البوسعيد مجموعة من العلاقات مع دول أوربة وخاصة مع فرنسا وبريطانيا في عهد الإمام أحمد بن سعيد والإمام سعيد بن سلطان ، وكان الصراع الدولي في هذه الفترة يتمحور حول الصراع للحصول على مناطق النفوذ والامتيازات ، حيث قام الصراع بين فرنسا وبريطانيا حول عُمان ذات الموقع الاستراتيجي المتميز ، ومحاولة كل منها ضمها إلى مناطق نفوذها ، ومنذ بداية ظهور الدولة البوسعيدية قام مؤسسها الإمام أحمد برسم سياسة خارجية لعُمان ارتكزت على مبدأ الحياد وتميزت العلاقة الفرنسية البريطانية بالاستقرار ، لكن هذا الاستقرار تعرض لبعض الهزات وخاصة بعد نشوب حرب السنوات السبع (١٧٥٦– ١٧٦٣م) بين البلدين حيث حدث في هذه الفترة نوعٌ من الاضطراب على السواحل العُمانية[٣].

وفي جزيرة موريشيوس الفرنسية كانت أولى بوادر العلاقات الفرنسية العُمانية حيث كانت السفن العُمانية تذهب محمّلة بالسكر وتعود بالسمك المملح والبن. ونتيجة التطورات التجارية بين

---

[١] – الآزكوي ، كشف الغمة ... ، ص ١١٣ . أيضاً : عبد الله ، إمارات الساحل وعُمان و الدولة السعودية ... ، ص ٨٢ .

[٢] – عبد الله ، إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية ... ، ص ٨٢ – ٨٣ . أيضاً : السالمي ، تحفة الأعيان ... ، ج٢ ، ص ١٢٨ .

[٣] – السيابي ، عُمان عبر التاريخ ، ج٤ ، ص ١٥٤ . و عبد الله بن حميد السالمي ، تحفة الأعيان ... ، ص ١٣٩ .

عُمان والمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي في تلك الفترة أبدى الإمام أحمد بن سعيد رغبته في أن ينشئ الفرنسيون وكالة تجارية في ميناء مسقط دون مقابل[١].

أما على الصعيد البريطاني، فبدأت بوادر العلاقات العُمانية البريطانية عندما نزلت حملة نابليون بونابرت على مصر، واستهدفت الإنكليز في الهند ، فرأت شركة الهند الشرقية البريطانية أن تبرم اتفاقية مع سلطان بن أحمد نصت على أن يسمح سلطان مسقط للإنكليز بإنشاء قاعدة عسكرية في بندر عباس[٢]. ووقعت بريطانية العديد من المعاهدات لتدعيم نفوذها في مسقط كمعاهدة منع تجارة الرقيق ١٨٠٢م ومعاهدة تجارية ١٨٣٩م، ونتج عن تلك المعاهدتين رغبة فرنسا في الحصول على امتيازات مماثلة[٣] ، وسيتم توضيح العلاقات العُمانية البريطانية في عهد السيد سعيد بن سلطان في فقرة لاحقة . فمن خلال ما سبق تمّ عرض توضيح موجز عن كيفية انفتاح عُمان على الخارج في عهد أسرة البوسعيد قبل الدخول في تفاصيل العلاقات العُمانية الدولية في عهد السيد سعيد بن سلطان .

أولاً – علاقاته الخارجية الدولية:

١– علاقة السيد سعيد بن سلطان مع الولايات المتحدة الأمريكية ١٨٣٣ – ١٨٥٠

أدّت الولايات المتحدة الأمريكية دوراً كبيراً على مسرح الأحداث في الخليج، وأقامت علاقات ودية متينة مع السيد سعيد تمكّنت من خلالها أن تنافس الدول الأجنبية في المجال التجاري[٤]، وامتد النشاط التجاري الأمريكي في بلدان الشرق بشكل واسع بعد قيام الجمهورية الأمريكية ونهاية حرب الاستقلال ١٧٨٩م ، حيث امتدّت السفن الأمريكية في رحلاتها الواسعة حتى وصلت كانتون وغيرها من موانئ الشرق الأقصى والمحيط الهندي، وكانت تنقل البن من مسقط وجنوب الجزيرة العربية والحرير من الصين ، فوصلت التجارة الأمريكية إلى أوج قوتها وازدهارها في الشرق في نهاية القرن الثامن عشر لكن هناك عاملان أعاقا التجارة الأمريكية وتطورها، هما :

---

[١] – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص ٦٦٨ – ٦٦٩.

[٢] – مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ، ص ٢٢٨ . لوريمر، القسم التاريخي ، ج٢، ص ٦٤٥ – ٦٤٧ .

[٣] – جيران ، عُمان منذ عام ١٨٥٦ مسيراً ومصيراً ، ص ١٠١ . و لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٢، ص ٦٨٠ – ٦٨١ .

[٤] – لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٢، ص ٧٢٨.

١- نشوب الثورة الفرنسية وحروب نابليون بونابرت ١٧٩٣ – ١٨١٥م وما نتج عنها من سياسة الحصار القاري، وتطبيق بريطانيا لسياسة الحصار البحري* .

٢- نشوب الحرب الإنكليزية – الأمريكية ١٨١٢- ١٨١٥ م. لكن ما كادت أن تنتهي هذه الحروب حتى استعادت التجارة الأمريكية مركزها وأهميتها[١].

وحسب ما أكده أحد التجار الأمريكيين، ويدعى إدموند روبرتس*، أنه واجه الكثير من المتاعب في زنجبار، منها : تأخير المعاملات التجارية، وهذا ما كان يدعو إلى السخط والقسوة في التعامل مع التجار الأمريكيين بعكس معاملة التجار الإنكليز الذين تمّ إعفاؤهم من دفع عمولات باهظة أو رسوم ميناء، وهذا ما دفع التاجر الأمريكي يعبر عن استيائه في الاحتجاج الذي كتبه إلى السيد سعيد، وكانت الإجابة عنه أنه يمكنه التغلب على هذه الصعاب بعقد معاهدة تجارية بين عُمان والولايات المتحدة الأمريكية[٢]، وعاد روبرتس إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعرض على الحكومة موقف السيد سعيد واقتراحه ، فرحّبت الحكومة الأمريكية بهذا الاقتراح، وتمّ تكليف الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون مفوضاً عنها في توقيع هذه المعاهدة والإشراف عليها حيث تمّ توقيعها ١٨٣٣م، وكانت أولى المعاهدات التي وُقّعت مع دولة أجنبية على أرض زنجبار، وكانت قاعدة رئيسة للمعاهدتين اللتين وقّعهما السيد سعيد لاحقاً مع بريطانيا في عام ١٨٣٩م ، ومع فرنسا ١٨٤٤م[٣]. وأُجريَ العديد من التعديلات عام ١٨٣٥م على المعاهدة الأمريكية قبل اتخاذ وضعها النهائي، وبعدها بعام واحد أسّست الحكومة الأمريكية قنصلية لها في زنجبار عينت عليها أحد التجار

---

* **الحصار البحري:** هو نظام السياسة الخارجية الذي اتبعه نابليون بونابرت في صراحه ضد بريطانيا وأيرلندا أثناء حروبه، وإغلاق الموانئ الأوربية في وجه التجارة من وإلى بريطانيا على نحو ما أعلن نابليون عام ١٨٠٦م. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ص ١٤٣.

1- [1] Coupland , East Africa and Its Invaders , pp. 362 – 363.

وانظر: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي ، دار المريخ ، الرياض ، ط١، ١٩٨١م ، ص ١١٨.

* **إدموند روبرتس:** أحد التجار الأمريكيين ، أرسلته الحكومة الأمريكية إلى عُمان والتقى بالسيد سعيد للنظر في الوسائل التي يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تزيد بها حجم تجارتها على طريق الهند. عبد العزيز عبد الغني ، روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ج٣، ط١، ص ٢٥.

[٢] – منسي ، عبد الله سراج ، العلاقات العُمانية الأمريكية بين الحربين العالميتين ١٩١٩- ١٩٣٩م ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص١٥ و ١٩ .

[٣] – منسي ، العلاقات العُمانية الأمريكية... ، ص ١٢ .

الأمريكيين يدعى ريتشارد واترز[1] واستمرت هذه المعاهدة حتى عام ١٨٥٩م، وتمّ استبدالها بمعاهدة جديدة لتقوية العلاقات بين الطرفين ، وكانت معاهدة ١٨٣٣م عبارة عن معاهدة مودة وتقوية الصداقة والتجارة بين مسقط والولايات المتحدة الأمريكية، وكان يأمل السيد سعيد من جراء ذلك الحصول على مساعدة أمريكية لتقوية مركزه داخل عُمان، ونصت المعاهدة على ما يأتي :

١- حرية التجارة لرعايا البلدين، واستمرار العلاقات الودية، وتمتع الولايات المتحدة الأمريكية بالمميزات التجارية كافة التي تمنح لأول دولة بالرعاية.
٢- تعيين قناصل أمريكيين يستقرون في موانئ السلطنة، ويتولّون فضّ الصراعات بين الرعايا الأمريكيين وإحالة ممتلكات من يموت منهم إلى ممتلكات السلطان ، حيث حصلوا على حماية تمكّنهم من مباشرة المهام والأعباء الملقاة على عاتقهم، وإذا حدثت مخالفة من أحدهم لهذه القوانين يجب على السلطان أن يراسل الرئيس الأمريكي لسحب القنصل وتعيين غيره[٢].

واستفاد الطرفان من توقيع هذه المعاهدة، حيث بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تتوسع في أملاك السيد سعيد في زنجبار ونشطت تجارتها مقارنة بالدول الأجنبية الأخرى. ففي عام ١٨٣٣م لم يكن سوى أربعة تجار بريطانيين مقابل تسعة من التجار الأمريكيين، واستفاد السيد كثيراً من النشاط الأمريكي والتجارة الأمريكية التي عادت عليه بدخل وافر[٣]. وكان السيد سعيد حريصاً على العلاقات الاقتصادية بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية. ففي عام ١٨٤٠م أرسل إحدى سفنه الشراعية الكبرى المسماة بالسلطانة[٤] تحمل البضائع الإفريقية حيث وصلت إلى ميناء نيويورك في ١٣ إبريل ١٨٤٠م وكان يقودها أحد الربابين العُمانيين يدعى الحاج أحمد بن نعمان، وتُعد هذه السفينة أول وفادة رسمية عُمانية رحب بها الرئيس الأمريكي مارتن فورن بورين وتم استقبالها في نيويورك استقبالاً حافلاً [٥] .

---

[1] Burton , op . cit , vol . 1 , P . 295 .

[٢] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان ... ، ص ٢٠٦ و إيلتس هيرمان ، عُمان والولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة : محمد كامل ، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ص ١١٢ .

[٣] – رويت ، سعيد بن سلطان ... ، ص ١٤٣ .

[٤] – جمال زكريا قاسم ، العرب في أمريكا ، دراسة لتاريخ الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٧٩ .

[٥] – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا... ، ص ٨٠ .

واستمرت السفينة العُمانية في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ثلاثة أشهر، وهي أول سفينة عربية وصلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعادت إلى زنجبار محملة بالبضائع الأمريكية، وعلى الرغم من الاستقبال الرسمي الحافل للسفينة العُمانية في أمريكية، لكن بعض المصادر تؤكد أن الأمريكيين أساؤوا معاملة أعضاء البعثة، وشدّدوا عليهم. وهذه المعاملة لم تحمل طابعاً رسمياً، لكنها تدلّ على الصعوبات التي يتعرض لها التجار العُمانيون في الولايات المتحدة الأمريكية فيما إذا استمر توافدهم إليها بعكس ما كان يلقاه التجار الأمريكيون في زنجبار ومسقط من معاملة جيدة، ولاسيما بعد توقيع معاهدة ١٨٣٣م التي حصلوا من خلالها على العديد من الامتيازات والتسهيلات في موانئ سلطنة مسقط والشرق الإفريقي وزنجبار[١].

ونتيجة للمكاسب التي كانت تعود على السيد سعيد قام بتشجيع النشاط الأمريكي، وقدّم العديد من الامتيازات للتجار الأمريكيين للتوجه إلى زنجبار ونشر ذلك في الصحف الأمريكية، لكن الحكومة الأمريكية رفضت ذلك خوفاً من ازدياد أعداد التجار الأمريكيين الوافدين إلى زنجبار؛ وذلك سوف يشكلون خطراً على التجار المقيمين في زنجبار مما يجعلهم يفقدون نفوذهم وثراءهم[٢] .

وقلق الانكليز من طبيعة العلاقات الجيدة بين السيد سعيد والولايات المتحدة الأمريكية واعتقدت حكومة الهند البريطانية أن معاهدة ١٨٣٣م تضمنت امتيازات منحها السيد سعيد للأمريكيين مقابل الحصول على تأييدهم ودعمه في عُمان في الوقت الذي كان يفقد فيه تأييد الانكليز الذين اتخذوا جانب الحياد من التدخل في الشؤون الداخلية إذا لم يخدم ذلك مصلحتهم الخاصة. إنَّ هذه المعاهدة فتحت المجال للسيد سعيد بتكوين صداقة جديدة تعوّضه عن الإنكليز وتكون ذات منفعة له [٣]، وما زاد من قلق حكومة الهند البريطانية التقارير التي جاء بها بعض الضباط البريطانيين واتهام التجار الأمريكيين بنقل الرقيق الإفريقي إلى العالم الجديد، ولهذا قامت الحكومة البريطانية بإرسال إحدى سفنها التجارية بقيادة الكابتن هارت إلى زنجبار للتعرف إلى طبيعة العلاقة بين السيد سعيد والحكومة

---

[١] – عبد الفتاح حسن أبو علية، العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وزنجبار ١٨٢٣– ١٨٦٢م، مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد السادس ١٩٨٢م ، ص ١٩ . وانظر:

Ahmad Bin Noaman's Mission to the United States of America , Essex Institute , Historical Collection , vol . 98 . pp 241-242.

[٢] – حسين أحمد ابراهيم ، المطامع الأوروبية في الخليج العربي من مطلع القرن السادس عشر حتى منتصف القرن العشرين ، من أعمال مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية ، المجلد الثاني ، الدوحة ١٩٧٦م ، ص ١٤٥.

[٣] – الوثائق السعودية ، التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية ، العرض التاريخي ، ج١ ،ص ١٦٤ . و هيرمان، عُمان والولايات المتحدة ... ، ص ١١٠ .

الأمريكية ، وحين التقى هارت بالسيد سعيد، وعبّر له عن قلق الحكومة البريطانية للوضع السائد أظهر السيد سعيد استعداده لعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية تماثل المعاهدة الأمريكية مقابل أن تقوم بريطانية باستعادة نشاطها التجاري وإنعاشه لأن معظم تجارة عُمان الخارجية كانت تحت سيطرة التجار الأمريكيين ، ووصف هارت المعاملة التي تلقاها من السيد سعيد بالطيبة ويسودها الصدق والإخلاص، وحرصه على تشجيع التجارة البريطانية على الرغم من أن المركز التجاري الأقوى في زنجبار كان لأمريكا(١)، كما وصف هارت سفينة السيد سعيد" ليفربول" التي كانت تُعدّ من أكبر قطع الأسطول العُماني والتي قدمها للإنكليز ليعبر لهم عن مدى ترحيبه بعلاقاته الطيبة معهم وقبل ملك بريطانيا ويليام الرابع هذه الهدية، وألحقها بالأسطول الملكي البريطاني ومجاملة للسيد سعيد أطلق عليها اسم" الإمام"(٢)، ومازال هذه السفينة في متحف البحرية البريطانية كأثر تاريخي، ونتيجة التأثير البريطاني على السيد سعيد تراجعت العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية، وحصلت العديد من الخلافات بين القنصل الأمريكي وارد ward والسيد سعيد فيما يتعلق بقضية دخول السفن الأمريكية إلى ميناء زنجبار، وهذا ما جعل الحكومة الأمريكية تبعث برسالة إلى السيد سعيد تذكره ببنود معاهدة ١٨٣٣م والامتيازات التي حصلت عليها السفن الأمريكية في الدخول إلى موانئ عُمان، وكان لهذه الرسالة أثر كبير على إعادة تنشيط التجارة مع الحكومة الأمريكية(٣).

٢ –علاقة السيد سعيد بن سلطان مع بريطانيا

يجب أن ندرك حقيقة أن بريطانيا لم تنظر برضى إلى السيد سعيد عندما اعتلى كرسي الحكم، ومن الضروري أن نقدر الحقيقة الأخرى بأن الإنكليز كانوا في البداية راغبين في مساندته ضد النجديين والقراصنة؛ لأن ممتلكاتهم في الهند كانت غير آمنة، ولم يرغبوا في خوض حرب كانوا مدركين لعواقبها ونتائجها، كما استمرت بريطانيا بمحاولاتها في التقرب من السيد سعيد بعد القلق والتوتر الذي أصابها نتيجة ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كمنافس قوي لها في الخليج ، وهذا ما دفعها إلى توقيع معاهدة عام ١٨٣٩م التي كانت شبيهة بالمعاهدة الأمريكية عام ١٨٣٣م ، فنصت هذه المعاهدة على حرية التجارة وألا يفرض من ضريبة المكوس الجمركية أكثر من ٥%، ونصت

---

(1) Extracts from a brief notes of a visit to Zanzabar belonging to H.Hthe Imam of Muscat by Caption Hart in 1834 , See Selections from Records of Bombay Government New Series XXIV , Bombay , 1856 , PP. 273- 283.

(٢) – منسي ، العلاقات العُمانية الأمريكية ... ، ص ٢١

(3) R . Sanger , The Arabian Peninsula , New York , 1954 ,PP . 188- 190

و عبد العزيز عبد الغني ، حكومة الهند البريطانية والإدارة ... ، ص ٢٣٤

المعاهدة على أنه في حال قيام حرب ضد بريطانيا أو مسقط يجب على رعايا الدولتين الامتناع عن حمل معدات الحرب من أسلحة وغيرها إلى الدولة المعادية ، وقدّمت المعاهدة امتيازات أكثر للقناصل الإنكليز من ناحية السلطة القضائية ، بينما كانت المعاهدة الأمريكية تحدّد سلطات القناصل القضائية بحيث لا تتعدّى الرعايا الأمريكيين، كما منحت المعاهدة البريطانية القناصل الإنكليز سلطة الفصل في المنازعات بين الرعايا البريطانيين وبين العُمانيين إذا ما حدث نزاع بينهم وبين الرعايا البريطانيين [١].

وكانت أهمية هذه المعاهدة بالنسبة لبريطانيا أنها أتاحت لها الفرصة لكي تتدخل في شؤون الشرق الإفريقي ، حيث بادرت في عام ١٨٤١م بتأسيس قنصلية لها في زنجبار، وأرسلت الكابتن **أتكنز همرتون** من الوكالة البريطانية في مسقط ليباشر عمله في زنجبار بكونه وكيلاً سياسياً من قبل حكومة بومباي وقنصلاً عاماً من قبل حكومة لندن[٢].

وفي ذلك الوقت بدأ العالم يُقدّر الأهمية السياسية والاقتصادية لزنجبار، ولقيت الحكومة البريطانية الشيء الكثير من المنافسات الدولية ، إلا أن النفوذ البريطاني أخذ يتزايد بشكل ملحوظ في الشرق الإفريقي وخاصة بعد تأسيس القنصلية البريطانية برئاسة همرتون، وأكد روبرت لاين أن وجود قنصل بريطاني في زنجبار يجعل القضاء مؤمّناً؛ وهذا ما شجع العديد من الرعايا الهنود على الوفود إلى زنجبار لممارسة التجارة [٣]، وتطورت العلاقات بين السيد سعيد وهمرتون رئيس القنصلية حيث عدّه السيد سعيد مرجعه الأمين في تقديم النصائح له، وكثيراً ما كان يُكلّفه بالإشراف على الحكم في زنجبار مع ابنه خالد في أثناء تواجد السيد سعيد في عُمان لإدارة شؤون ممتلكاته[٤]، ونتيجة قيام همرتون بوظيفة مزدوجة كما ذكرنا سابقاً فذلك عزّز مركزه، وزاد من أهميته، وكان صلةَ وصلٍ بين الحكومة البريطانية والسلطان ، وكان يجب عليه تمثيل حكومة لندن في الشؤون المتعلقة بقمع تجارة الرقيق ومحاكمة السفن التي تمارس هذه التجارة فضلاً عن تمثيل حكومة الهند البريطانية فيما يتعلق بشؤون الرعايا الهنود في الشرق الإفريقي، فكانت هذه المهمة المزدوجة لا تخلو من الصعوبة التي واجهها همرتون حيث تعذّر عليه التوفيق بين اتجاهات حكومتي لندن والهند فيما يتعلق بشؤون السلطنة، إذ لم يحدث دائماً أن تتفق سياسة حكومة الهند مع التعليمات التي تصدرها حكومة لندن.

---

[١] – السالمي ، عبدالله بن حميد ، تحفة الأعيان .... ، ج٢ ، ص ٢٣٧ .

[2] - Bombay Government , Selection from the Records of Bombay Government , New Series no XXIV

[٣] – عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند ، الرسالة الأولى من رسائل الأهالي ، بغداد ١٩٣٥م ، ص ١٢٢.

[4] Philip Ireland , Iraq" A Study in Political Development ", London , 1945 , P, 32.

ففي الوقت الذي كان لحكومة الهند تجارة مباشرة في زنجبار كان الهم الوحيد للحكومة البريطانية التخلص من تجارة الرقيق في زنجبار، كما كان يتردد على السلطنة وملحقاتها في الشرق الإفريقي العديد من الرعايا الهنود التابعين لها، وبالنسبة لسياسة حكومة الهند إزاء زنجبار فكانت لا تعنيها المصالح التجارية، ولم تكن مصالحها السياسية واضحة في الشرق الإفريقي ، وإنما كان لها هدفٌ واحدٌ تسعى لتحقيقه هو قمع **تجارة الرقيق**؛ مما أدى إلى مطالبتها بعقد العديد من المعاهدات لتدعيم نفوذها في سلطنة زنجبار وملحقاتها(١).

وواجهت الحكومة البريطانية صعوبات عديدة في قمع تجارة الرقيق بشكل مباشر، ويعود السبب في ذلك إلى أنّ هذه التجارة كانت تشكل جزءاً أساسياً من دخل السيد سعيد، حيث كان النخاسون* يدفعون له الضرائب على كل رأس من الرقيق المصدّر من موانئ الشرق الإفريقي الخاضعة لسلطته ، واعتمد السيد سعيد على الرقيق بشكل كبير بعد انتقاله إلى زنجبار، واستفاد من ذلك كبار المزارعين من الرقيق بعد أن احتلت الزراعة مركزاً مهماً إلى جانب التجارة دعامة النظام الاقتصادي في زنجبار، وكان كبار المزارعين وأصحاب الإقطاعات يسخّرون الرقيق للعمل خمسة أيام في الاسبوع وذلك مقابل تقديم قطعة صغيرة من الأرض لكل واحد منهم يقوم بزراعتها بنفسه في اليومين المتبقيين(٢)، ونشطت تجارة الرقيق في سلطنة زنجبار حيث تعددت الأسواق، وكان يوجد في السلطنة مركزان مهمّان لتجارة الرقيق، هما: **كلوة** التي كانت تعد الميناء الرئيسي لتصدير الرقيق، و**زنجبار** التي كانت تستقبل الرقيق من داخل القارة الإفريقية ووسطها .

وأدركت بريطانيا أنه لا يمكنها قمع تجارة الرقيق إلا أن تتقرّب من السيد سعيد، ليتماشى مع سياستها في قمع تلك التجارة ، وعلى الرغم من المكاسب العديدة التي كان يحصل عليها من هذه التجارة وافق على طلب بريطانيا على أمل أن تساعده في توطيد نفوذه ودعمه في ممتلكاته العربية والإفريقية، لكن على عكس توقعاته فكان ارتباطه مع بريطانيا في معاهدات خاصة لقمع تجارة الرقيق سبباً في تعرّض مركزه للخطورة بين رعاياه الذين كانوا يرون في تجارة الرقيق دعامة للنظام الاقتصادي والاجتماعي(٣)، وكان يعد السيد سعيد أكبر تاجر للرقيق، و يحصل على قرابة مئة ألف

---

(١) – رويت ، سعيد بن سلطان .. ، ص ١٣٣ . وانظر :

William Heude , A voyage up the Persian Gulf , and Journey over land from India to England in 1817 , London , 1819 , P , 37 .

* النخاسة تجارة العبيد، والنخاسون هم أصحاب هذه المهنة .

(٢) – غباش ، عُمان الديمقراطية والإسلامية ... ، ص ١٩٦ . وانظر:

Chappuis , op , cit , p, 349.

(3) T. Bertram , Arab Rule under the Bu Said Dynasty in Oman and East Africa (1741- 1937), London , 1938, p , 18

ريال سنوياً من جراء تلك التجارة، فتكبّد خسائر مادية فادحة نتيجة مسايرته لبريطانيا في مكافحة تجارة الرقيق[(١)].

وأكد السيد سعيد على تطوير علاقته مع بريطانيا، وذلك في عام ١٨٢٢م حين أبلغ **الكابتن روس** المقيم البريطاني في الخليج أنه سوف يخسر مبالغ كبيرة من دخله إذا استمر في تعهداته لبريطانيا في قمع هذه التجارة ، ومع ذلك أصدر الأوامر إلى الولاة التابعين له في شرقي إفريقية بمنع بيع الرقيق إلى رعايا الدول المسيحية، كما لم يعترض على توقيع المعاهدة التي قدمها له **الكابتن فيرفاكس مورسبي** Morseby قائد الأسطول الملكي البريطاني حيث كلفته حكومة بومباي بتوقيع معاهدة مع السيد سعيد التي جرت في الرابع من سبتمبر عام ١٨٢٢م، و كان يأمل السيد سعيد أن يحصل على تعويضات خسائره المادية من جراء هذه المعاهدة، ونصت معاهدة مورسبي على:

١- أن يتعهد السيد سعيد بمساعدة الحكومة البريطانية في قمع تجارة الرقيق، وتحريم بيع الرقيق في ممتلكاته الإفريقية إلى رعايا الدول المسيحية.
٢- نصت على حظر نقل الرقيق بالسفن العربية إلى المستعمرات الأوربية في الجزء الغربي من المحيط الهندي.
٣- أعطت المعاهدة بريطانيا الحق في مصادرة السفن العربية المشتغلة في تلك التجارة.
٤- رسمت خطاً لحظر هذه التجارة يمتد من الساحل الشرقي لإفريقية إلى شرقي جزيرة سوقطرة * وينتهي عند ساحل بلوخستان.
٥- اشترطت أن كل سفينة تكتشف بأنها تنقل رقيقاً إلى الجنوب أو إلى الشرق من ذلك الخط يتمّ مصادرتها وتوقع عليها العقوبات المفروضة على السفن التي تمارس تجارة الرقيق. وقد ألحقت بالمعاهدة الأنظمة الخاصة بالتفتيش البحري التي أباحته بريطانيا لسفن البحرية الهندية والأسطول الملكي البريطاني[(٢)].

لوريمر، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٢٥.

(١) – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان ... ، ص ٢١٢ .

* جزيرة سوقطرة : أكبر الجزر العربية واليمنية ، وهي أرخبيل مكون من ست جزر على المحيط الهندي قُبالة سواحل الشرق الإفريقي بالقرب من خليج عدن. لوريمر، دليل الخليج ، القسم الجغرافي، ج٥، ص ١٧٥٧.

(2) Bombay Government, S . R . G.,Vol . XXIV ,PP . 653- 654.

وانظر : أمير عبد الأمين، المصالح البريطانية في الخليج ... ، ص ١٠

ولا شك في أن معاهدة مورسبي اقتصرت على فرض حظر جزئي على تجارة الرقيق حيث حددت مناطق التفتيش، ومنعت بيع الرقيق لرعايا الدول المسيحية، وبالتالي لم تعمل هذه المعاهدة على إجراء حظر كلي لتجارة الرقيق، وبسبب تلك الإجراءات تعرّض مركز السيد سعيد للخطر، وأكد للكابتن مورسبي أنه على استعداد لفرض حظر كلي بشرط أن توافق الحكومة البريطانية على حمايته براً وبحراً ضد التهديدات الخارجية للخليج والجزيرة العربية أو أن تمنحه مستعمرة موزمبيق البرتغالية أو مبلغاً من المال لتعويض خسائره المادية وضمان حرية انتقاله إلى مسقط واستقراره في زنجبار [1]، وعندما عرض مورسبي هذه المطالب على الحكومة البريطانية أو حكومة بومباي رفضتها رفضاً تاماً بكونها مطالب غير عملية؛ لأن فصل موزمبيق عن زنجبار –كما اقترح السيد سعيد– يعد أمراً مستحيلاً وحماية السيد سعيد براً وبحراً هو خروج عن سياستها التقليدية القائمة على عدم التدخل في الشؤون والمنازعات الداخلية، وانتقال السيد سعيد من مسقط إلى زنجبار سوف يؤثر في توازن القوى في الخليج، ويؤدي إلى انتشار الفوضى والاضطراب في الداخل. ووجدت الحكومة البريطانية أن الحظر الكلي على تجارة الرقيق أمر في غاية الصعوبة؛ لأنه سيؤدي إلى فقدان السيد سعيد مركزه وجانب كبير من موارده الاقتصادية، لذلك اكتفت في هذه المرحلة بقرارات معاهدة مورسبي بفرض حظر جزئي، وتقدّمت بخطوة أخرى عام ١٨٣٩م حيث بدأت بالمباحثات التجارية مع السيد سعيد والكابتن كوجان Cogan حول معاهدة ١٨٣٩م الخاصة بمكافحة تجارة الرقيق.

وتبين من هذه المباحثات أن السيد سعيد لم يكن يرفض فكرة الحظر الكلي على تجارة الرقيق لكن ضمن شروط خاصة كما سبق ذكرها، ولم يعرض عليه كوجان ضم جزر البحرين إليه ،وافق على ضمها بشرط حصوله على تعهد صريح من الحكومة البريطانية لضمان استمرار هذه الجزر تحت إمرته، وبعد ذلك يوافق السيد سعيد على حظر تجارة الرقيق في المناطق الواقعة غرب بركة على ساحل الباطنة إلى مناطق الخليج الأعلى، لكنه سوف يستمر في استيراد العبيد من داخل القارة الإفريقية إلى زنجبار للعمل في مزارعها حتى بعد موافقته على حظر تصدير الرقيق من ممتلكاته الإفريقية[2]. وانتهت هذه المباحثات بإضافة بند إلى معاهدة ١٨٣٩م نصّ على تأكيد معاهدة

---

[1] –العقاد ، الاستعمار في الخليج الفارسي ، ص ٢٣ – ٢٤ ، و لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ج٢، ص ٧٢٤.

[2] – المباحثات التي دارت بين السيد سعيد والكابتن كوجان ، انظر:
John Kelly , Britain and the Persian Gulf 1795- 1880 , Oxford , 1968 , pp . 435- 437.

مورسبي، فضلاً عن الاعتراف بحق سفن الأسطول الهندي والأسطول البريطاني بعمليات التفتيش وتوسيع حدود المنطقة التي تجري فيها هذه العمليات[١].

والخطوة الأكثر أهمية و جرأة التي اتخذتها الحكومة البريطانية عندما نقل همرتون رسالة من وزير الخارجية البريطانية اللورد أبردين للسيد سعيد في عام ١٨٤٢م تطالبه بإلغاء تجارة الرقيق نهائياً فكانت بمنزلة ضربة شديدة وجّهت إليه[٢]، فأرسل السيد سعيد رسالة إلى الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا؛ لإعادة النظر في قرار حكومتها القاضي بإلغاء تجارة الرقيق في دولته بشكل نهائي، كما أرسل مبعوثه الخاص علي بن ناصر إلى لندن حاملاً رسائله الموجهة إلى كل من اللورد بالمرستون رئيس الحكومة البريطانية واللورد أبردين وزير الخارجية البريطانية والملكة فيكتوريا، وأوضحت هذه الرسائل أن الحظر الكلي على تجارة الرقيق سيؤدي إلى انهيار وضعه الاقتصادي في مسقط وزنجبار، كما سيقضي على تجارة العاج، لأن العبيد هم الذين يمارسون هذه التجارة ويحملون العاج من الداخل إلى الساحل، لكن هذه الرسائل لم تأتِ بأية نتيجة إيجابية[٣]. وبعد فشل المحاولات التي أُجريت من أجل التوصل إلى معاهدة جديدة بشأن إلغاء تجارة الرقيق في عام ١٨٤٤م، أرسل السيد سعيد رسالته إلى اللورد بالمرستون أكد فيها أنه مستعد لإجراء الحظر الكلي على تجارة الرقيق في زنجبار إذا وافقته الحكومة البريطانية على الشروط الآتية :

١- أن تقدم بريطانيا له المساعدة في ضم البحرين إلى ممتلكاته، وأن تتعهد باستمرار خضوعها له ، أو أن تقدّم له مبلغاً مالياً لتعويض خسائره، بسبب إلغاء تجارة الرقيق.
٢- لا يُعدّ نفسه مسؤولاً عن أية مخالفة لقانون حظر تجارة الرقيق، دون علمه أو عن طريق التهريب ، وأنه ليس مسؤولاً عن ممارسة حكام الخليج العربي والجزيرة العربية لتجارة الرقيق، حيث إنه لا يملك أية سلطة عليهم ليمنعهم من ذلك .
٣- لا يتدخل الجانب البريطاني في عمليات نقل الرقيق من داخل القارة إلى الساحل ضمن مساحة تحدد من جزيرة لامو في الشمال إلى جزيرة كلوة في الجنوب بما في ذلك جزر بمبا وموفيا وزنجبار[٤].

---

(١) – البند الخامس عشر من المعاهدة التجارية بين بريطانيا والسيد سعيد في عام ١٨٣٩م ،
Aitchison , op ,cit , vol . XII , . P . 218
وانظر أيضا : رويت ، سعيد بن سلطان ، ص ١٣٥

(٢) – رويت ، سعيد بن سلطان .. ، ص ١٣٣ ، و مايلز ، الخليج بلدانه و ... ، ص ٢٩

(3) Coupland , East Africa and Its Invaders , P , 508.

(٤) – السالمي، عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان ... ، ج٢، ص ٢٣٩ . وانظر :

٤- إعطاء الحكومة البريطانية للسيد سعيد بعض الوقت لاتخاذ الاجراءات اللازمة لإخبار رعاياه بإلغاء تجارة الرقيق .

٥- عدم التعرض للسفن التي تنقل أفراد عائلته وإعفائها من التفتيش .

٦- تتعهد الحكومة البريطانية أن يخلفه في الحكم بعد وفاته ولداه السيد ثويني في مسقط والسيد ماجد في زنجبار .

وكانت إجابة اللورد بالمرستون عن هذه الرسالة أنه لا يوجد ضرورة لإدراج هذه الشروط التي وردت في المعاهدة ، وبعد فشل السيد سعيد في مواجهة الضغوط البريطانية لإلغاء تجارة الرقيق، وفشله أيضاً في الحصول على مكاسب مادية أو إقليمية أُجبر على توقيع معاهدة مع الكولونيل همرتون ١٨٤٥م وتحت أشد العقوبات تعهّد بموجبها:

١- أن يمتنع عن نقل العبيد من ممتلكاته الإفريقية إلى ممتلكاته العربية.

٢- كما تعهّد أن يمنع شيوخ الخليج وشبه الجزيرة العربية وأمرائها من استيراد العبيد من المناطق التي يسيطر عليها شرقي القارة الإفريقية.

٣- سمح لسفن البحرية الملكية وسفن شركة الهند الشرقية البريطانية مصادرة أية سفينة عربية إذا اشتبه أنها تحمل عبيداً من ممتلكاته في شرق إفريقية إلى ممتلكاته العربية[١].

وعلى الرغم من توقيع معاهدة ١٨٤٥م فلم يكترث السيد سعيد بتطبيق شروطها، واستمرت تجارة الرقيق قائمة على الرغم من الإجراءات التعسفية التي اتخذتها سفن التفتيش البريطانية، وبعد وفاة السيد سعيد في عام ١٨٥٦م توقف العمل بشروط هذه المعاهدة، وعانت الحكومة البريطانية من المخالفات لبنود هذه المعاهدة ممن خَلَفَهِ وعادت تجارة الرقيق بوضع أكثر تطوراً مما كانت عليه ، وازدهرت هذه التجارة على الرغم من عدم الاستقرار السياسي في الداخل، وانتشار الفوضى والاضطراب بسبب أزمة الوراثة ، ولابد أن ندرك حقيقة أن تجارة الرقيق لم تقتصر على التجار العرب؛ وانما مارسها رعايا الدول المسيحية أيضاً[٢]، ودليل ذلك أوامر الحكام العرب في زنجبار إلى الولاة التابعين لهم في مقاطعات الشرق الإفريقي للامتناع عن بيع الرقيق إلى رعايا الدول المسيحية، هذه الأوامر دليل على تورطهم بهذه التجارة .

Guilliain , Relation de Voyage , tome 1 , p , 255 .

[١]- رويت ، سعيد بن سلطان .. ، ص ١٣٥ – ١٣٦. أيضاً : قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان ...، ص ٢١٥.

[2] Coupland , East Africa and Its Invaders , p , 439

و السالمي ، تحفة الأعيان ... ، ص ١٥٤

٣ – علاقة السيد سعيد بن سلطان مع فرنسا

عندما وصل السيد سعيد إلى الحكم في عُمان عام ١٨٠٦م، كان الصراع الفرنسي الإنكليزي قد بلغ أشده ، فوجد السيد سعيد نفسه بحاجة إلى دعم يقوّي مركزه، لأنه وصل إلى الحكم بعد أن قتل السيد بدر ، وكان حذراً من إغضاب فرنسا أو إنكلترا، فكتب إلى الجنرال ديكان مُبدياً له رغبته في استمرار الصداقة بين فرنسا وعُمان لكنه اتخذ موقفاً آخر عندما توتر الموقف بين الفرنسيين والإنكليز في الشرق جعل السيد سعيد يتخذ موقفاً آخر فأعلن الحياد تجاه ما يجري بين الدولتين، وفي سبيل تأكيد حياده أصدر أمراً إلى سفينة فرنسية كانت في ميناء مسقط أن تغادر الميناء(١)، والمياه الإقليمية العُمانية، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين بلده وفرنسا .

وحتى يجد السيد سعيد البديل عن الفرنسيين قرّر تحسين علاقاته بالإنكليز حتى يقوّي موقفه أمام فرنسا، فوجه رسالة إلى ديكان حاكم بومباي مؤكداً علاقات المودة بين حكومتيهما، ولم يرد حاكم بومباي على السيد سعيد، لأن حكومة الهند اعتقدت أن السيد سعيد بحاجة إلى دعم موقفه اتجاه الوهابيين(٢) الذين احتلوا البريمي، وشنوا هجمات على داخل عُمان ، وفي ذلك الوقت كانت انكلترا غير مستعدة للاحتكاك بالوهابيين، لذلك عاد السيد سعيد إلى الاتصال بـ ديكان حاكم جزيرة فرنسا (إيل دي فرانس)*(٣)، وسوّغ له أسباب توتر العلاقات بينهما بالتسلط الإنكليزي ، وتمكّن السيد سعيد عام ١٨٠٧م أن يعقد معاهدة مع ديكان تضمنت :

- عودة العلاقات الودية بين عُمان وفرنسا .
- تسهيل مهمة التبادل التجاري بينهما، وتقييد تجارة مسقط مع إنكلترا .
- وفي الوقت نفسه أقرت هذه المعاهدة حياد مسقط في الصراع القائم بين الإنكليز والفرنسيين، وأصبح من حق السفن العُمانية التردد على موانئ الهند.

ورفع ديكان المعاهدة التي وقعها مع السيد سعيد بن سلطان إلى الحكومة الفرنسية للتصديق عليها ، فرفضت الحكومة ذلك؛ لأنها تتعارض مع التشريعات النابليونية الخاصة بتطبيق الحصار

---

(1) Auzoux , A . La Prance et Mascate aux XVIII et XLX siècles . Paris 1910 . P. 45.

(٢) – تلقى حاكم بومباي أمراً من الحاكم العام للهند بارلو Barlow بعدم الرد على السيد سعيد .

* جزيرة إيل دي فرانس : هي مجموعة من الجزر الصغيرة تقع وسط المحيط الهندي، تبعد عن مدغشقر حوالي ٨٦٠ كيلومترا ، يسكنها جنسيات عدة وثقافات وأديان متنوعة يعتنقون الديانة الإسلامية والمسيحية والهندوسية، بسطت فرنسا سيطرتها على هذه الجزر وأطلقت عليها اسم جزيرة فرنسا واتخذوها مركزاً لمهاجمة القوات البريطانية عبر المحيط الهندي. قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص ٢١٩–٢٢٠.

(3) Guillain . Relation du voyage d ' Exploration a La cote Orietale . d' Afique . Tome 1 . P. 211

القاري على إنكلترا ، ورغم الجهود التي بذلها ديكان للحصول على موافقة فرنسا على هذه المعاهدة إلا أنها باءت بالفشل ، ولم يتردد في مواصلة توطيد علاقاته بعُمان لأهمية موقعها الاستراتيجي ، فأرسل مندوباً عنه إلى السيد سعيد يدعى والون Wallon في عام ١٨٠٨م لكي يعمل على توطيد علاقات الود والصداقة والتجارة مع عُمان إلا أن إقامته لم تستمر طويلاً بسبب سقوط ديكان (إيل دي فرانس) بيد الانكليز في عام ١٨١٠م، فاضطر والون إلى مغادرة مسقط وكان ذلك نهاية العلاقات الفرنسية العُمانية بسبب انفراد الانكليز بالسيطرة على عُمان[١]، ومنذ عام ١٨١١م بدأت صفحة جديدة من العلاقات الانكليزية العُمانية بعيدة عن التأثير الفرنسي.

كما أدى السيد سعيد دوراً مهماً في مجال العلاقات الخارجية، وبرز ذلك من خلال تعامله مع دولتين كبيرتين كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كما ذكرنا سابقاً ولم يعد ينظر لفرنسا كدولة يعتمد عليها، لكن إبرام معاهدتي ١٨٣٣ و ١٨٣٩م مع الولايات المتحدة الأمريكية والحكومة البريطانية كما ذكرنا سابقاً جعله ينظر إلى فرنسا نظرة مساواة لكل من الدولتين ويعطيها فرصة الحصول على الامتيازات التجارية التي تمتعتا بها وخاصة بعد تقوية نفوذها في الشرق الإفريقي[٢]، وتجدر الإشارة إلى أن الفرنسيين تمتعوا بمركز اقتصادي وسياسي في سلطنة عُمان، وكان لهم نفوذ قوي في مستعمراتهم حتى سقوطها في جزيرة موريشيوس على يد الإنكليز في عام ١٨١٠م، لكن السيد سعيد تردد كثيراً في تقوية علاقاته مع الفرنسيين، ومنحهم الامتيازات وذلك بسبب:

- ضعف النفوذ الفرنسي، والصراع المستمر بين فرنسا وبريطانيا بشأن المسألة المصرية في عام ١٨٤٠ – ١٨٤١ م.
- اكتفى السيد سعيد بالمعاهدتين التجاريتين التي وقعهما مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فوجد نفسه يتعامل مع دولتين كبيرتين عززتا من نفوذه وكيانه .

وبعد التوسعات العسكرية لفرنسا في شرقي إفريقية وسيطرتها على جزيرة نوسيبي[٣] وتوسعاتها في مدغشقر القريبة من ممتلكات السيد سعيد، دفعه ذلك إلى تغيير موقفه تجاهها بسبب قلقه وخوفه على ممتلكاته من زيادة نفوذها، وفي عام ١٨٤٠ شهدت زنجبار قدوم بعض السفن الحربية الفرنسية

---

(1) Pirouz . Le sultanat d' Oman et La question de Mascate . P. 86.

(٢) – لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٢٤ .

(٣) – **جزيرة نوسيبي** : مركزاً سياحياً مهماً، تقع على الساحل الشمالي الغربي من مدغشقر وهي من الجزر الإستوائية ، كانت تسمى جزيرة الصدى في القرن السابع عشر ،تكثر فيها أشجار النخيل ويأتيها السياح من حول العالم للتمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة. انظر: لوريمر ،دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج ٦ ، ص ٢٣١٢.

وفي الوقت الذي كان فيه السيد سعيد مقيماً في مسقط، فاستقبل ابنه **هلال** هذه السفن الحربية التي جاء بها الفرنسيون مطالبين بتأسيس قواعد عسكرية لهم في زنجبار ومقديشو و براوة، وإقامة قنصلية لهم في زنجبار، فلم يلجأ السيد هلال إلى أسلوب المقاومة؛ بل تقدم بالاعتذار لقائد الحملة الفرنسية بأنه لا يستطيع تنفيذ مطالبهم أو الاتفاق معهم على أي أمر ما دام والده السيد سعيد غائباً[١].

وبعد عودة السيد سعيد إلى مركز حكمه في زنجبار؛ وبسبب خوفه من امتداد النفوذ الفرنسي إلى ممتلكاته، اتجه إلى تقوية علاقاته مع بريطانيا للتخلّص من الأطماع الفرنسية في الشرق الإفريقي، وطلب من الحكومة أن تقف بجانبه لكي لا يضطر إلى الموافقة على مطالب الفرنسيين. وأكّدت التجارب التي مرّ بها السيد سعيد في مسقط في علاقته مع الانكليز بأنه لا جدوى من الاعتماد عليهم، لذلك لجأ إلى التقرب من الفرنسيين لكسب صداقتهم ودرء خطرهم، لكنه في الوقت نفسه كان يخشى من غضب الحكومة البريطانية إذا ما التجأ إلى الفرنسيين، لكن السيد سعيد استخدم المطالب أو الضغوط الفرنسية كسياسة للضغط على الانكليز ومساومتهم ، وفي رسائله إلى الحكومة البريطانية ذكر أن الفرنسيين يلحّون في الحصول على معاهدة تجارية، لكنه يخشى أن يطالب الفرنسيون بالشروط نفسها التي نصت عليها معاهدة ١٨٣٩م مع الإنكليز.

وهنا لابد أن نتساءل ما موقف الحكومة البريطانية فيما لو مُنح الفرنسيون امتيازات أكثر من الامتيازات التي حصلت عليها ؟؟ ومن خلال ما كتب همرتون إلى اللورد أبردين نجد أن الحكومة البريطانية لم تكن ترغب في التدخل بأية معاهدة يوقعها السيد سعيد مع الفرنسيين بشرط ألا يكون لهم من الامتيازات أكثر ما حصلت عليه، أو أن يكون لها الامتيازات نفسها التي يحصل عليها الفرنسيون[٢]، وفي هذه الظروف تمّ عقد المعاهدة التجارية بين فرنسا والسيد سعيد في عام ١٨٤٤م، وازدهرت العلاقات الاقتصادية بينهما وتضمنت هذه المعاهدة:

١- حرية التجارة، والسماح للرعايا الفرنسيين بحرية التنقل في ممتلكات السلطان، دون أي عقبات.

٢- معاملة رعايا البلدين معاملة الدولة الأكثر رعاية.

٣- منحت المعاهدة الفرنسيين بعض الامتيازات القضائية.

---

(1) Coupland , East Africa and Its Invaders , p , 439.

و لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٢٦.

(٢) – رويت ، سعيد بن سلطان ، ص ١٢٥ – ١٢٦ .

٤- سمحت للفرنسيين بتأسيس المراكز التجارية في مناطق السلطنة جميعها[١].

وفي عام ١٨٤٦م أُجريت بعض التعديلات على هذه المعاهدة، واتخذت شكلها النهائي بتأسيس قنصلية فرنسية في زنجبار، كما أُسّست البيوت التجارية الفرنسية في عام ١٨٤٧م كان من أبرزها بيتا **رابو** Rabaud **و فيدال** Vidal وهما بيتان مهمّان في مرسيليا وأدى هذا إلى توثيق العلاقات بين الطرفين[٢]، وبدأت عمليات التبادل التجاري حيث أخذت سفن السيد سعيد تصل إلى الموانئ الفرنسية حاملة معها موارد عُمان وزنجبار وتعود بالبضائع الفرنسية[٣].

ثانياً- علاقاته الخارجية الإقليمية

١- موقف العُمانيون من الوهابيين وتوسعاتهم في عُمان بين عامي ١٨٢٢- ١٨٥٦م :

بعد أن تخّلص تركي بن عبد الله من أسره في مصر، عاد إلى شبه الجزيرة العربية عام ١٨٢٢م، وتزعّم الحركة الوهابية خلفاً لوالده، واستولى على نجد، فخشي بنو خالد نتائج أعماله فقرّروا مقاومته عام ١٨٣٩م، وتزعمهم ماجد ومحمد أبناء عرعر، ومات ماجد، وقاد النضال أخوه محمد الذي اشتبك مع السعوديين في معارك دامية أسفرت عن هزيمته، واستيلاء تركي على الإحساء، فلجأ حاكمها محمد بن عرعر إلى العراق، ووفد أعيان القطيف على إمام الرياض، وأعلنوا مبايعتهم له، كما وفد عليه أهل عُمان وأعلنوا ولائهم له، واتخذ الإمام تركي من الرياض مركزاً له وعاصمة لملكه منذ عام ١٨٢٤م، واستمر في الحكم حتى عام ١٨٣٤م، وتمكّن خلال تلك السنوات أن يستعيد نفوذ السعوديين في شرقي الجزيرة العربية وعُمان[٤]. وذكر ابن بشر أن الرياض استقبلت وفوداً عُمانية وطلبت من الإمام تركي أن يزودها بأمير وقاضٍ ليعلموهم تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة[٥]. وامتدت سيطرة السعوديين في عهد الإمام تركي بن عبد الله إلى نجد

---

(١) – قاسم، دولة البوسعيد في عُمان و... ، ص ٢١٧ .

(2) Coupland , East Africa and Its Invaders , p.440.

وانظر : لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٢٤ .

(٣) – تذكر بعض المصادر أنه في عام ١٨٤٩م دخلت ميناء مرسيليا إحدى سفن السيد سعيد تحمل الهدايا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية لويس نابليون ، كما كتبت الصحف الفرنسية في تعليقها على تلك الزيارة أن إمام مسقط ولد في الرستاق وهي مقاطعة في إقليم عُمان وتمتد ممتلكاته في شرقي إفريقية حتى رأس جردفون و بلغت قوة أسطوله سبع وثلاثون سفينة حربية، وكان مبعوث الإمام هو الحاج درويش الذي أراد عقد معاهدات تجارية مع فرنسا لإنعاش الصلات القديمة بين البلدين .

(٤) – صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ج١ ، ص ٢٧٨ .

(٥) – ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

والإحساء وأجزاء من عُمان وعلى ساحل الخليج العربي، ودفعت تلك المناطق الزكاة السنوية للسعوديين[١]. وبعد ضغط الحكومة البريطانية على السيد سعيد اضطر إلى مهادنة السعوديين ووقع معهم معاهدة ١٨٣٣م نصت أن :

١- يتعهّد السيد سعيد أن يدفع لإمام الرياض تركي بن عبد الله مبلغاً سنوياً بقيمة خمسة آلاف روبية .

٢- تخضع المنطقة الساحلية لسلطنة عُمان ، وتمتد أملاك السعوديين حتى القطيف ويتعهد الطرفان احترام بنود الاتفاقية[٢].

لكن كلاهما لم يحترم ما جاء بهذه الاتفاقية ، حيث كان السعوديون يطلبون المزيد من الزكاة ويشنون الغارات على عُمان مستغلين وجود الفتن والاضطرابات فيها .

وخلف تركي بن عبد الله ابنهُ فيصل عام ١٨٣٤م وتميز في بداية عهده بالفتن والاضطرابات التي نشبت في نجد، واستمرت حتى عام ١٨٣٩م، وعندما علم محمد علي باشا بذلك أرسل حملة عسكرية بقيادة خورشيد باشا لاسترداد نجد عام ١٨٣٧م ، وعزل فيصل وأسند الحكم إلى خالد بن سعود الذي أرسله إبراهيم باشا إلى مصر بعد سيطرته على الدرعية عام ١٨١٨م ، ونال ثقة محمد علي فأمر بإسناد الحكم إليه، وطلب منه مرافقة خورشيد باشا لمساعدته في الاستيلاء على نجد وإبعاد فيصل بن تركي عن السلطة. وأدرك الأمير الوهابي أن السيد سعيد يتواصل مع حكومة الهند ضده لذلك قرّر أن يقوم بمراسلة حكومة بومباي عام ١٨٣١م لكسب صداقتها، فرحبت حكومة الهند بصداقته وبتلبية مطالبه، وأرسلت إلى المقيم البريطاني في "أبو شهر" ليباشر بعلاقات المودة والصداقة مع الرياض. وتميّز الأمير تركي بالحنكة السياسية؛ ففي الوقت الذي أرسل طلب الصداقة إلى الحكومة البريطانية أصدر أمراً إلى القائد العسكري عمر بن عفيصان بأن يحضر نفسه، ويستعد إلى غزو عُمان في أواخر عام ١٨٣٢م، ونفذ القائد هذه التعليمات[٣]، وأرسل إلى السيد سعيد بن سلطان طالباً منه الاعتراف بسيطرة الأمير الوهابي ودفع الزكاة له ، فاتصل السيد سعيد بالمقيم البريطاني **بلين** في بوشهر وأخبره بذلك ، فنصحه بعدم الصدام مع الوهابيين والاقترب منهم نسبةً

---

[١] – شركة الزيت العربية الأمريكية ، عُمان والخليج الفارسي ... ، ص ٢٦ .

[2] Badger . History of the Imams . P. XXXVI .

[3] Kelly . J . B . Britain and the Persian Gulf . P. 228

للتعليمات التي أوفدته من حكومة بومباي ، فاضطر السيد سعيد إلى عقد معاهدة عام ١٨٣٣م مع الوهابيين[١].

وتميزت تلك الفترة بقدوم القوات المصرية إلى نجد في عهد الأمير تركي، وعزل فيصل وإسناد الحكم إلى الأمير خالد كما ذكرنا ، ولم يستمر الأمير الجديد في الحكم بسبب المعارضة الأهلية التي نددت به كونه تتلمذ على يد محمد علي باشا الذي أوصله بعد ذلك إلى الحكم، وبعد مقاومة عنيفة عملوا على خلعه، وعقدوا المبايعة إلى الأمير فيصل بن تركي.

خضع بلين المقيم البريطاني لرغبة السيد سعيد من جهة، ولم يكن يثق بالوهابيين من جهة أخرى، لذلك حرض حكومة بومباي لتقف ضد الوهابيين، ومنع الأمير الوهابي من التدخل في أملاك السيد سعيد بن سلطان[٢]. أما الأمير خالد فقد حاول أن يغزو عُمان عام ١٨٤١م، فتدخلت الحكومة الهندية لصالح عُمان، ولم تعارض تقدم الأمير تركي وابنه فيصل إلى عُمان، لكنها عارضت تقدم الأمير خالد، ويبدو واضحاً أن حكومة الهند وقفت ضد طموحات محمد علي ومن يتعاون معه[٣]، لذلك طلبت من السيد سعيد أن يقيم علاقات صداقة بينه وبين الأمير الوهابي تركي، والابتعاد عن الأمير خالد كونه معيناً من قِبَل محمد علي ، وعدّت الأمير تركي ثائراً ضد محمد علي.

وتمكّن الوهابيون أن يتوسعوا من رأس الحدّ حتى الكويت باستثناء "أبوظبي" التي لم يسيطروا عليها حتى عام ١٨٣٣م ، لكنهم سيطروا عليها ودار صراعٌ بين بني ياس والقواسم ووقف الوهابيون مع بني ياس ضد القواسم، إذ منع أمير البريمي الوهابي الأهالي من مساعدة الشيخ سلطان القاسمي عام ١٨٣٤م من حصار "أبوظبي" من البر حتى يطوقها براً وبحراً، واغتيل الأمير تركي عام ١٨٣٤م، واستمر من بعده الموقف الوهابي تجاه عُمان في عهد ابنه الأمير فيصل .

وعندما هاجم عبد الله بن ثنيان الأمير خالداً وانتزع منه الحكم ، توجّه الأخير إلى البريمي، وأعلن سيادته عليها وعلى كامل عُمان . وتمكّن فيصل بن تركي من الفرار، واستعاد سيطرته على نجد، وبدأ يمارس سلطانه على الرياض، ووجّه الرسائل إلى رؤساء ساحل عُمان و البريمي وأخبرهم فيها أن سعد بن مطلق المطيري سيذهب إليهم لإعادة السيطرة الوهابية على المنطقة، وكان رد شيوخ

---

(1) - Bagly , Winder , Saudi Arabia in the 19th century . P. 81

(٢) – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان ...، ص ١٦٩ . وانظر :

Nicholls . C. S. THE Sawahili Coast – Politics and Diplomacy and trade on the East Africa Littral 1798 – 1857 . p , 148

(3) Kelly , Britain and the Persian Gulf . P. 234.

عُمان وساحلها إيجابياً ، ما عدا شيوخ دبي والبريمي[١]. وكان السيد سعيد قد نقل مركز حكمه إلى زنجبار؛ تاركاً حكم مسقط لابنه ثويني الذي لم يرَ من يساعده حتى يتصدى للوهابيين.

ووصل سعد بن مطلق إلى البريمي عام ١٨٤٥م على رأس قوة قدرها سبعمائة جندي وفور وصوله طلب من السيد ثويني أن يدفع له مبلغ عشرين ألف ريال، كما طلب من عزان بن قيس حاكم صحار أن يدفع مبلغ خمسة آلاف ريال[٢]، وطلب ثويني من سعد بن مطلق أن يمهله في ذلك لأخذ مشورة والده في زنجبار فوافق على طلبه لكنه أرسل قواته إلى الباطنة ، فاحتج ثويني لأنه أخلّ بالاتفاق الذي قام بينهما. فتدخل المقيم البريطاني، وأرسل للأمير فيصل يحذره من نتائج أعماله مع البريمي ويحذر سعد من اعتدائه على الباطنة وأرسل بعض قطع أسطوله لكبح جماحه في ساحل الباطنة ، ونتج من تدخله عقد صلح بين الوهابيين والسيد ثويني دفعت مسقط بموجبه الأموال إلى الرياض وصحار[٣].

لكن الأمير فيصل كان يعاني من ضائقة مالية وسعد بن مطلق قد جمع الأموال من الإحساء والسيد ثويني والسيد عزان في صحار، ولم تكن ظروف الأمن تسمح بإرسال الأموال إلى الرياض بسبب خشيته من قطاع الطرق من جهة، وأن شيوخ البريمي قد شَكَوا سعداً إلى الرياض من جهة أخرى ، فقرر سعد مغادرة البريمي إلى الرياض ليوضح موقفه للأمير فيصل وفي هذه الأثناء وصل وفد سعودي من الرياض لتثبيت سعد في البريمي، ويطلب إليه الإسراع في إرسال الأموال، فقدّم الشيخ سلطان القاسمي سفينة لنقل الأموال من عُمان إلى الإحساء في نهاية عام ١٨٤٦م[٤]، واستدعى أمير الرياض سعداً إليه ليقدم له تقريراً عن وضع البريمي وعُمان، فغادر سعد إلى الرياض إلا أن الأمير فيصل كان قد جهز حملة من الإحساء بقيادة عبدالله بن بطال المطيري وأرسلها إلى البريمي[٥].

أما الانكليز فسوّغوا موقفهم بأنه لم يكن معادياً للسعوديين خوفاً من القرصنة؛ بل كان الموقف المعادي بسبب تزايد نفوذ السعوديين في عُمان، وخشيت أن يتابع السعوديون مد نفوذهم على سواحل الخليج العربي، لأن بريطانيا لم تعرف لها سيادة ثابتة تجاه أي بلد قوي تصل قواته إلى الخليج بل إن سياستها متبدلة حرصاً على مصلحتها. وفي الوقت نفسه الذي أعلنت بريطانيا عداءها، كان

---

(١) – لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ١٠٤٧ . وانظر:

Kelly . Op . cit . P . 244

(2) Kelly . Op . cit . P . 107

(3) Selection from the records of Bombay Government . Vol . XXIV . Whabees . Op . Cit . P. 457

(4) Selection . Wahabees . op. cit . p .458

(٥)– ابن بشر ، عنوان المجد ... ، ص ١١٧ .

موقف بني ياس معادياً للوجود السعودي، لذلك قرّر الأمير فيصل أن يتحدى كلاً من بريطانيا وبني ياس، فأنفذ حملة عام ١٨٤٨م عبر منطقة الظفرة الصحراوية إلى البريمي بقيادة سعد بن مطلق إلا أن سعيد بن طحنون حاكم" أبوظبي " ترصد أخبارها ونصب لها كميناً وهزمها هزيمة فادحة(١)، وتمكّن سعد بن مطلق الإفلات من ذلك الكمين مع عدد من أتباعه، واتجه إلى الشارقة، فقدّم له الشيخ سلطان بن صقر مساعدة وغادرها إلى البريمي، وتقدّم بطلب المساعدة من شريف مكة محمد بن عون، فاهتم بالموضوع، وأرسل إلى المقيم البريطاني في الخليج يطلب منه مساعدة الوهابيين لاستعادة حصون البريمي ، كما أرسل محمد بن عون أخاه علياً إلى "أبوظبي" ليشرح لحاكمها وجهة نظر شريف مكة بمساعيه لاستعادة حصون البريمي إلى السعوديين(٢).

أما سعيد بن مطلق، فقد أعفي من منصبه عام ١٨٥٠م، وعيّن ابن بطال المطيري بدلاً منه إلا أنه استسلم لأمير" أبوظبي" عندما تخلّى الشيخ سلطان بن صقر عن مساعدته(٣)، واستطاع سعيد بن طحنون حاكم" أبوظبي" أن يستعيد حصون البريمي، وشكّل خطراً على الأمير فيصل الوهابي الذي اضطر إلى تشكيل جيش ضخم، واتجه به إلى قطر ومنها هدد باحتلال البحرين، فطلب حاكم البحرين المساعدة من شيخ بني ياس والمقيم البريطاني في الخليج ، واستجاب سعيد بن طحنون إلى مساعدة العتوب في البحرين إلا أنه أدرك ضخامة القوة التي يرأسها الأمير فيصل بن تركي المرابطة في الإحساء لذلك عرض الصلح على الأمير السعودي لإنهاء مشكلة البحرين ، ولم ينسَ الأمير فيصل هزائمه أمام حاكم" أبوظبي " **سعيد بن طحنون**، لذلك طلب منه أن يحضر إلى الرياض ويقدّم الاعتذار عما بدر منه ، وتوصل الطرفان إلى صلح دفع بموجبه العتوب الأموال إلى السعوديين.

كما واجه أمير السعوديين الأخطار الداخلية، ومنها الثورة التي قادها عبد العزيز بن محمد من أعيان القصيم وكان يحظى بتأييد شريف مكة، فضلاً عن تمرّد القبائل البدوية ، لكن الأمير السعودي استطاع أن يقضي على ثورة القصيم عام ١٨٥١م، وعقد الصلح مع البحرين لذلك جهز حملة بقيادة ابنه عبد الله وأرسلها إلى البريمي، وبعد وصوله إليها وجه دعوة إلى شيوخ ساحل عُمان للاجتماع به وفي الوقت نفسه أرسل إلى السيد ثويني لكي يدفع الأموال المتأخرة وطلب من عزان بن قيس أن يتخلى عن صحار للوهابيين(٤)، وعندما علِم شيخ "أبوظبي" بذلك توسّط بالصلح، وأيّد موقفه

(1) - Selection from the records of Bombay Government . Vol . XXIV . p . 459
(2) Winder . A History of Saudi state from 1233- 1818 until 1308- 1891 unpub . ph . D. Thesis . Princeton . 1951. P . 197

(٣) – كيلي ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ...، ص ١١٤ .

(٤) – لوريمر، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٣٥ .

المقيم البريطاني الكابتن كمبل، وتمّ توقيع اتفاقية بين حاكم مسقط والسعوديين في عام ١٨٥٣م، وتضمنت :

١- إقامة حامية سعودية في مسقط ووكيل وهابي في البريمي.
٢- تدفع مسقط مبلغ اثني عشر ألف ريال إلى الرياض سنوياً.
٣- بقاء حدود البلدين كما جاء في اتفاق ١٨٣٣م.
٤- يدفع السيد ثويني مبلغ ستين ألف ريال مقابل أن يضمن الأمير الوهابي سلامة أملاكه[١].

وانتهز السعوديون فرصة السيطرة على عُمان بعد قيام الثورة الإباضية ضد السيد ثويني الذي لم يجد أمامه سوى التقدم بطلب المساعدة من أعدائه السعوديين ، لكن ذلك أدى إلى تكتل العُمانيين ضد السعوديين للتخلص منهم وبذلك قمع السيد ثويني الثورة الإباضية، وأرغم السعوديين على الانسحاب من عُمان بعد أن عقد معهم معاهدة ١٨٥٣م[٢]، لكن إذا نظرنا إلى الثورة التي قادها حمود بن عزان ١٨٤٦م، نجد أنها كانت أشدّ من الثورة الإباضية، ولم يطلب السيد ثويني مساعدة السعوديين!! لكن إذا أجرينا تحليلاً دقيقاً لبنود معاهدة ١٨٥٣م يتضح لنا أن هذه المعاهدة كانت لصالح السعوديين. ودعا كمبل المقيم البريطاني شيوخ ساحل عُمان وأخذ موافقتهم على توقيع معاهدة **السلم البحري** عام ١٨٥٣م، حيث نالت بريطانيا بموجبها الإشراف على ضمان السلام في المنطقة[٣]، كما وقفت ضد الأمير فيصل ومحاولاته في توسيع نفوذه وسيطرته على مدن ساحل عُمان عام ١٨٥٥م، ومنعته من التوسع في البحرين وعُمان ، وقرّرت السماح له بالسيطرة على ساحل الإحساء فقط من ساحل الخليج العربي[٤].

ودام حكم السعوديين فترة زادت عن ثمانية عقود بدءاً من عام ١٧٩٥ وصولاً إلى عام ١٨٧٤م تخللها فترة من الاضطراب الداخلي بسبب الحملة المصرية الأولى والثانية على الحجاز عام ١٨١١ و ١٨٣٧م ، كما انتشرت الدعوة الوهابية في عُمان[٥] وساحلها وفي **كيرلا** (و هي مقاطعة في الهند إلا أن كل المسلمين فيها من أتباع الدعوة السلفية) بواسطة التجار من جعلان وصور، كما قاد

---

[1] William Palgrave , A Narrative of a Year's journey through central and Eastern Arabia 1862-1863, vol . I. London . 1865 . 283- 284

[٢] – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان... ، ص ١٥٥

[٣] – نوفل ، الخليج العربي ... ، ص ٤١١.

[٤] – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ١٦٦٢.

[٥]– المطوع ، عقود الجمان ... ، ص ١٠٦ و ص ١١٠ .

الوهابيون الثورات ضد حكم البوسعيد مثل ثورة عام ١٨٦٥م بقيادة قبيلة الجنبة في صور ضد السيد ثويني، وقبيلة بني بوعلي من أتباع الدعوة السلفية في جعلان ينتمون إلى الوهابيين الأوائل، كما ذكرنا سابقاً .

٢- العلاقات بين السيد سعيد ومحمد علي بين عامي ١٨٣٠ – ١٨٣٩ م

على أثر نجاح خورشيد باشا في استعادة الإحساء، كما ذكرنا في الفصل الثاني بدأ محمد علي في عام ١٨٣٩م بإرسال سفارة خاصة إلى الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة شيخ البحرين تمكّنت من وضع معاهدة لربط البحرين بالسياسة المصرية، ونصت المعاهدة على:

١- يتعهد شيخ البحرين أن يكون صديقاً لمحمد علي وعدواً لعدوه.
٢- موافقة شيخ البحرين على دفع ثلاثة آلاف فرانسة زكاة سنوية ابتداءً من عام ١٢٥٤هـ – ١٨٣٨م [١].
٣- يتعهد محمد علي أن يؤيد الشيخ عبد الله في حكمه للبحرين.
٤- يلتزم شيخ البحرين في إرسال المراكب لحمولة العسكر إذا أراد خورشيد باشا إرسال عساكره إلى عُمان[٢].

وتوضّح أن خورشيد باشا كان يفكّر في التقدم إلى عُمان في الوقت الذي تخلّى فيه السيد سعيد عن اتفاقه مع محمد علي، أما الحكومة البريطانية فقد رفضت هذه المعاهدة لأنها تتعارض مع الوعود التي قدّمها محمد علي للحكومة البريطانية بعد قيامه بالتحركات العسكرية على أطراف "بنادر" العرب المتصلة بخليج فارس، وبسبب مخالفتها لمعاهدة ١٨٢٤م التي وقعها شيوخ البحرين مع الحكومة البريطانية، وهذا ما أكده الكولونيل هنيل Henell المقيم البريطاني في الخليج في منشوره عام ١٨٣٩م[٣].

---

[١] – وثائق عابدين، محفظة رقم ٢٦٧ حجاز ١٢٥٥هـ ، صورة الجرنال المحضر من طرف محمد أفندي رفعت المتضمن بيان الأحوال الصادرة من مادة البحرين وغيرها . وانظر : عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، ص ٣٦٠.

[٢] – عبد الفتاح أبو علية ، الدولة السعودية الثانية ، الرياض ١٩٧٤م ، ص ٥٦ – ٥٧ . و الوثائق المصرية ، ،شروط المصالحة التي عقدها محمد أفندي رفعت مع شيخ البحرين عبدالله بن أحمد آل خليفة مع خورشيد باشا ، ٢٣ صفر ١٢٥٥هـ ،١مايو ١٨٣٩م .

[٣] – ابن بشر، عنوان المجد ، ج١ ، ص ١٢٢ – ١٢٣ . و وثائق عابدين اعتراض المقيم البريطاني على اتفاقية خورشيد باشا مع شيخ البحرين ، محفظة رقم ٢٦٧، ملف الحجاز ١٢٥٥هـ .

ولم يكن ذلك احتجاجاً فحسب بل قام الكولونيل هنيل بإجراء مقابلة مع شيخ البحرين وكانت هذه المقابلة تقوم على التهديد والترغيب معاً، كما ورد في الوثائق المصرية، حيث عرض الكولونيل هنيل على شيخ البحرين أن الحكومة البريطانية سوف تمتنع عن جباية الضرائب على البحرين لمدة خمسة وعشرين عاماً، وتمنحه حمايتها مقابل نقضه لهذه المعاهدة وتسليمها إليه لكي يمزّقها ، لكن شيخ البحرين أصر على اتفاقه ، وقال لهنيل : " أن البحرين ملكنا ورثناه عن أجدادنا وليس بيننا شروط؛ لأن نكون رعية للإنكليز ، ولم أظهر أي سبب لذلك غير الصداقة وليس للإنكليز أن يتعدوا علينا ، فإذا ما كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتداراً، فإننا سنبذل ما في وسعنا في سبيل حماية ملكنا وأهلنا وعيالنا وديننا وليحصل بعد ذلك ما يحصل"[١].

وبعد ضغوط بريطانيا على شيخ البحرين اضطر للتقدم بطلب المساعدة من محمد علي ، وكانت تلك الأحداث ستؤدي إلى حدوث حرب مسلحة بين خورشيد باشا والإنكليز بعد أن طلب خورشيد باشا من المقيم البريطاني عدم تدخله في أمور البحرين وغيرها في الخليج العربي[٢]، لكن انتهت هذه الأزمة بعد انسحاب محمد علي وقواته من بلاد الشام والجزيرة العربية وفق معاهدة لندن عام ١٨٤٠م وبذلك تكون بريطانيا قد تخلّصت من خطر مصري كبير يهدّد نفوذها في الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي. وفي عام ١٨١١م، عند وصول قوات طوسن باشا إلى الحجاز بدأت العلاقات بين السيد سعيد ومحمد علي باشا ، ولم يكن محمد علي مستعداً لعقد أي اتفاق مع السيد سعيد على الرغم من صراعه مع السعوديين في هذه الأثناء ، فرفض طلب السيد سعيد في أن يشترك بالحملة التي كانت تتجه إلى نجد ، واكتفى بتأجير عشرين سفينة عُمانية لتموين قواته المقاتلة في الجزيرة العربية بطريقة أسهل[٣]. وفي عام ١٨١٨م أرسل السيد سعيد تهنئة إلى محمد علي بعد نجاح ابراهيم باشا في إسقاط الدرعية ، وكانت تهدف الحكومة البريطانية إلى جمع قوة السيد سعيد مع قوة محمد علي للتخلّص من القواسم حلفاء السعوديين والتخلّص من تحدياتهم لها ونشاطهم البحري في الخليج، وبدأت تعمل على توثيق التعاون بين السيد سعيد وابراهيم باشا لتحقيق هدفها لكن محاولتها باءت بالفشل [٤].

---

[١] – الرافعي، عصر محمد علي... ، ص ٣٦٥. و لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٧١٢

4- Selections from the records of Bombay Government Historical Sketch about Uttobee Arabs . P -373.

[٣] – قاسم ، دولة البوسعيد في عُمان ... ، ص ١٧٢ . و بن بشر ، عنوان المجد .. ، ج٢ ، ص ٨٥

[٤] – البطريق ، ابراهيم باشا وحروبه في بلاد العرب... ، ص ٩ . وكذلك : لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ١٤٢٨ .

ولم تظهر العلاقات الودية بين السيد سعيد ومحمد علي إلا في أثناء الاستقبال الحافل الذي استقبله محمد علي لوفد السيد سعيد القادم إلى مكة لتأدية فريضة الحج في عام ١٨٢٤م ، لكن هذه العلاقات بين الطرفين لم تسر دوماً بهذا الشكل الودي فبعد نجاح المصريين في الاستيلاء على الحجاز أمر محمد علي والي جدة أن يقوم بتحذير السيد سعيد بعدم تخطي حدود مقاطعاته، ويدل ذلك على انتهاز السيد سعيد فرصة انهيار الدولة السعودية الأولى ليوسع حدود دولته في مقاطعات الجزيرة العربية، لكنه لم يلبث أن توقف عن هذه التوسعات لسببين:

أولهما: التحذيرات التي توجهت إليه، وثانيهما: إدراكه ضرورة تثبيت مركزه في ممتلكاته قبل أن يتوسع في الخارج[١]. وكان محمد علي يقدّر أهمية موقع مسقط البحري الذي يخدم مشروعاته التوسعية في الجزيرة العربية وتحقيق أهدافه الخاصة للتحكم بالطرق البحرية في البحر الأحمر والخليج العربي. وعلى الرغم من العلاقات الطيبة بين محمد علي والسيد سعيد، فقد كان الأخير لا ينظر إلى الأول بعين الارتياح لأنّ سيطرة القوات المصرية على واحات البريمي كان يعد خطراً يهدده في الجوار[٢]، وضمّ محمد علي للإحساء وطموحاته التوسعية في الخليج يعدّ تهديداً واضحاً للسيد سعيد، وبدأت العلاقات المتوترة بين الطرفين بعد الرسالة التي أرسلها السيد سعيد إلى محمد علي في ١٤ جمادى الأولى ١٢٥٤هـ/٢٧ يوليو عام ١٨٣٩م يعارض فيها التحركات العسكرية التي كان يقوم بها سعد بن مطلق المطيري القائد السعودي تحت الحكم المصري إلى المقاطعات العُمانية حيث كان الأخير معيناً على البريمي من قبل خورشيد باشا[٣].

وأرسل السيد سعيد احتجاجاً آخر إلى أحمد باشا قائد قوات مصر العسكرية في الحجاز؛ وذلك رداً على رسالة خالد بن سعود المُعَيّن من قبل محمد علي باشا حاكماً على نجد والتي أرسلها إلى ولدي السيد سعيد **ثويني وهلال**، وطلب فيها خضوعهم إلى سعد بن مطلق الذي عيّنه على عُمان براً وبحراً ، وأرسل السيد سعيد احتجاجاً آخر على إصرار خالد بن سعود على أن تدفع له مسقط الزكاة السنوية .

وأبدى السيد سعيد استياءه من تعيين محمد علي خالداً بن سعود حاكماً على نجد ، حيث اتخذ الأخير موقفاً عدائياً من السيد سعيد ولم يكن محمد علي راضياً على ذلك ، إذ كان ما يزال يأمل في مساعدة السيد سعيد له في ضم البحرين لكن خاب أمله في ذلك وساءت العلاقات بين الطرفين بعد تخلي السيد سعيد عن محمد علي في توسيع نفوذه ، لذلك لم يعترض على تحركات

---

[1] Kelly , Britain and the Persian Gulf . P. 289

[٢] – وثائق عابدين محفظة رقم ٤٠ الوثيقة رقم ٤١٣ مؤرخة ٢٧ صفر ١٢٤٦هـ / ١٨ آب ١٨٣٠م .

[٣] وثائق عابدين محفظة رقم ٢٦٦ حجاز ١٢٥٥ صورة الوثيقة العربية رقم ١٨١ حمراء أصلية ٤٣.

خورشيد باشا العسكرية في سيطرته على البريمي التي تُعدّ المفتاح الرئيس لعُمان، حيث نجح خورشيد باشا في السيطرة على الأقاليم العُمانية بسبب ضعفها وتفككها ، ورغم ذلك لم يستطع خورشيد باشا تحقيق النصر في عُمان بسبب مقاومة آل نعيم حيث كانوا يفضلون الحفاظ على استقلالهم ولا يخضعون للحكم المصري وذلك تحريضاً من هنل الذي تعهد لهم بتقديم الحماية والمساعدة اللازمة لمقاومة سعد بن مطلق ومشاريع مصر التوسعية ، وأجرى هنل اتصالات مع شيوخ ساحل عُمان، وطلب إليهم تحقيق رغبة بريطانيا في عدم تقديم المساعدة للمصريين[١].

ولم يكتفِ هنل بتحريض أهالي البريمي وشيوخ الشارقة ودبي وعجمان ضد المصريين، بل وجه رسالة في ٢٦ آب ١٨٣٩م إلى خورشيد باشا طلب فيها أن يأمر تابعه سعد بالرجوع من البريمي وإلا ذلك يعني عدم اكتراث المصريين بصداقة بريطانيا[٢]. واضطر سعد بن مطلق أمام تلك الأحداث إلى الرجوع بعد أن فقد أمله في مساعدة الشيوخ في ساحل عُمان له، وكان قبل اتخاذه قرار التراجع قد طلب من خورشيد باشا تزويده بقوات تمكنه من التقدم إلى ساحل عُمان والبريمي، وعندما تلقى خورشيد باشا رسالته أمر عامله على الإحساء محمد أفندي بتجهيز قوات وإرسالها إلى سعد، غير أن عودته المفاجأة أوقفت نشاط محمد أفندي، وأغضبت خورشيد باشا الذي استدعى سعداً إلى نجد، ليحاسبه على عدم التزامه بمهمته ورجوعه من دون إذن رئيسه[٣].

وجاءت الشفاعة له من محمد علي باشا الذي أمر خورشيد باشا بالانسحاب من نجد في تشرين الأول ١٨٣٩م، وتزامن ذلك الأمر مع وفاة محمد أفندي الذي جعل من الإحساء قاعدة مهمة حسبت لها بريطانيا ألف حساب ، وكان ذلك الحاكم النشيط قد أرسل قبل وفاته حملة إلى قطر لتأديب القبائل المتمردة والتزامها بدفع الزكاة، لكن تلك الحملة لم تحقق أهدافها، لأنها رجعت على إثر مقتله[٤]. ولم تتحقق طموحات محمد علي باشا بسبب اضطراره إلى الانسحاب من الجزيرة العربية ، يضاف إلى ذلك أن الحكومة البريطانية كانت تدرك خطر سياسته التوسعية، لذلك استمرت

---

(١) –وثائق عابدين محفظة رقم ٢٦٦ وثيقة رقم ١٠٤تاريخ ٢ ذي القعدة ١٢٥٥هـ مرفقة بالإرادة رقم ٣٥ .

(٢) – وثائق عابدين محفظة رقم ٢٦٧الرفق العربي مؤرخ في جمادى آخر ١٢٥٥هـ رسالة من هنل إلى خورشيد باشا .

(٣) – وثائق عابدين محفظة رقم ٢٧٠ وثيقة ١٩٤ تاريخ ١٢ جمادى الآخر ١٢٥٥هـ ، رسالة من خورشيد إلى الباشمعاون

(٤) – لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ١٤٤١ .

بتنبيه السيد سعيد لمقاومة تلك السياسة غير أن العلاقات المصرية العُمانية لم تلبث أن استؤنفت من جديد من خلال تبادل الهدايا بين السيد سعيد وأولاده عباس وسعيد[١].

٣- السيد سعيد وعلاقته مع الفرس

ترتبط العلاقات بين السيد سعيد والفرس بسياسته وأهدافه في الخليج العربي ارتباطاً وثيقاً، حيث كان يهدف إلى توطيد مركزه في الخليج من خلال سيطرته على الجزر الفارسية والموانئ البحرية، وكان ذلك كافياً لتوتر العلاقات بينه وبين الفرس والتي وصلت إلى درجة قيام الحرب بين الطرفين، وهنا سوف نبين تدخلات الفرس في عُمان والدور الذي قام به حكام بوسعيد للتصدي لهم، وسبق أن ذكرنا الأهمية الاستراتيجية التي تحتلها عُمان. فموقعها المتميز بين اليمن وإيران جعل منها مركزاً للعديد من الهجرات، وكان مجيء الفرس إليها قبل العرب؛ إذ قاموا بإعمارها والإقامة على أرضها حتى وفد الأزد إليها بقيادة مالك بن فهم[٢] الذي تصدى للفرس وأبعدهم عنها وأقام دولة عربية لا تتجاوز في نظام حكمها المجتمع الرعوي الذي ساد ربوع العالم القديم في العصور التاريخية الأولى. وسبق أن وضحنا كيفية اشتقاق لفظ عُمان وتسميتها بهذا الاسم ونضيف إليها أن معنى كلمة عُمان أي أعمن في المكان أو أقام فيه أو أن أزد اليمن الذين وفدوا إليها كانوا يقيمون في منطقة باليمن اسمها عُمان فأعطوا اسمها لموطنهم الجديد وعرفت باسم الغبراء، أما أكاسرة الفرس فعندما دخلوا عُمان وبدأت أطماعهم فيها اتخذوا منها اسم مزون بدلاً من عُمان [٣]وذلك في القول الآتي :

إن كسرى سمى عُمان مزوناً	**ومزون يا صاح خير بلادِ**
بلدة ذات مزرع ونخيـــــل	**ومراع ومشرب غير صادِ**

ويبدو لنا أن الفرس عدّوا عُمان أرضاً خصبة صالحة للزراعة، فهي ذات مزارع ومراعٍ واسعة تؤمّن الحياة لمن يقيم فيها، وقد طرأ على مناخ عُمان العديد من التبدلات. أما غلاتها الزراعية فما زالت وافرة، منها: الحبوب والخضر والفواكه، وكذلك الموقع الاستراتيجي الذي ساعد على تطور التجارة. واستمرت الحروب بين عُمان والفرس في العصر الحديث على الرغم من مجيء البرتغاليين والهولنديين والانكليز والفرنسيين، لأن أطماع الفرس في داخل عُمان لا حدود لها وتجاوز العُمانيون

---

[١] – ابن بشر ، عنوان المجد ... ، ص ٨٩ . و كيلي، الحدود الشرقية للجزيرة العربية ، ص ١١٤.

[٢] – الآزكوي، تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي ... ، ص ٢٥ .

[٣] – ابن رزيق ، الصحيفة القحطانية ، مج٢ ... ، ص ١٧٢

تحديات الفرس وتوجهوا بقواتهم إلى الساحل الشرقي للخليج العربي وسيطروا على أجزاء من بلاد فارس مثل **لنجة وقشم**، وتمّ تعريب عربستان حيث مايزال سكانها يشعرون بانتمائهم إلى الأمة العربية ديناً ولغة وتاريخاً، أما دولة البوسعيد فقد قامت وازدهرت بفضل النصر الذي حققه السيد أحمد بن سعيد على الفرس وخلّص العُمانيين من ظلمهم ومفاسدهم في عام ١٧٤٣م[١]، وكان الفرس قد وفدوا إلى عُمان بناءً على طلب من الإمام اليعربي سيف بن سلطان الذي طلب المساعدة من الفرس للتخلص من منافسه بلعرب بن حمير[٢]، وتزامن ذلك مع وصول نادر شاه إلى السلطة بين عامي ١٧٢٧– ١٧٤٧م حيث كان يطمح إلى السيطرة على عُمان، وكان طلب الإمام سيف فرصة له لتحقيق أهدافه، فتلقى طلبه وأرسل حملة بحرية بقيادة لطيف خان الذي قاد قطعاً من الأسطول الفارسي واتجه إلى جلفار أو رأس الخيمة حيث وصل إليها في ١٤ آذار عام ١٧٢٧م وتابع تقدمه حتى وصل إلى صحار، واستطاع الإمام سيف والفرس أن يحقّق انتصاراً على بلعرب بن حمي، لكن الخلاف بين الإمام ولطيف خان اشتد بشكل واضح بسبب تجاهل القائد الفارسي للإمام حيث كان يتّخذ القرارات دون الرجوع إليه واستمر ذلك من عام ١٧٢٨م حتى عام ١٧٤١م فاستغل حاكم صحار الفرصة للثورة على الفرس والتخلص من تحكمهم و مظالمهم، فقاد الثورة ضدّهم في عام ١٧٤١م وحقق نصراً عليهم في عام ١٧٤٣م[٣]، كما تقرّب الفرس من فرنسا، وعقدوا معاهدة مع حاكمها لويس الرابع عشر في عام ١٧٠٨م ملك فرنسا لمساعدة الفرس لاحتلال مسقط[٤]، كما قام كريم خان الزّيدي بمحاولة لمد نفوذه إلى عُمان بين عامي ١٧٥٦ – ١٧٧٧م لكي تبقى تابعة للفرس وتدفع لهم أتاوة سنوية[٥].

لكن الإمام أحمد بن سعيد رفض دفع الإتاوة وأعلن الحرب ضد الفرس باستخدام القوة والعنف[٦]. وأسند كريم خان إدارة الأمور البحرية إلى الشيخ ناصر خان حاكم بوشهر، وكلفه معالجة

---

(1) Sykes , Percy . A history of Persia . Two Vols . London . 1915 , Vol . II . P . 450

(2) Lockhardn , Nadir Shah . (A critical study based mainly upon contemporary sources . London . 1939

(٣) – في عام ١٧٢٢ انتشرت الفوضى في بلاد فارس واحتل الأفغانيون أصفهان وأجبروا الشاه على التنازل عن العرش كما احتلت روسيا المناطق الشمالية من فارس فاضطر الشاه إلى استدعاء قواته من الخليج لمواجهة هذه الظروف ، وفرنسا توجهت للتحالف مع الإمام أحمد بن سعيد وأنشأت وكالة تجارية في مسقط عام ١٧٥٦م ، انظر : قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص ٣٥ .

(٤)– قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ٣٤ .

(٥) – أبو حاكمة ، تاريخ الكويت ، ج١ ، ص ١٣٠.

(٦) – السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج٢ ، ص ١٦١ .

المشكلة العُمانية في وقت تصاعدت فيه الثورات الفارسية ضده، واحتدم الصراع بين الفرس الذين أصروا أن تدفع عُمان الإتاوة و العُمانيين الرافضين دفع الأموال للفرس، ووقعت الحرب بينهما عندما أكد الإمام أحمد بن سعيد عام ١٧٦٩م عدم دفع الضرائب للفرس، لذا هاجم الفرس بعض السفن العُمانية، واستولوا عليها، وردّت عُمان على ذلك بإرسال قوة بحرية إلى بوشهر وأخذت من حاكمها ترضية مالية كافية ، وفي عام ١٧٧٥م قام كريم خان للمرة الثانية بمطالبة عُمان بدفع الضرائب المترتبة عليها حيث كان الوضع الداخلي في عُمان غير متماسك، لذلك اضطّر الإمام للوقوف إلى جانب العثمانيين عندما طلبوا مساعدته ضد الفرس.

وفي عام ١٧٧٦م وقف الأسطول العُماني إلى جانب العثمانيين في فرض الحصار على البصرة التي كان يحاصرها الأسطول الفارسي بقيادة صادق خان، وتمكّن من فرض سيطرته عليها حتى وفاة كريم خان ١٧٧٧م وبعدها تراجع الأسطول العُماني إلى مسقط[١]. وتقرّب الإمام أحمد بن سعيد من العثمانيين، واتبع معهم أسلوب العطف والمودة واغتنام الفرصة لضرب الفرس، ففي عام ١٧٥٦م حقق نصراً على الفرس، وسيطر على شط العرب الذي كان محاصراً بالسلاسل الحديدية من قِبَل الفرس لمنع الأسطول العُماني من التقرب إلى البصرة، وتقدّم الإمام بسفينته الرحماني، وحطم هذه السلاسل، وطرد الفرس من البصرة[٢]، وقدّم السلطان العثماني مكافأة مالية لعُمان لقاء هذا العمل استمرت تدفع من خزينة البصرة حتى عهد السيد سعيد بن سلطان[٣]. والجزية هي ضريبة مالية يدفعها غير المسلمين وأهل الكتاب من يهود ونصارى إلى خزينة الدولة مقابل حمايتها لهم. وبعد وفاة السيد أحمد بن سعيد عام ١٧٨٣م توقفت مطامع الفرس، وذلك بسبب نشاط القواسم ضد عُمان من جهة، وساحل فارس من جهة ثانية. ولولا ذلك النشاط لاغتنم الفرس فترة الصراع على السلطة بين الإمام سعيد بن الإمام أحمد وابنه حامد الذي جعل مسقط المدينة الأولى في عُمان وفصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية ، وبسبب استمرار الفوضى واضطراب الأوضاع الداخلية في فارس استطاع السيد سلطان بن أحمد أن يحصل على فرمان من شاه فارس سيطر بموجبه على بندر عباس وملحقاتها من جوادر و شوربار على ساحل مكران إلى عُمان مقابل إيجار سنوي بلغ ستة آلاف تومان فارسي في عام ١٧٩٨م[٤]، واستطاع الإمام أن يمدّ نفوذه إلى جزيرة قشم، وانتزعها

---

(١) – الآزكوي ، تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة ... ، ص ١٥٢

(٢) – لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ... ، ج٢ ، ص ٣٦٠

(3) Bombay Government . Selections from the Records . Vol . 24 . p . 172.

(4) Curzon George . Parsia and the Persian question . Two Vols . London . 1892 . Vol . II. P. 428

و قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص ٧٤ .

من بنـي معين، وحصـل علـى حكمها بمرسوم مـن الشاه الـذي اضـطر إلـى سـحب قواتـه مـن ساحل الخليج للقضاء على الثورات الداخلية المعارضة لحكمه[١] .

أما حكومة الهند فقد طلبت من السيد العُماني أن يشارك في حملة على بوشهر عام ١٨٠٤م ووافـق علـى ذلـك، لأنـه رأى فيهـا إضـعافاً لمركـز الفـرس والقواسـم ، لكنـه تـوفي قبـل أن ينفـذ تلـك المشاركة ، كما أن سيتون المقيم البريطـاني فـي الخليج العربـي قد رأى عدم قيام الحملـة؛ بل يرسـل سـفينة بريطانيـة إلـى بوشـهر لمراقبـة القواسـم وتـدمير سـفنهم[٢]. وبـدأت تتحسـن العلاقـات الفارسـية العُمانية منذ عام ١٧٩٩م عندما طلب السيد سلطان مساعدة من الفرس لتوطيد نفوذه في البحرين[٣]. وفـي عـام ١٧٩٥م عنـدما وصـل الوهـابيون إلـى عُمـان وجعلـوا مـن البريمـي مركـزاً لقيـادة عملياتهم العسكرية ، رأى العُمانيون والفرس في الوهابيين عدواً مشتركاً، وكان الوهابيون يطمحون في السيطرة على سواحل الخليج العربي ، وعندما آل الحكم في عُمان إلى بدر بن سيف بين عامي ١٨٠٤ – ١٨٠٦م ازدهر النشاط الوهابي في عُمان والخليج العربي ، لكن هذا الازدهار انعكس على الوهابيين إذ غزا الإنكليز ساحل عُمان بالتعاون مع سعيد بن سلطان خليفة بدر بن سيف ١٨٠٤ – ١٨٠٦م وخسر القواسم الكثير من قطع أسطولهم، وانسحب الإنكليز من الخليج وعاد أسطولهم إلى الهند، كما اعتذروا للسيد سعيد في مساعدتهم له ضد الوهابيين، بل قدّموا له النصائح في خطة العمل، ونشط الوهابيون ضد السيد سعيد، وكانوا بقيادة مطلق المطيري الذي انتظر الأسطول الانكليزي لينقض علـى مسقط التـي كبّدها خسـائر فادحـة فـي المـال والعتـاد. ونشطت الدعايـة الوهابيـة ضـد الفرس لإبعادهم عن السيد سعيد إذ حرك السعوديون مطامح الفرس القديمة، وهنا يحاولون جاهدين احتلال عُمان، فعادت إلى ذاكرة العُمانيين الصفحات السوداء التي خطّها الفرس في صحار ومسقط وجلفار في عام ١٧٤١م وما قبله، فعادت الفوضى ووقع الاضطراب في النفوس، وهذا ما كان ينتظره مطلق المطيري القائد الوهابي حيث هاجم مسقط والفرس وكبّدهم خسائر فادحة ، ومن مسقط اتجه إلى مطرح في عام ١٨١١– ١٨١٢م وسيطر على مركز مهمّ منع من خلاله دخول المساعدات من البلدان المجاورة إلى مسقط[٤].

---

[1] Pelgrave . Op . Cit .Vol . I . p . 275

[٢] – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٦٨٥

[٣] – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٧١١

[٤] – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص ١٥١

وأعاد السيد سعيد تشكيل قواته، وحمّل أسباب الهزيمة للفرس الذين قيل لهم : داروا بخيولهم وتقهقروا دون قتال[١]. وأمر صادي خان بمغادرة عُمان إلى بندر عباس في الوقت الذي كان القائد السعودي ينتقل من مقاطعة إلى أخرى في عُمان لإرغام الأهالي إلى اعتناق الوهابية. أما محمد علي باشا فلم تكن طموحاته أقل من طموحات الوهابيين في عُمان، لذلك نرى استمرار العلاقات الجيدة بين عُمان والفرس حتى عام ١٨٢٦م عند مصاهرة السيد سعيد للفرس وتزوجه من أميرة فارسية، لذلك وقف إلى جانب تيمور ميرزا في الحرب التي خاضها ضد عبد الرسول خان حاكم بوشهر، وكانت حكومة الهند تراقب تحركات عُمان، فأمرت مقيمها في الخليج سيتون ليمنع سيد عُمان من التدخل في الشؤون الداخلية للفرس[٢].

كما ساءت العلاقات مرة أخرى في عام ١٨٤٦م بسبب مطالبة الفرس بميناء بندر عباس وملحقاته ، فقرر السيد سعيد مهاجمة حاكم بوشهر، وكان حاكم بندر عباس من قبله قد اقترح عليه أن يحاصر الساحل الفارسي حتى يحكم ضربته لحاكم بوشهر، إلا أن هنيل الذي خلف سيتون تدخل ومنع عُمان من ممارسة نشاطها ضد الفرس[٣]، وكان الموقف البريطاني المؤيد للفرس يتميز بالغموض ذلك أن بريطانيا كانت تخطط إلى كسب الفرس لجانبها خلال حرب القرم* ١٨٥٣ – ١٨٥٦م ، واستغل الفرس الدعم البريطاني من جهة، ووجود السيد سعيد في زنجبار من جهة ثانية، وهاجموا بندر عباس، وطردوا حاكمها العربي الذي عينه السيد سعيد بن سلطان، وأحكموا قبضتهم على الميناء في عام ١٨٥٤م وأرسلوا قواتهم لاستعادة جوادر وشوربار على ساحل مكران. وعندما علِم السيد سعيد بتصرفات الفرس وما قاموا به جهّز حملة كبيرة بقيادة ابنه ثويني الذي هاجم ميناء بندر عباس وطرد الفرس منه وأحكم سيطرته عليه، وقام الشاه بتجهيز قوات جديدة وأوفدها إلى ميدان المعركة، وحقق نصراً على العُمانيين واسترد منهم ميناء بندر عباس وملحقاته[٤]، واضطر السيد سعيد إلى توقيع اتفاقية مع الفرس في نيسان عام ١٨٥٦م تضمنت:

---

(1) Shaik Mansour . op . cit . p . 88.

(٢) – لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧١١

(٣) – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص ١٥١ و ص ١٨٩

* **حرب القرم** : ١٨٥٣–١٨٥٦م، خسرت فيها روسيا أمام تحالف الدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا وسردينيا، قامت في شبه جزيرة القرم، وبقيت النمسا على الحياد إلا أنها لعبت دوراً في إيقاف الروس، والسبب المباشر الذي أشعل الحرب هي حقوق المسيحيين في الأراضي المقدسة الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية. عمر طوسون، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم ١٨٥٣– ١٨٥٥م، مكتبة مدبولي ١٩٩٦، ص ٢٠.

(4) – Miles . The countries and Tribes . P . 351

١- تنازله عن جزيرتي قشم وهرمز .

٢- ارتفاع الإيجار السنوي لميناء بندر عباس إلى ١٦٠٠٠ تومان وألا يعطى الميناء لأية دولة أخرى[١].

فاستجاب العُمانيون لرغبة الفرس رغماً عنهم، لأن الوضع الداخلي في عُمان لا يساعد على إحراز النصر في الحرب ضد الفرس وكانت حكومة الهند مؤيدة لهم في حربهم مع العُمانيين بهدف إضعافهم وتفكيك عُمان[٢]. وظهرت مطامع الفرس و جشعهم بعد وفاة ثويني بن سعيد بن سلطان في عام ١٨٦٨م حيث رفعوا إيجار بندر عباس إلى عشرين ألف تومان سنوياً . وتلك الأحداث كانت تخدم مصالح بريطانيا الهادفة إلى إضعاف عُمان وتفكيكها من الداخل من خلال ربط زعمائها بمعاهدات تجارية وفرض الضرائب ودعمها للدول المعادية لعُمان وتقديم وعوداً لا فائدة منها لتحقيق مطامعها وجعلها مستعمرة بريطانية.

٤- موقف السيد سعيد من التدخلات الأجنبية

من خلال دراسة العلاقات الخارجية للسيد سعيد بن سلطان توضح أن التدخلات الأجنبية اتخذت شكل غزو تبشيري واستكشافي، كما ظهر النشاط الاقتصادي في زنجبار والشرق الإفريقي، وأدركنا مدى الخطر الكبير الذي كان ينتظر السيد سعيد في المقاطعات التي حاول أن يجعل منها إمبراطورية عُمانية في الشرق الإفريقي، لكن هذه الآمال التي كانت تراوده لم تجد سبيلها إلى النجاح فانشغاله بممتلكاته الإفريقية أدى إلى إهماله شؤون ممتلكاته الآسيوية حتى كاد أن يخسرها، كما انتشرت الفوضى والمنازعات والاضطرابات في أرجاء عُمان بعد أن انتقل مقر الحكم إلى الشرق الإفريقي الذي يبعد ألاف الأميال عن ممتلكاته العُمانية، واتخذها مركزاً رئيساً وحرص على تطويرها وتنمية مواردها واستغلال إمكاناتها التجارية والزراعية. وإن طموحات السيد سعيد في تأسيس الإمبراطورية العُمانية في الشرق الإفريقي كان من الصعب تحقيقها بسبب التفوق الأوربي في القرن التاسع عشر، وهي حقيقة لابد من إدراكها، حيث شهد القرن التاسع عشر تفوق أوربة مادياً وعسكرياً، كما شهد نشاط حركة الرواد والمستكشفين والمبشرين والتجار الأوروبيين الذين أدركوا أهمية الشرق الإفريقي وغناه بالموارد الطبيعية وأهميته الاستراتيجية وصلاحيته للاستغلال والامتلاك والسيطرة.

---

(١) – لوثرب ستودارد ، حاضر العالم الإسلامي .. ، ج٢ ، ص ٣٢٣ ، و
Lyne , Robert Nunez , Zanzibar , in contemporary times . p . 45.

(٢) – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص ١٨٩ ، و
Kelly . British policy in Persian Gulf , 1813- 1843. Unpub D. Thesis (London 1956) p . 170.

لذلك اصطدمت أحلام السيد سعيد ورغبته في تأسيس الامبراطورية العُمانية في إفريقية مع رغبة الدول الأوربية في السيطرة على تلك القارة واستغلالها واقتسامها فيما بينهم ، وذكر **بيرس** أن أحلام السيد سعيد في تأسيس امبراطورية في الشرق الإفريقي جاءت متأخرة وفي وقت غير ملائم(١).

وسبق أن ذكرنا نتيجة إقامة السيد سعيد واستقراره في زنجبار أدى إلى إهمال لممتلكاته في عُمان وتفككها ، فانفصلت صحار في عام ١٨٣٩م وتعددت ثورات الإباضيين وغزوات السعوديين، ومن خلال تقارير القنصل البريطاني (همرتون) في زنجبار في عام ١٨٤١م إلى حكومته، نجد أن مكانة السيد سعيد قد تراجعت في عُمان بسبب إهماله شؤونها فيما لا يتجاوز الموانئ البحرية(٢).

لكن إهمال شؤون ممتلكات السيد سعيد في عُمان لم يكن خطأه وحده، وإنما بريطانيا قد ارتكبت الخطأ الأكبر بعدم تقديمها المساعدات للسيد سعيد بشكل كافٍ يضمن له الاهتمام بهذه المقاطعات، فهي وإن كانت قد قدّمت له المساعدة فقد كان ذلك لمصلحتها الخاصة قبل أن تكون لمصلحته، وحسب ما أكدته الوثائق البريطانية أنه لولا مساعدة بريطانيا له لضاع العديد من ممتلكاته بين أيدي الإباضيين من جهة، والسعوديين من جهة أخرى، وبدعم بريطانيا البحري له تخلّص من الدسائس التي كانت تُحاك ضده لإضعاف سلطته، وكذلك استطاع أن يكسب ثقة أتباعه به، كما أكدت وثائق حكومة بومباي في عام ١٨٣٩م " **ليس من الممكن على الإطلاق تجاهل أن نفوذنا وحده هو الذي حال دون سقوط عظمة حليفنا الإمام، ولولا أن سياسة السعوديين كانت أكثر جنوحاً إلى السلم، نظراً إلى انصراف اهتمامهم إلى متاعبهم الخاصة ، لكنّا مضطرين على الأرجح إلى الدخول في حرب فعلية للدفاع عن عاصمة الإمام**"(٣).

وذلك يدل على أن المساعدات التي كانت تقدمها الحكومة البريطانية للسيد سعيد لم تكن مساعدات خالصة له من دون أي اعتبار لمصالحها ، فقد كانت تسرع في تقديمها أحياناً ، وأحياناً أخرى يتعذّر عليها ذلك فتكتفي بتقديم النصح والإرشاد له، وكانت تحرص أن تساعده بالقدر الذي يجعله يحافظ على ممتلكاته الأصلية دون أن تشجعه على التوسع ومد نفوذه إلى جهات أخرى خوفاً من تمرده وتهديد مصالحها، وعلى الرغم من فشل السيد سعيد في الحفاظ على ممتلكاته في عُمان

---

(1) Pearce, op , cit ,p . 133

أيضاً: ويلسن أرنولد ، الخليج العربي ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٠٤.

(٢) – مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ... ، ص ٥٤. و لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٢٦

(3) Bombay Government , S.R.B.G , Vol . XXIV , P , 20.

و قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان ... ، ص٢٢٠

وحمايتها في شرقي إفريقية، لكن لا نستطيع أن ننكر حقيقة أن السنوات التي قضاها في زنجبار مكّنته من التأثير على الشرق الإفريقي تأثيراً حضارياً واقتصادياً، وإن تأثيره وشهرته في العالم الخارجي مرتبطاً بحكمه في زنجبار لا بحكمه في عُمان. وكان السيد سعيد واعياً لأهمية علاقاته مع الدول الأجنبية من جهة وخطورتها من جهة أخرى ، ويحسب حساباً كبيراً لبريطانيا نظراً لتفوقها البحري ونفوذها في الخليج العربي والمحيط الهندي بالقرب من بلاده، كما استفادت من صداقتها للسيد سعيد وتعاونه معها في قمع تجارة الرقيق[١].

وأكّدت المصادر أن السيد سعيد لن يأخذ التعويضات المالية من الحكومة البريطانية عما سببته معاهدات إلغاء تجارة الرقيق من خسائر فادحة له ، حيث استمرت صداقته للإنكليز حوالي نصف قرن قدّم من خلالها العديد من الهدايا لتوثيق علاقته وروابط المودة والصداقة معها ، وهذا التصرف هو نوع من الكرم والأخلاق التي تميز بها أو إلى رغبته في أن ينال شهرة في العالم الخارجي، أو سياسةً منه لكي يضمن من خلالها تأييد الحكومة البريطانية له وتقوية نفوذه ورفع شأنه أمام منافسيه من الداخل والخارج، كما رشحته الحكومة البريطانية ليكون عضو شرف في الجمعية الآسيوية الملكية عام ١٨٣٥م بسبب وقوفه إلى جانبها في قمع تجارة الرقيق في الشرق الإفريقي وتقديراً له على الجهود التي بذلها في توجيه بلاده إلى ركب الحضارة والتقدم[٢].

وإن تقرّب السيد سعيد من بريطانيا ومشاركته في الجمعية الملكية قد أظهر اسمه في المجتمع الأوربي، وكلفه ذلك الكثير من الهدايا التي كان يقدمها بسخاء لحكومة الهند والبلاط الملكي البريطاني في عهد الملكة فيكتوريا التي عاصر بداية حكمها ووصولها إلى العرش، وتنازل لها في عام ١٨٥٤م عن جزر كوريا موريا[٣] ولم يبدِ السيد سعيد أي اعتراض على مطالبة الحكومة البريطانية بهذه الجزر الغنية بالسماد؛ فضلاً عن استخدامها كمحطة لتزويد السفن بالوقود؛ بل أظهر أنه على استعداد لأن يتنازل عنها كهدية دون مقابل عام ١٨٥٤م، كما أكد للحكومة البريطانية والملكة فيكتوريا تنازله عن أي جزء من ممتلكاته في جزيرة العرب أو في إفريقية إذا استدعى الأمر ذلك وقدم سفينة ليفربول هدية للملكة فيكتوريا عام ١٨٣٥م [٤]. وكان هدف السيد سعيد تعزيز علاقاته مع بريطانيا واستمرار دعمها له ، لأن السبب المباشر لخروجه من عُمان ونقل مركز حكمه

---

(١) – العقاد، التيارات السياسية ... ، ص ٧٠ ، و درويش ، سلطنة عُمان ... ، ص ١٢٠

(٢) – السالمي، تحفة الأعيان... ، ج٢ ، ص ٩٨ ، و مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله ... ، ص ١١٠

(٣) – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٧٢٥ .

(4) Aitchison , op . cit ., vol . XII , p . 224.

وأيضاً: محمد ، وأبو جبل ، تاريخ الجزيرة العربية المعاصر ... ، ص ٢٦٦.

إلى زنجبار هو ثورات القبائل والتحديات الداخلية، فضلاً عن طمع الدول المجاورة بالسيطرة على خيرات عُمان، فوجد في بريطانيا داعماً قوياً له على الرغم أنها لم تكن تساعده لتوسيع نفوذه وزيادة ممتلكاته لأن ذلك يهدد مصالحها، فكانت تساعده بالقدر الذي يجعله يتخلص من المشكلات فقط لتضمن بقائه تحت سيطرتها واستمراره في طلب المساعدة منها كلما تعرض لأي خطر.

الفصل الــرابع

وفاة السيد سعيد بن سلطان ونـهاية حكمه عام ١٨٥٦م

مدخـل :

كـان السـيد سـعيد حريصـاً ألا يتـرك الحكـم حتـى يطمـئن علـى أوضـاع ممتلكاتـه ومصـيرها فـي الساحل والداخل، وكـان علـى قناعـة تامـة بـأن بقـاء شـطري الدولـة خاضـعَين لأسرته حتـى فـي حالـة انفصالهما خير من أن يحدث الانفصال على أيدي الأسر الطامعة في الاستغلال والسيطرة، وهذا ما جعلـه يؤثر في توزيـع السلطة بين أبنائـه، فحين قرّر نقل مركز حكمـه إلى زنجبار قام بتعيين اثنين من أبنائه ليكونا نائبين عنه في كل من مسقط وزنجبار، يمارسان السلطة في أثناء فترة غيابه .

وتميزت الممتلكات الإفريقية باتساعها وأهميتها الاقتصـادية والتجاريـة، وضمّت أيضـاً العديد من الجزر والرؤوس والخلجان، فهي من الساحل الشرقي لإفريقية من رأس جردفون شمالاً إلى خليج دلجادو جنوبـاً فضـلاً عن الجزر المواجهـة للساحل، منهـا: جـزر بـات وكلـوة وزنجبـار ولامـو وبمبـا ، واستقرت الأوضـاع فـي جزيرتـي بمبا وزنجبـار إلـى درجـة كبيرة لـم تشـهدها البلاد من قبل، كما وصـل الامتداد العُماني إلى الصومال بما اشتملت عليه من الجزر والموانئ كمقديشو وزيلـع وبربر وبراوة؛ وهـي الجزء الإفريقـي مـن سـواحل البحـر الأحمـر، هذا فضـلاً عن امتدادها الآسيوي فوصـل التجـار العُمـانيون إلـى مرتفعـات كليمنجـارو والبحيـرات الاسـتوائية والكونغـو[١]. ومـن الطبيعـي نتيجـة هـذا الامتداد الواسع لممتلكات الدولـة العُمانية سوف يؤدي إلى العديد من المشاكل والاضطرابات ونشاط الثورات الداخليـة والمنافسات والمنازعات الأسرية وعدم الاستقرار في الحكم بين شطري الدولـة. وهذا مـا عـانى منـه السيد سعيد علـى الرغم من حصوله علـى التأييد الوطني والأجنبي، فهل حقق أولاده حكماً مستقراً في عُمان بعد وفاته ؟ للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نوضّح ما آلت إليه البلاد بعد أن توفي السيد سعيد في التاسع عشر من أكتوبر ١٨٥٦م، وفي السـاعة الثامنـة والنصـف صباحاً[٢]، خلال عودته من مسقط إلى زنجبار برفقة ابنه برغش، حيث وافته المنية في عرض البحر على ظهر سفينته المفضلـة لديـه كوين فكتوريا وهـي تبحـر بـالقرب من جزر سيشل غربـي المحيط الهندي. وبدأ الصراع بين أبنائـه الذين برز من بينهم السيد ثويني والسيد تركي والسيد ماجد والسيد بُرغش، وكان هؤلاء أخوة من الأب، واتسمت العلاقات بين أمهاتهم بالكراهيـة والدسائس التي تركت آثاراً سلبية في علاقات الأخوة بعضهم بعض[٣].

---

(١) – سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ترجمة : عبد المجيد القيسي .... ، ص ٣٥ و ٢٦٤ . و رويت ، سعيد بن سلطان ، ترجمة : عبد المجيد القيسي ... ، ص ١٣ – ١٤ .

(٢) – رويت ، سعيد بن سلطان... ، ص ١٠٦.

(3) Coupland , op , cit , p . 31

أولا– أبناء السيد سعيد وأزمة الخلافة

بعد أن توفي السيد سعيد أصبح وضع عُمان حرجاً للغاية، بسبب البعد الشاسع بين شطري الدولة ؛ فضلاً عن لم يكن لأولاده الذين خلفوه في الحكم المقدرة والطموح والكفاية التي تميز بها والدهم، فكان أكبرهم هو السيد هلال؛ وهو الابن المفضل لدى السيد سعيد، لكن لماذا جرّده والده من حقوق الوراثة كما تشير بعض المصادر؟ فحسب ما تتناقله الروايات أن السيد سعيد قام بهذا التصرف بسبب غضبه منه لاستهتاره بشؤون الحكم وإدمانه على الخمر، وتعرّضه لإحدى جواري والده بطرق غير شرعية، وتؤكد بعض المصادر أنّ السيد هلال كان يُعرف بعزوفه عن النساء وابتعاده عن شرب الخمر(١).

وحسب ما ذكرته السيدة سالمة ابنة السيد سعيد أنّ أخاها كان ضحية مؤامرة دُبّرت له من قِبل والدة السيد خالد رغبةً في التخلص منه(٢)، وروايات أخرى تؤكد أنّ السيد سعيد كان حذراً من انقلاب ابنه السيد هلال ضده وذلك بسبب علاقته الوثيقة بالقنصل الفرنسي في زنجبار **كوشيه** Cochet وأبعده السيد سعيد عن الأسرة بعد أن عجز عن ردعه، كما أرسل إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد أبردين أبلغه بأنه يريد حرمان ابنه هلال من حقوق الوراثة، وأمر بنفيه من زنجبار حيث أقام في عدن قرابة عامين إلى أن توفي مصاباً بإحدى الأمراض في عام ١٨٥١م، وبعد أن وصل خبر وفاته إلى زنجبار حزن عليه والده كثيراً(٣). والابن الثاني للسيد سعيد هو السيد خالد الذي كان ينوب عنه في حكم زنجبار عندما كان ينتقل إلى مسقط لتفقد شؤون ممتلكاته فيها، وكان خالد مغرماً بالتجارة، واستطاع أن يجمع ثروة كبيرة، وقاد إحدى المعارك في ممباسة عام ١٨٣٧م وفي سيوى عام ١٨٤٤م ، لكن هو الآخر توفي في حياة والده مصاباً بمرض رئوي في شهر آذار عام ١٨٥٤م (٤).

وعندما توفي السيد سعيد في عام ١٨٥٦م كان ابنه السيد ثويني حاكماً على مسقط وابنه الآخر السيد ماجد حاكماً على زنجبار(٥). فهل سيفوز أحدهما بحكم الدولة العُمانية بشطريها الآسيوي والإفريقي ؟؟ هل هناك قوة خارجية سوف تقرر هذا المصير ؟؟ فيمكن القول إن وفاة السيد سعيد تُعدّ نقطة تحول مهمة في مصير الدولة العُمانية على الرغم من أنه رسم السياسة التي ينبغي أن يكون

---

(1) Guillain , p , cit , tome 2 , Paris , 1856. PP, 225-226

(٢) – سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ، ترجمة : عبد المجيد القيسي ... ، ص ١٨٤ و ص ١٩٠.

(٣) – رويت ، السيد سعيد بن سلطان ... ، ص ٩٦ – ٩٧ .

(٤) – الفارسي ، البوسعيديون حكام زنجبار ... ، ص ١٨ .

(5) Robert Lyne , Zanzibar in Contemporary Times , London , p . 49.

عليه الحكم بعد وفاته، لكن الحكومة البريطانية استمرت بتدخلاتها في شؤون البلاد وتطويع تلك السياسة بما يتفق مع مصالحها، واتخذت من رغبته في توزيع السلطة بين أبنائه ذريعةً لتقسيم الدولة العُمانية، واستندت في ذلك إلى تلك الرسالة التي بعثها السيد سعيد إلى اللورد أبردين وزير الخارجية البريطانية عام ١٨٤٤م يذكر فيها " عند وفاتنا استقر التنظيم الذي وضعناه لدولتنا على تعيين ابننا السيد خالد حاكماً على ممتلكاتنا في شرقي إفريقية وتعيين ابننا الآخر السيد ثويني حاكماً على جميع ممتلكاتنا في عُمان والخليج العربي"(١).

ولم يقصد السيد سعيد بهذا التنظيم إيجاد فصل بين إقليمي الدولة، وإنما ما كان يتطّلع إليه هو تقسيم السلطة إدارياً بين أبنائه، وأن تكون السلطة العليا على إقليمي الدولة بيد الابن الأكبر بما يتناسب مع قوانين الشريعة الإسلامية، لكن بوفاة السيد خالد في حياة والده في عام ١٨٥٤م تحتم على السيد سعيد أن يعيّن ابناً آخر، ليؤول إليه الحكم في شرق إفريقية(٢)، لكن الفوضى والاضطراب التي شهدتها الدولة العُمانية في أواخر عهده قد شغلته عن ذلك، فلم يصدر أي تصريح رسمي بذلك، لكن الابن الأكبر للسيد خالد يدعى السيد ماجد الذي أصبح من الناحية الفعلية نائباً عن أبيه على حكم زنجبار وملحقاتها في الشرق الإفريقي.

وبعد وفاة السيد سعيد بدأت أزمة الوراثة والصراع على الحكم بمحاولة السيد برغش الذي كان برفقة والده في رحلته الأخيرة من مسقط إلى زنجبار للاستيلاء على السلطة فيها، وإخفاء نبأ وفاته لمدة أسبوع كامل، وفي ذات اليوم الذي توفي فيه والده حاول انتزاع السلطة من يد أخيه ماجد، لكنه فشل في ذلك ربما بسبب تدخل القنصل البريطاني في زنجبار همرتون Hamerton الذي حصل على تأييد القبائل ورؤساء العرب لمبايعة السيد ماجد، حيث أكد أن السيد سعيد قبل وفاته قد أوصاه بأن يخلفه ابنه ماجد في حكم زنجبار حتى لو لم يعلن ذلك رسمياً، والدليل على ذلك أنه كان يكلفه بإدارة شؤون الحكم في زنجبار حين كان ينتقل إلى مسقط. وبوصول السيد ماجد إلى حكم زنجبار تجزأت الدولة العُمانية بينه وبين السيد ثويني في مسقط والسيد تركي في صحار، في الوقت الذي تمكّن فيه السيد ماجد من تعزيز قوته وحصوله على الجانب الأكبر من القوة البحرية، كانت معظم قطع الأسطول العُماني راسية في ميناء زنجبار حيث بادر بالاستيلاء عليها، وتمكن السيد ثويني التخلّص من معظم السفن التي كانت راسية في ميناء مسقط بسبب ما تعرضت له من إهمال وعدم توافر الأموال اللازمة لإصلاحها، فلم يبقَ له سوى سفينة أو اثنتين من السفن الكبيرة(٣).

---

(1) Coupland , op ,cit , p .26

(٢) – رويت ، سعيد بن سلطان ... ، ص ١٠٨ .

(٣) – لاندن ، عُمان منذ عام ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً .... ، ص ٢٤٨ .

وبادر السيد ماجد بالكتابة إلى العديد من رؤساء الدول ذات العلاقة الوثيقة بزنجبار، وذلك للحصول على الدعم في تثبيت حكمه في زنجبار، كما راسل حكومة الهند ولندن، وأهمها تلك المراسلات التي بعث بها إلى الملكة فيكتوريا والإمبراطور نابليون الثالث، والرئيس الأمريكي جيمس بوكنان Buchanan ،واللورد كلارندون Clarendon وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية، واللورد الفنستون Elphinston حاكم بومباي[١]. وحرص في الرسالة التي بعث بها إلى اللورد كاننج Canning الحاكم العام في الهند عام ١٨٥٦م أن يؤكد له أن الهدوء يسود أنحاء البلاد، وتلقى البيعة بالحكم من كبار الزعماء العرب ورؤساء القبائل الإفريقية، كما تضمنت رسائله جميعها إلى رؤساء الدول والدوائر البريطانية نعي والده، وأنه أصبح الحاكم الشرعي في زنجبار، وما يلفت الانتباه وصول تهنئة صريحة للسيد ماجد من الولايات المتحدة الأمريكية بعد وصوله إلى الحكم، على عكس الردود التي تلقاها من الدوائر البريطانية التي اكتفت بتقديم التعازي له بوفاة والده، وترحيبها بعلاقات الصداقة التي تربط السلطنة بالحكومة البريطانية مع إظهار تحفظ واضح عن الاعتراف به حاكماً على زنجبار[٢]،ولعل ذلك يرجع إلى ما كانت تتوقعه تلك الدوائر من حدوث صراع مرتقب بينه وبين السيد ثويني والسيد برغش، وردود الفعل هذه لم تكن جديدة على بريطانيا فهي ذات السياسة التي اتبعتها في علاقتها مع والدهم السيد سعيد، وعلى الرغم من تحفظ الحكومة البريطانية، إلا أنه قدر للسيد ماجد أن يمارس الحكم في زنجبار بعد وفاة والده في عام ١٨٥٦م، ولم تعترف الحكومة البريطانية به من الناحية السياسية سلطاناً على زنجبار إلا على أثر صدور تحكيم اللورد كاننج في عام ١٨٦١م[٣].

وكان السيد ماجد سلطاناً ذكياً استطاع خلال الأربعة عشر عاماً التي حكم فيها زنجبار ١٨٥٦- ١٨٧٠م أن يحصل على محبة رعاياه وعلى توثيق العلاقة مع الإنكليز مثلما كانت في عهد والده السيد سعيد، كما استطاع بأهليته وجدارته أن يتحمل مسؤولية كبيرة لمعالجة المشكلات والصعوبات التي واجهت البلاد عقب وفاة والده، وأكد نشر العدالة، واستعان بعدد لابأس به من كبار العلماء والمستشارين لمساعدته في تنظيم شؤون الدولة، كما أصدر للقضاة منشور الأحكام للعمل

---

[١] – لاندن، عُمان منذ عام ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً ... ، ص ٣٢٧ و الفارسي ، البوسعيديون حكام زنجبار ... ، ص ٢١.

[٢] – جون كيلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥- ١٨٧٠م ... ،ج٢ ، ص ١٢٤ .

[٣] – الفارسي ، البوسعيديون حكام زنجبار.. ، ص ٣٢٨.

بمقتضاه، وكان ينص على : حماية الرقيق المحررين، وتطبيق الشريعة الإسلامية والمساواة والعدالة بين العرب والأفارقة في الحقوق والواجبات وكان هذا المنشور بمنزلة الدستور في يومنا هذا[١].

ثانياً – الأوضاع الداخلية في عُمان بعد وفاة السيد سعيد

١. حكم ثويني بن سعيد بين عامي ١٨٥٦-١٨٦٦م :

استمر الصراع الداخلي في عُمان بعد وفاة السيد سعيد، حينما أعلن ابنه الأكبر السيد ثويني نفسه سلطاناً على مسقط وزنجبار، وله الحق الشرعي في خلافة والده على الدولة العُمانية بشطريها الآسيوي والإفريقي، لكن حكومة بومباي لم تعترف بخلافته، وإنما اكتفت بتقديم التعازي له بعد وفاة والده، ويرجع سبب هذا التحفظ على الاعتراف به حاكماً على مسقط وزنجبار هو اختلال مركزه بعد أن أعلن أخوه السيد ماجد انفراده بالحكم في زنجبار[٢]، وأخوه تركي أعلن استقلاله في إقليم صحار فضلاً عن ثورات الإباضيين ضده في الداخل، وغزوات السعوديين المتكررة على الأقاليم الشمالية من عُمان الذين انتهزوا فرصة انشغال السيد ثويني بالصراع مع أُخوته؛ ليمارسوا ضغوطهم عليه، فضلاً عن الفوضى والاضطراب، وعدم الاستقرار في مسقط، واستغلال الفرس فرصة وفاة السيد سعيد، والخلاف بين أبنائه لاسترجاع الجزر والموانئ الفارسية على ساحل مكران[٣]، ونجاح أخيه السيد ماجد بتحريض السيد تركي في إقليم صحار لكي ينتزعَ الحكم منه وأرسل له المال والسلاح، فكان من الطبيعي حين استلم السيد ثويني الحكم أن يدبّ الخلاف والشقاق بينه وبين أخيه تركي، واستمر الصراع بينهما في سلسلة متواصلة من المعارك إلى أن تمّ توقيع الصلح بينهما عام ١٨٥٨م[٤]، وقد نص شروط الصلح أن يبقى إقليم صحار تحت حكم السيد تركي على أن يستمر بالولاء لأخيه السيد ثويني، ويتلقى راتباً شهرياً منه مقابل ذلك. فما دور السيد برغش وسط هذه الأحداث ؟؟

عندما استغل السيد ماجد أخاه تركي للثورة على ثويني، وجد السيد تركي في أخيه برغش المقيم في زنجبار أداةً له، فأرسل له المال والسلاح للتخلص من ماجد، مستغلاً طموحه في الوصول إلى الحكم في زنجبار، أو في ممباسة، وتلقى السيد برغش المساعدة من قبيلة الحرث وهي أكبر أسرة عربية مقيمة في زنجبار تسيطر على معظم الأراضي الزراعية فيها، وتعتمد على الرقيق في حراثتها،

---

[١] – المغيري ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار .... ، ص ٢٣٦.

[٢] – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٧٢٩ .

[٣] – رويت ، سعيد بن سلطان ... ، ص ١٠٨ .

[٤] – لوريمر ، دليل الخليج ،ج٢ ، ص ٧٣٠ .

وكانت زنجبار وحدها تحتكر ما يقارب ٨٠% من مزارع القرنفل، فأي حرمان من الرقيق في هذه الأراضي سوف يؤدي إلى حدوث أزمة اقتصادية، وهذا السبب الذي جعل زعماء الحرث يساندون السيد برغش ضد أخيه ماجد، لأن استقرار ماجد في حكم زنجبار سوف يحدث أضراراً كبيرة بمصالحهم الاقتصادية ومكانتهم الاجتماعية، رغم أنه أبدى استعداده لمساعدة الحكومة البريطانية في سياستها الخاصة بقمع تجارة الرقيق(١).

ولم تكن أسرة الحرث مخلصة في تحالفها مع كل من السيد ثويني وأخيه برغش، وإنما كانت تعمل على استغلال النزاع القائم بينهما وبين أخيهما ماجد من أجل تحقيق مصالحها الخاصة والحصول على أكبر قدر من الثروة، وحاول بعض زعماء هذه الأسرة الاستقلال في حكم هذه الجزيرة قبل فترة انتقال السيد سعيد إلى زنجبار لكنهم فشلوا في ذلك(٢). وما يدلنا على أطماع هذه الأسرة في زنجبار، أنه بعد وفاة السيد سعيد وقبل أن يعلن السيد ماجد نفسه حاكماً على زنجبار تقدم عبد الله بن سالم زعيم قبيلة الحرث إلى القنصلية البريطانية في زنجبار ليستعلم من همرتون عما سيفعله الإنكليز في وقت لا يوجد فيه حاكم في البلاد، فلم يهتم همرتون لهذا التساؤل، وأكد له أن أية محاولة من جانبه للوصول إلى السلطة سوف تتخلص منها الحكومة البريطانية لا محالة(٣).

ورغم معارضة بريطانيا لزعماء الحرث، ظل هؤلاء ينتظرون الفرصة المناسبة للوصول إلى الحكم، وكانوا مستائين من التنازلات التي قدمها السيد سعيد لبريطانيا لقمع تجارة الرقيق، وكذلك ما ينتظر أن يقدّمه لها السيد ماجد أيضاً. وكخطوة أولى منهم أسندوا قيادتهم إلى السيد برغش وساعدوه في المحاولة الفاشلة التي قام بها للسيطرة على قلاع زنجبار بعد وفاة والده، وهذا ما أدى إلى تضاعف الصراع الدموي بينهم و بين الأُخوة(٤).

٢. الصراع بين الأخوين السيد ثويني والسيد ماجد

استمر الصراع بين السيد ثويني وأخيه السيد ماجد، ولم تقتصر محاولات ثويني على تحريض برغش وزعماء الحرث ضده فحسب إنما سعى إلى نيل التأييد الأجنبي. وسبق أن ذكرنا موقف بريطانيا والتحفظ الذي أبدته عن الاعتراف به سلطاناً على مسقط وزنجبار، فاتجه إلى الفرنسيين

---

(١) – المعمري، عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ٧٦ . و لاندن ، عُمان مسيراً ومصيراً ... ، ص ١٣١.

(٢) – قاسم، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقية ... ، ص ٢٣٩ .

(٣) – لاندن ، عُمان مسيراً ومصيراً ... ، ص ١٣٣ .

(٤) – كيلي ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية... ، ص ٥٣٦ .

الذين كانوا يعارضون السياسة البريطانية؛ مستغلين وفاة السيد سعيد الذي كان سنداً للنفوذ البريطاني، فضلاً عن سوء الأوضاع الداخلية لتوطيد نفوذهم في شرقي إفريقية[١]، لذلك بدأت مراسلات السيد ثويني إلى الإمبراطور نابليون الثالث ،" لقد مضى وقت طويل من دون أن نرى سفنكم في موانئنا ونود أن نراها تتردد علينا وخاصة بعد أن ينتهي العمل في شق قناة السويس حتى تتوطد أواصر الصداقة فيما بيننا ".

كما دارت الاتصالات بين الفرنسيين والسيد برغش في زنجبار، ولاشك في أنها بدأت قبل وفاة السيد سعيد، وكان السيد برغش يمهد من خلال هذا التواصل إلى السيطرة على الحكم بعد وفاة والده. وتؤكد بعض المصادر على العلاقات الوثيقة بين الفرنسيين والسيد برغش ، فأكد ألفرد رابو Rabaud أنه تقابل في أثناء رحلته إلى زنجبار ١٨٥٤ – ١٨٥٥م مع السيد برغش بن سعيد واتفق معه على بعض الأمور المهمة[٢]، لكنه لم يوضّح هذه الأمور، وكل ما أشار إليه وجود صلة وثيقة بين الفرنسيين والسيد بُرغش، والدليل على ذلك غرفة التجارة في مرسيليا التي تشرف على إدارة العلاقات التجارية والاقتصادية بين فرنسا وزنجبار، ومن المحتمل أن السيد برغش قد اتفق مع رابو على أن تقف فرنسا إلى جانبه وتسانده في الوصول إلى الحكم مقابل تقديم الامتيازات التجارية للفرنسيين ومنحهم أكثر مما قرّرته لهم المعاهدة التي عقدت بينهم وبين السيد سعيد في عام ١٨٤٤م والتنازل لهم عن ميناء ممباسة في شرقي إفريقية[٣].

وبعد وفاة السيد سعيد شعر السيد برغش بعدم استقرار الأوضاع في زنجبار، فأجرى اتصالات أخرى مع القنصل الفرنسي في زنجبار Coshet وطلب مساندته للتخلص من أخيه السيد ماجد، وفي إحدى الرسائل وضّح له قائلاً: " إن أخي ماجد سيُسلّم البلاد للإنكليز وقد صرّح بذلك علانية، أمّا نحن فلن نسلّم بلادنا لا للإنكليز ولا للأمريكيين أو غيرهم، وإن كان لا مفرّ من بيعها، فإننا سنبيعها بدمائنا وأرواحنا"![٤] وهذه الرسالة تثير الانتباه! لأن السيد برغش أصبح أداة طيّعة بيد الإنكليز، وتوثقت العلاقات فيما بينهم، وساندوه في تسلّم الحكم بعد وفاة أخيه ماجد في عام ١٨٧٠م ، لكن الحكومة البريطانية اتخذت قراراً صارماً تجاه السيد برغش عندما علِمَت بالاتصالات السريّة التي كانت تدور بينه وبين الفرنسيين حيث كانت تسير الأمور بشكل طبيعي بينه وبين أخيه ماجد الذي

---

(١) – العقاد ، و قاسم ، زنجبار ، القاهرة ١٩٥٩م ، ص ١٢٠ – ١٢١ .

(٢) – رابو ألفرد ، زنجبار والساحل الشرقي لإفريقيا ، مرسيليا ، ١٨٨١ ، ص ٢ .

(3) Coupland , op , cit , p , 20.

أيضاً : قاسم ، دولة بو سعيد في عُمان وشرقي إفريقيا... ، ص ٢٤٠

(4) Rabaud , op , cit ., p . 2.

كان يتقاضى منه راتباً شهرياً. واكتفت فرنسا بتقديم المسوّغات على تدخل الإنكليز في النزاع القائم بين الأخوة المتنافسين على الحكم، ولم تَقُم بأي دور إيجابي حين احتدم النزاع فيما بينهم سوى أن القنصل الفرنسي كوشيه حذّر السيد ماجد بأن برغش في حماية الفرنسيين، ويجب ألاّ يعتمد على حماية الإنكليز له فليس لهم الحق في التدخل في الصراع الداخلي بين الأخوة[١].

وهنا ظهر الفارق الكبير في موقف كل من فرنسا والحكومة البريطانية التي أعلنت تأييدها الصريح للسيد ماجد وتدخلت في النزاع القائم بينه وبين أخويه السيد ثويني في مسقط والسيد برغش في زنجبار، أما فرنسا فقد كان موقفها متخاذلاً، وأفسحت المجال أمام التدخل البريطاني في مسقط وزنجبار وتنفيذ السياسة الاستعمارية.

٣. رفض السيد ثويني انفصال عُمان عن زنجبار وتسوية عام ١٨٥٧م

لم يكن السيد ثويني مقتنعاً بحكم الشطر الآسيوي الذي آل إليه بعد وفاة والده السيد سعيد، حيث كان يرغب في الحفاظ على وحدة السلطنة بشطريها الآسيوي والإفريقي، وكانت المسوّغات كافة التي يستطيع من خلالها منازعة أخيه ماجد في حكمه زنجبار، منها :

١- كان السيد ثويني أكبر أبناء السيد سعيد الباقين على قيد الحياة.
٢- يحكم بقبضته على أقاليم الوطن الأم في عُمان.
٣- يتميز بالأدب والأخلاق الحميدة وحظي بمُبايعة القبائل المجاورة له .
٤- سعيه جاهداً للقضاء على فكرة تقسيم الدولة العُمانية[٢] .

وأدرك السيد ثويني مثلما أدرك والده السيد سعيد من قبله أنّ السيطرة على أقاليم الشرق الإفريقي بحاجة إلى القوة والثراء، حيث كان من أهم النتائج التي أدت إليها السياسة الاقتصادية للسيد سعيد هي تزايد الدخل السنوي لزنجبار زيادة كبيرة على الدخل السنوي في مسقط، وكان السيد ثويني يرى أن السيد سعيد حين عهد إليه بحكم مسقط في أثناء تواجده في زنجبار، وعهد لأخيه ماجد بحكم زنجبار أثناء فترة تغيبه في مسقط، لم يكن هدفه من ذلك تقسيم الدولة، فليس من عادات العرب وتقاليدهم أن يكون للحاكم الشهرة، ومطلق التصرف في تقسيم مملكته[٣]. وبدأت محاولات السيد ثويني لوضع حدٍّ للخلاف مع أخيه السيد ماجد، فقام بعقد تسوية معه في عام ١٨٥٧م، نصت على

---

(1) Coupland , op , cit , p . 21.

أيضاً: لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ،٤ أجزاء ، ج ٢ ، ص ٧٣٢ .

(٢) –العقاد و قاسم ، زنجبار ... ، ص ١١٩ .

(3) Coupland , op , cit , p , 15.

أن يعترف به حاكماً على الممتلكات الإفريقية بشرط أن يدفع له أربعين ألف ريال سنوياً لتعويضه عن فقر الممتلكات الآسيوية التي آلت إليه[1]. وكانت تلك التسوية نتيجة للوفادة التي أرسلها السيد ثويني إلى زنجبار، وكانت تتكون من أخيه محمد بن سعيد وابن عمّه السيد محمد بن سالم، وكان الهدف منها تسوية مسألة الخلافة، وبحضور الكولونيل همرتون القنصل البريطاني في زنجبار والقنصلين الأمريكي والفرنسي تعهّد السيد ماجد أن يلتزم بدفع المعونة السنوية لمسقط بشرط أن يثبت السيد ثويني على شرطين أساسيين:

١- أن يعترف به حاكماً على زنجبار.

٢- ألاّ يتعرض لأخيه السيد تركي الذي استقلّ بحكم صحار ولا يعتدي عليه. فاضطر السيد ثويني على القبول بشروط التسوية لسببين :

١- حاجته الماسة إلى الأموال التي كان يدفعها إيجاراً للحكومة الفارسية مقابل إدارته لموانئ الساحل الشرقي للخليج وجزره .

٢- التزامه بدفع الزكاة السنوية للسعوديين التي كانت تصل إلى عشرين ألف ريال سنوياً[2].

لكن هذه التسوية لم تستمر طويلاً بسبب عودة النزاع والتوتر بينهما واختلاف وجهات النظر حول طبيعة المساعدة السنوية التي تمّ الاتفاق عليها ضمن شروط التسوية ، والسؤال المطروح هنا ! هل كانت المساعدة السنوية تعني تبعية زنجبار لمسقط؟ أم هي عبارة عن مساعدة شخصية من أخ لأخيه لإعادة إحياء ممتلكاته ؟ فتوقف السيد ماجد عن دفعها وذلك بسبب إصرار السيد ثويني على الأمر الأول؛ وهو تبعية زنجبار لمسقط وإعلان وحدتهما، ومما ساعد السيد ماجد على ذلك هو انشغال ثويني بتوطيد حكمه في عُمان، ومواجهة الصراع الذي نشب بينه وبين أخيه تركي في صحار، وما كاد السيد ثويني أن يفرغ من مشكلاته الداخلية حتى بادر بمراسلة المبعوث البريطاني في الخليج الكولونيل فيلكس Felix في عام ١٨٥٨م ليوضّح له أنه هو الخليفة الشرعي لأبيه، وينفي ادعاءات السيد ماجد بأن والده قد أوصى قبل وفاته بتقسيم الدولة بينهما، فقرر السيد ثويني حسم

---

(١) – المعمري، عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ٨٩ .

(٢) – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج٢ ، ص ٧٣٠ .

الصراع بينه وبين أخيه السيد ماجد باستخدام القوة العسكرية بعد عدم تلقيه الرد على مراسلته للحكومة البريطانية[١].

٤. حملة عام ١٨٥٩م ووصول السيد ثويني إلى زنجبار

في بداية تشرين الثاني عام ١٨٥٨م أخذ السيد ثويني يجهّز حملة عسكرية ضد أخيه ماجد في زنجبار، بذريعة عدم التزامه دفع الجزية السنوية المتفق عليها، وأعلن نفسه الحاكم الشرعي للدولة العُمانية بشقيها الآسيوي والإفريقي، كما استطاع الحصول على إمدادات عسكرية من زعماء القبائل العُمانية بعد توزيع الأموال عليهم، حتى بلغت القوة العسكرية التي كانت تحت إمرته حوالي ٢٥٠٠ مقاتل، كما قرّر أن يتولى بنفسه قيادة الحملة التي كانت تحوي مجموعة من السفن الكبيرة، ومن بينها سفينة كارولين والرحماني والكورفيت[٢]. وحينما علِم اللورد الفنستون حاكم بومباي بأنباء تلك الحملة، بادر باتخاذ إجراءات عديدة لمنع السيد ثويني من تحقيق أهدافه، فدارت اتصالات بينه وبين اللورد كاننج نائب الملك في الهند، وتمّ الاتفاق بينهما على الوقوف ضد تلك الحملة، وذلك لأن الصراع المنتظر حدوثه بين ثويني وماجد هو صراع بين الرجعية التي يمثلها ثويني، والتقدم الذي يمثله ماجد الذي أعلن وفاءه والتزامه تجاه الإنكليز في إلغاء تجارة الرقيق، بعكس ثويني الذي كان يطلب مساعدة فرنسا له .

وفي عام ١٨٥٩م بدأت مراسلات الفنستون إلى السيد ثويني حيث أرسل الكولونيل (Russell) على السفينة الحربية بنجاب حاملاً رسالة إلى السيد ثويني يطلب منه إلغاء الحملة، وإيجاد حلٍّ للخلاف بينه وبين أخيه ماجد بمساعدة اللورد كاننج نائب الملك في الهند الذي كان قراره المسمى **بقرار كاننج** يعلن فيه تأييده للسيد ماجد، وتثبيته سلطاناً على زنجبار وملحقاتها، وتبقى عُمان تحت إمرة السيد ثويني[٣].

وغادر السيد ثويني مسقط متجهاً إلى زنجبار قبل وصول الكولونيل "رسل " الذي سارع بتتبع الحملة حتى التقى الطرفان في عرض البحر عند رأس الحد بالقرب من ميناء صور وسلمه رسالة الفنستون التي تضمنت :

---

[١] – قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا .... ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ . أيضاً: لوريمر، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٧٣١ .

[٢] – كيلي ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية...، ص ٥٣٥ .

[٣] – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي، ج٢ ، ص ٣٣٢ . وايضاً: قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقية .... ، ص ٣٤٣ .

١- أن يتراجع السيد ثويني عن القيام بتلك الحملة.

٢- رغبة الحكومة البريطانية إحلال الصلح والوئام بين أبناء السيد سعيد الذي كان صديقاً مخلصاً لها، وإنه من المؤلم لبريطانيا أن ترى أخاً يشن حرباً على أخيه؛ لأن أية حرب ستقوم بين الأخوين سيهدد المصالح البريطانية في الطريق البحري الذي يصل إلى ممتلكاتها في الهند.

٣- أكدت بريطانيا للسيد ثويني أنه إذا كان على حق، عليه أن يحسم النزاع بينه وبين أخيه على حكومة الهند، وأن يثق ثقة تامة في عدالتها. كما تضمنت تلك الرسالة تحذيراً للسيد ثويني بأن الحكومة البريطانية سوف تقوم باتخاذ إجراءات حاسمة ضد الحملة إن لم يأخذ بنصائحها.

وبعد ذلك وافق السيد ثويني على الأخذ بتلك التعليمات التي أرسلتها حكومة بومباي؛ خاصةً بعد أن انتهز أخوه تركي فرصة خروجه من مسقط إلى زنجبار، لكي يستعد لتدبير هجوم واسع يدخل من خلاله إلى مسقط؛ لذلك أبلغ السيد ثويني الكولونيل رسلٌ بأنه قرّر إيقاف الحملة والعودة إلى مسقط[1]. وراسل ثويني المقيم البريطاني في الخليج، وعبّر له عن اعتذاره للحكومة البريطانية، ورغبته في كسب صداقتها، وبعث برسالة أخرى إلى اللورد الفنستون، وسلّمها إلى الكولونيل رسل في عام ١٨٥٩م سوّغ من خلالها أن أسباب قيامه بتلك الحملة هي لإزالة الخلاف بينه وبين أخيه ماجد بلقاء شخصي بينهما، ولم تكن الحملة إلى زنجبار إلا كوسيلة للضغط على السيد ماجد لحل النزاع القائم بينهما، كما حرص في رسالته إلى الفنستون أن يوضّح فيها وجهة نظره في تسوية ذلك النزاع، وهي :

١- أن يكون هناك سلطة واحدة على الدولة العُمانية ومنع تقسيمها أو تجزئتها.

٢- أن تستمر زنجبار تابعة لمسقط كما كانت في عهد والده السيد سعيد.

٣- الاعتراف بالسيد ماجد حاكماً على زنجبار مقابل التزامه بدفع الأموال التي سبق الاتفاق عليها في تسوية ١٨٥٧م.

٤- في حال تعرض عُمان لأخطار داخلية أو خارجية يلتزم السيد ماجد بتقديم المساعدات اللازمة.

---

[1] Kelly , op , cit , p , 535.

٥- طالب ثويني أن يدفع ماجد تعويضاً عن النفقات التي تكبّدها نتيجة قيامه بإعداد تلك الحملة[١] .

٦- كما تضمنت الرسالة بعض المشكلات الخاصة التي كانت سبباً للنزاع بين الأخوة، حيث اتهم ثويني أخاه ماجد بمد يده إلى أموال أخوته الصغار أو القُصّر، وطالب بوضع تلك الأموال في حوزة من يثق بهم[٢].

٥. موقف بريطانيا وفرنسا من الصراع بين الأخوة

حاولت الحكومة البريطانية تهدئة الأوضاع المتأزمة بين مسقط وزنجبار، إلا أن الاضطرابات الداخلية ضلّت تهدّد بالانفجار، وكان لها أثرٌ واضحٌ في تدهور الأنشطة التجارية والملاحية بين شطري الدولة[٣]، وبعد أن وصل الخبر إلى زنجبار بأن السيد ثويني يجهّز أسطولاً قوياً للإغارة على زنجبار، أدى إلى حدوث فوضى في الداخل وتوقف البيع والشراء ،فأسرع ماجد بتجهيز ثلاث بوارج حربية كبيرة لمواجهة أسطول ثويني، ومن بينها سفينة شاه علم، وبقيت الأوضاع مضطربة داخل زنجبار، ولم يطمئن العرب والأفارقة إلا بوصول بارجتين حربيتين من بوارج الأسطول البريطاني هما كلايف وبريمن[٤]. ولم يكن هدف هاتين السفينتين مواجهة أسطول مسقط فحسب، إنما كان الهدف منها هو الوقوف ضد محاولة فرنسا استغلال النزاع بين السيد ثويني والسيد ماجد لتوسيع نفوذها، كما استغلت الاضطرابات القائمة في زنجبار، وأرسلت سفينتين حربيتين؛ استجابة لطلب القنصل الفرنسي في زنجبار ومنها سفينة " كوردلييه " بقيادة القبطان دي لانجل.

وكانت فرنسا تدرك جيداً ما تهدف إليه الحكومة البريطانية من وراء تقسيم الدولة العُمانية، وحاولت أن تسبقها في التوسط في النزاع القائم بين الأخوة، ووضع حدٍّ للنفوذ البريطاني في

---

(1) Kelly , op , cit , p , 538.

و قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ٢٤٥.

(٢) – سلطان بن محمد القاسمي ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ١٨٥٦– ١٨٦٢م ، ط١ ، دُبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٨٩م ، ص ٩٤ .

(٣) – قاسم ، أثر الاستعمار الأوروبي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرقي إفريقيا ، من أعمال ندوة دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، الدوحة ، ١٩٧٦م ، ص ٧٨

(٤) – المغيري ، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ... ، ص٢٩٧ – ٢٩٨ .

زنجبار[1]. وبدأت الضغوط الفرنسية على السيد ماجد لإقناعه بالاتفاق مع السيد برغش الذي أعلن الثورة عليه بتحريض من أخوه الأكبر ثويني وزعماء الحرث، لذلك قرّر ماجد الاستعانة بالقنصل البريطاني الكولونيل رجبي Rigby الذي خلف همرتون في القنصلية البريطانية في زنجبار، حيث وجد رجبي في وصول البوارج البريطانية إلى زنجبار دعماً له في التصدي للفرنسيين، والوقوف بصلابة ضد حركة السيد برغش الذي هدف إلى انتزاع الحكم من أخيه ماجد. ولم يلبث أن تصاعد الخلاف بين برغش وماجد بعد تدبير مؤامرة من الأول لاغتيال الأخير، ولما فشلت تلك المحاولة حصل برغش على الحماية من القنصل الفرنسي " كوشيه" وتحصّن في إحدى مزارع زنجبار، لكن السيد ماجد استطاع بمساعدة الكولونيل البريطاني رجبي بمحاصرته وإلقاء القبض عليه، وقرّر نفيه خارج البلاد، وكان ذلك ضربة عنيفة للنفوذ الفرنسي في زنجبار. وفي صدد تلك الأحداث أرسل القنصل البريطاني إلى بُرغش، وأعلمه بأن أخاه مستعداً للصفح عنه إذا تعهد بما يأتي :

١- يتعهد برغش بالرحيل من زنجبار .
٢- يتعهد بألا يتآمر ولا يحدث ثورة أو فتنة ضد أخيه .
٣- أن يجعل نفسه دائماً تحت طاعة الحكومة البريطانية ومراقبتها [2].

ووافق بُرغش على هذا التعهد الذي شهد عليه القنصل البريطاني والضباط الإنكليز والرؤساء العرب، وأصرّ عليه الكولونيل رجبي بأن يُقسم أنه سيفي بما تعهّد به، وأن يتخلّى عن ارتباطه بزعماء الحرث والفرنسيين. فخرج برغش من زنجبار متوجهاً إلى مسقط ومن ثم إلى بومباي في عام ١٨٦٠م، حيث منحه الإنكليز مسكناً ومعاشاً سنوياً يقدّر بـ ألفي روبية، واستقر هناك حوالي عام ونصف العام حتى صفح عنه أخوه ماجد، وسمح له بالعودة إلى زنجبار في منتصف عام ١٨٦١م، وذلك بعد توسط حكومة بومباي له وتأكدها من مسلكه الحميد[3]. فما موقف زعماء **الحرث** من تلك الأحداث ؟؟

استطاع السيد ماجد بمساعدة بريطانيا السيطرة على زعماء الحرث، ولم يقف السيد ثويني إلى جانبهم بعد أن تأكد له أنهم كانوا يعملون لمصلحتهم الخاصة، ليس رغبة منهم في مساعدته ضد أخيه، كما تعهّد زعماء الحرث بالخضوع والطاعة للسيد ماجد الذي أصدر عفواً عاماً عن غالبيتهم

---

(1) Sultan Bin Muhammad Al Quasimi , Omani French Relation 1715- 1900 , Translated from Arabic , Forest Row , 1996 ,p ,100.

(٢) – المغيري ، جهينة الأخبار ... ، ص ٢٩٤

(٣) – المغيري ، جهينة الأخبار ... ، ص ٢٩٥ .

باستثناء بعض شيوخهم الذين أثاروا الفتن، منهم الشيخ صالح بن علي الحارثي. وهكذا استطاعت الحكومة البريطانية تخليص السيد ماجد من الأخطار الداخلية، حيث كان من الممكن أن يزول حكمه لولا مساندتها له، وقد تمّ الاتفاق بين الكولونيل رجبي والقنصل الفرنسي على عدم التدخل في المنازعات بين أفراد الأسرة الحاكمة ذلك منعاً لتأزّم الموقف بين الفرنسيين والإنكليز، كما تمّ الاتفاق على حلّ الخلافات القائمة وفق تحكيم حكومة الهند، فوافقت فرنسا على ذلك الاقتراح ، وكذلك السيد ثويني في مسقط والسيد ماجد في زنجبار(١).

٦. موقف السيد ثويني من قرار التحكيم (تقسيم عُمان)

سعت **حكومة الهند** من وراء قانون التحكيم إلى تقسيم عُمان، ومن ثم إتاحة الفرصة لسيطرتها على شطري الدولة الآسيوي والإفريقي، وأدركت أن مساندتها للسيد ماجد في أن يكون حاكماً على زنجبار سيدعم نفوذها في الشرق الإفريقي وتستطيع السيطرة على مسقط من جهة، بكونها واقعة في منطقة نفوذها على الخليج العربي ، وزنجبار من جهة أخرى لكي يعود إليها الفضل في حمايتها وتحقيق استقلالها.

أما الحكومة البريطانية فقد هدفت من وراء التحكيم إلى تسوية النزاع بين مسقط وزنجبار لإدراكها أن بقاء النزاع سيؤدي إلى إلحاق الضرر بمصالحها على طريق الهند، ورغبةً منها في التصدي للنفوذ الفرنسي المتزايد في شرقي إفريقية، كما أن انفصال زنجبار عن مسقط سوف يهيئ لها السبيل في القضاء على تجارة الرقيق، لأن بقاء زنجبار تابعة لمسقط يعني الاستمرار في تجارة الرقيق(٢). فنجد أن هذه الأهداف التي سعت إليها الحكومة البريطانية بشأن التحكيم كانت تتفق مع تحقيق مصالحها الخاصة، وهي توسيع نفوذها في المنطقة.

كما رأت حكومة الهند أنه من الضروري تعهّد السيد ثويني بقبوله قرار التحكيم وابتعاده عن استخدام القوة ضد أخيه، وأن يكون للحكومة البريطانية الحق في فرض قرارات التحكيم بالوسيلة التي تراها مناسبة. وفي عام ١٨٦٠م بدأت المراسلات بين اللورد الفنستون والسيد ثويني في مسقط بواسطة الكوماندرو كروتندن Cruttenden للحصول منه على تعهد خطي بقبول قرارات التحكيم وتعهده الالتزام بتنفيذها، وكان السيد ثويني يدرك جيداً إصرار حكومة الهند على تنفيذ القرار وتحيّزها لأخيه ماجد، وأبدى عدم ارتياحه لما تهدف إليه الحكومة البريطانية من فصل زنجبار عن مسقط، وتردد في تقديم التعهد الخطي بقبول التحكيم؛ لأنه كان يتوقع النتيجة سوف تكون لصالح أخيه ،لكنه

---

(١) – لاندن ، عُمان مسيراً ومصيراً ...، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(2) C. E . B . Russel , General Rigby ,Zanzibar and The Slave Trade , London , 1936 , pp ,110 112.

أدرك في الوقت نفسه أن رفضه سوف يثير عليه غضب الحكومة البريطانية، لذلك لم يجد أمامه سوى التعهّد لكروتندن بقبول التحكيم(١).

وبعد أن حصل كروتندن على موافقته لم يعد في حاجة للذهاب إلى زنجبار للحصول على تعهّد خطّي مماثل من السيد ماجد، وهذا يؤكد أن قرارات التحكيم سوف تصدر لصالحه(٢). واستناداً إلى موافقة ثويني على إحالة النزاع بينه وبين أخيه ماجد إلى التحكيم، أصدرت حكومة الهند قراراً بتشكيل لجنة لتقصّي الحقائق في النزاع القائم بينهما، وكانت هذه اللجنة بقيادة كوجلان Coghlan ومن أبرز أعضائها الدكتور برسي بادجر Percy Badger *الذي عرف باهتمامه البالغ بتاريخ عُمان. ومن الواضح أن هدف لجنة التحكيم هو البحث عن المسوّغات التي تساعدها في تحقيق هدفها وتقسيم الدولة العُمانية حيث جعلت هدفها الظاهري هو التعرف إلى أسباب النزاع بين الأخوين، وبالتالي التعرف إلى وجهة نظر كل منهما في الخلاف القائم بينهما. والدليل على ذلك التعليمات التي تلقاها كوجلان من اللورد الفنستون حاكم بومباي التي تنص على ضرورة إيجاد حل للنزاع بما يرضي الطرفين المتنازعين مع الحفاظ على المصالح البريطانية في عُمان وشرقي إفريقية. والجدير بالذكر أن هذه اللجنة قد أدت دوراً لابأس به فجمعت الوثائق والمعلومات المتعلقة بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل من مسقط وزنجبار، كما اهتمت بالتعرّف إلى عادات العرب في الوراثة وانتقال السلطة، والتأييد الشعبي الكبير الذي يحظى به كل من السيد ثويني والسيد ماجد(٣).

وفي عام ١٨٦٠م بدأت اللجنة أعمالها بزيارة كوجلان إلى مسقط قبل أن يتوجه إلى زنجبار، فأمضى أياماً عدّة في محادثات مع السيد ثويني، اقتنع في نهايتها بذرائعه ومسوّغاته فهو الأكبر سناً وصاحب الحق الشرعي في خلافة أبيه ، كما أنه كان معيناً من قبل والده نائباً عنه في مسقط،

---

(١) – القاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ١٨٥٦ – ١٨٦٢م ... ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(2) Kelly , op , cit , p , 541

* – بادجر : ورد في بعض المصادر أنه خلال فترة وجوده في مسقط لممارسة مهام اللجنة، تمكن من الحصول على هدية من السيد ثويني وهي مخطوطة كان قد وضعها المؤرخ العُماني حميد بن رزيق بعنوان " الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين" وبدأ بتحقيقها ونشرها بترجمتها الإنكليزية في عام ١٨٧٢م بعد أن أضاف إليها مقدمة تحدث فيها عن تطور الأحداث في عُمان حتى عام ١٨٧٠م، كما لم يتم تحقيق هذه المخطوطة باللغة العربية ونشرها، إلا بعد تأسيس وزارة التراث القومي والثقافة في بداية السبعينيات أي بعد مرور أكثر من مئة عام على نشرها باللغة الانكليزية. ابن رزيق ، الفتح المبين ... ، ص ١٥

(3) Kelly , op , cit, pp , 542 – 543.

المركز الديني والتاريخي للدولة العُمانية. وأكد ثويني أن والده لم يكن يهدف إلى تقسيم الدولة العُمانية حين وزّع السلطة بين أبنائه، إنما ذلك إجراءٌ تنظيميٌّ لتخفيف أعباء الحكم[1].

وحين أثار كوجلان وصية السيد سعيد والرسالة التي بعثها إلى وزير الخارجية البريطانية اللورد أبردين في عام ١٨٤٤م حيث عدّها من الأدلة القاطعة على الرغبة التي أبداها السيد سعيد في اقتسام الدولة، فأجاب ثويني أن هذه الوصية لم تتطرق للممتلكات العامة، باستثناء التوصية بنقل بعض السفن كسفينة كارولين، وفيض علم إلى بيت مال المسلمين، وبالتالي إن تلك الوصية أكدت وجود بيت مال المسلمين في مسقط[2]. أما فيما يتعلق بالخطاب الذي أرسله السيد سعيد إلى اللورد أبردين فقد فسّره السيد ثويني لصالحه، فتعيين أحد أبنائه ليكون حاكماً على الممتلكات الإفريقية للسلطنة وتعيين ابنه الآخر على الممتلكات العربية لا يعني استقلالية الممتلكات الإفريقية، إنما كان القصد من ذلك التنظيم وتخفيف أعباء الحكم مع بقاء السلطة العليا في الدولة بيد ابنه الأكبر.

وبعد أن أنهت اللجنة مباحثها في مسقط انتقلت إلى زنجبار؛ لكي تبدأ المرحلة الثانية، وبدأت محادثاتها مع السيد ماجد والكولونيل رجبي حول النزاع القائم بين مسقط وزنجبار. واستند السيد ماجد في مباحثاته مع أعضاء اللجنة إلى رسالة والده السيد سعيد إلى اللورد أبردين، مؤكداً أنه بعد وفاة أخيه خالد الذي عيّنه السيد سعيد حاكماً على زنجبار أصبح هو بدلاً منه، وعلى الرغم أن السيد سعيد لم يصدر مرسوماً بذلك، إلا أنه ظلّ من الناحية الفعلية نائباً عن أبيه في حكم زنجبار، وبعد وفاة والده تمّت مبايعته من قبل أفراد الأسرة الحاكمة المقيمين في زنجبار وحصل على تأييد زعماء القبائل المجاورة وأعيان العرب، وتلقّى التهاني من الملكة فيكتوريا وإمبراطور فرنسا ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية ووزير خارجية بريطانيا، كما اعترف السيد ثويني به حاكماً على زنجبار بموجب الاتفاق الذي أبرم بينهما في عام ١٨٥٧م . وحينما بدأت مباحثات اللجنة مع الكولونيل رجبي، أكد الذرائع التي أبرمها السيد ماجد، وأضاف إلى ذلك أن هناك رسالة وصلت من السيد سعيد إلى سلفه الكولونيل همرتون في حكومة الهند كونه وثيقَ الصلة بالسيد سعيد أكد فيها نواياه في تقسيم دولته، كما نصت هذه الرسالة على رغبة السيد سعيد في أن يتولى ابنه ثويني الحكم في مسقط بشرط أن يعيّن بعض أخوته حكاماً للأقاليم العُمانية، وأن يتولى الحكم في زنجبار السيد ماجد على

---

[1] – العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي .... ، ص ١٣٢.

[2] – القاسمي، تقسيم الامبراطورية العُمانية ١٨٥٦– ١٨٦٢م ... ،ص ١٩٤ .

أن يعيّن بعض أخوته حكاماً على الأقاليم الإفريقية. كما أكد رجبي على التأييد الشعبي للسيد ماجد وحبّ الرعية له وصلاحيته ومقدرته على تحمّل أعباء الحكم(١).

فوضعت لجنة التحكيم بعض **المسوّغات لتقسيم الدولة العُمانية**، ومن بين تلك المسوّغات

١- أن مستقبل مسقط وزنجبار وازدهارهما يتوقف على انفصالهما، والمحافظة على الأمن والاستقرار في كل من البلدين، إذ إنّ السيد سعيد رغم قوته وهيبته لم يستطع أن يجنب شطري الدولة من الثورات الداخلية سواء في عُمان أو في زنجبار في أثناء مغادرته من أحدهما إلى الأخرى.

٢- إن المستوطنات العربية في شرقي إفريقية كانت قبل عهد السيد سعيد موطناً للرقيق، أما الآن فقد أصبحت مدناً كبيرة تفوق أهميتها الاقتصادية المدن العُمانية ذاتها ، فإنه يحقّ للمستوطنين العرب في شرقي إفريقية وزنجبار الاستقلال عن عُمان. وهذا الاستقلال سيؤدي إلى نشر الحضارة داخل القارة الإفريقية وأواسطها، ويسهل مكافحة تجارة الرقيق وخاصة بعد أن أبدى السيد ماجد تعاونه مع بريطانيا لإلغائها، فإن بقاء زنجبار تابعة لعُمان سيؤدي إلى تعقيد الموقف، لأن عرب عُمان كانوا لا يخضعون للمعاهدات الخاصة بحظر تجارة الرقيق.

٣- ومن مسوّغات التقرير في فصل مسقط عن زنجبار ، الاعتراف الدولي الذي حصل عليه السيد ماجد من الدول الكبرى بما في ذلك فرنسا على الرغم من مساندتها للسيد ثويني(٢).

وبعد أن وضعت اللجنة المسوّغات الخاصة بتقسيم الدولة العُمانية اختتمت تقريرها **بالتوصيات** الآتية:

١- الاعتراف بالسيد ماجد حاكماً مستقلاً على زنجبار وتوابعها في الشرق الإفريقي، وعدم السماح لحكومة مسقط أو زعماء القبائل في عُمان بالتدخل في شؤون الحكم في زنجبار.

٢- أن يلتزم السيد ماجد بدفع معونة سنوية إلى السيد ثويني مقدارها أربعون ألف ريال نمساوي كتعويض عن تنازله عن ادعاءاته في زنجبار، كما يلتزم بدفع المتأخرات عن هذه المعونة التي توقفت منذ عام ١٨٥٩م وقُدّرت تلك المتأخرات بثمانين ألف ريال .

٣- تُعدّ المعونة التي تُدفع من زنجبار إلى مسقط التزاماً مستمراً لا يجوز قطعها إلاّ في حالة اعتداء حاكم مسقط على حاكم زنجبار، وإذا حدث ذلك أو امتنع حاكم زنجبار عن دفع

---

(١) – لوريمر ، دليل الخليج ، ج٢ ، ص ٧٣٢ . و القاسمي ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ... ، ص ١٩٥

(2) Kelly , op , cit , p , 549.

المعونة المقرّرة لمسقط، يتوجب على الطرفين عرض النزاع بينهما على حكومة الهند قبل التفكير بأي عمل عسكري.

٤- عقد اتفاقيات خاصة بقمع تجارة الرقيق مع كل من مسقط وزنجبار وتنظيم العلاقات التجارية والاقتصادية بينهما .

٥- تقديم الدعم للسيد ماجد لحظر تجارة الرقيق .

٦- تعيين معتمد سياسي في مسقط، فبعد أن انتقل الكولونيل همرتون بصحبة السيد سعيد إلى زنجبار في عام ١٨٤٠م أصبحت مسقط بين أيدي وكلاء محليين، ويُعدّ ذلك تأكيداً على قرار الفصل .

٧- السماح للسيد برغش بن سعيد المقيم حالياً في بومباي بالعودة إلى زنجبار بعد أن استتب الأمن بين زنجبار ومسقط [١].

فقد حمل كل من بادجر ورجبي رسالة من اللورد كاننج إلى كل من ثويني وماجد. وأكد اللورد كاننج في رسالته أن هذه الشروط عادلة، وليس فيها ما يخلّ بالشرف لأي منهما. ووافق كل من ثويني وماجد على قرارات التحكيم رغم أن السيد ثويني أبدى استياءه الشديد، لما توصل إليه من قرارات أدّت إلى انفصال زنجبار عن مسقط. ومع أن السيد ماجد استطاع تحقيق هدفه بانفصال زنجبار واستقلاله بحكمها، إلا أنه لم يُبدِ ارتياحاً لما أُتخِذ من قرارات خاصة بدفع الأموال المتأخرة لمسقط، وعدم القدرة على دفع مبلغ ثمانين ألف ريال لسد الأموال المتأخرة عن سنتين كاملتين. وأكد بعض الباحثين أن هذا تحكيم اللورد كاننج يُعدّ مخالفة صريحة لقواعد القانون الدولي لأن موافقة ثويني وماجد على قرارات التحكيم لم تحدث في وقت واحد فكانت موافقة ثويني في مايو ١٨٦١م وموافقة ماجد في مايو من العام نفسه[٢]، ولم يصادق اللورد كاننج على القرارات التي اتخذت بناءً على تحكيم فعلي، وإنما كان هذا هو رأيه في تقسيم الدولة العُمانية قبل ظهور إجراءات التحكيم[٣]. ورغم تلك الانتقادات لقرار التحكيم، اكتسب الصفة الدولية بعد مصادقة فرنسا عليه.

ما موقف فرنسا وبريطانيا من قرار التحكيم ؟؟

الإجابة عن هذا السؤال تتمّ من خلال التعرّف إلى أطماع كل منهما، وخاصة فرنسا التي لم تعارض قرار التحكيم، وما تضمّنه من قرارات حدّدت الوضع السياسي لكل من مسقط وزنجبار،

---

[١] – القاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ... ، ص ٢٩٢ .

[2] Kajar , op , cit , p , 124.

[٣] – القاسمي ، سلطان بن محمد ، تقسيم الامبراطورية العُمانية ... ، ص ١٠٠ .

خشيةً منها على ما يمكن أن تستحوذ عليه بريطانيا من نفوذ ودعم، نتيجة وقوفها إلى جانب السيد ماجد ضد أخيه، وفي الوقت نفسه تخوفت بريطانيا من تحركات الفرنسيين في زنجبار، فبدأت المراسلات بين اللورد رُسل وزير الخارجية البريطانية إلى السفير البريطاني في باريس لكي يوضح للحكومة الفرنسية أن بريطانيا لن تتغاضى عن أية محاولة للقضاء على استقلال زنجبار أو محاولة سيطرة أية دولة عليها، لكن وزير الخارجية الفرنسية أكد للسفير البريطاني أن لا صحة لهذه الأقاويل، لذلك اتفق الطرفان على إصدار **تصريح مشترك في عام ١٨٦٢م**، يعلنان استقلال زنجبار[١]. وكان هذا التصريح بناءً على اقتراح فرنسي وافقت عليه الحكومة البريطانية لأنه لم يكن لفرنسا أي نفوذ في زنجبار .

ويُعدّ هذا التصريح آخر مرحلة من مراحل تقسيم الدولة العُمانية بعد تصديق كل من فرنسا وبريطانيا على القرارات الخاصة بالتحكيم، و اعتمد التصريح على تعهّد الطرفين باحترام استقلال سلطنة زنجبار، وكذلك احترام استقلال سلطنة مسقط، وعدم قيام أي من الدولتين بمحاولة الحصول على مناطق نفوذ في كل منهما[٢]. وتؤكد المصادر أن إضافة سلطنة مسقط إلى المباحثات المشتركة لم يكن اقتراحاً من الجانب الفرنسي فحسب، إنما جاءت بسبب خطأ بعض الموظفين في وزارة الخارجية البريطانية في أثناء تبادل المذكرات بين الدولتين، ولم تعترض الحكومة البريطانية على تلك الإضافة، لأنها تدرك أن نفوذها في مسقط مستمد من قوتها البحرية، وليس نتيجة لاتفاقيات دولية، واكتسبت مسقط بموجب هذا التصريح مركزاً دولياً أعاق بريطانيا في كثير من الأحيان عن فرض نفوذها المطلق في السلطنة مقارنةً مع نفوذها في إمارات الخليج الأخرى[٣]. وقدمت الحكومة البريطانية بعض التنازلات لفرنسا لفرض حمايتها على مسقط ، وكانت هذه التنازلات عبارة عن مساومات استعمارية انتهت بعد اتفاقية بين فرنسا وبريطانيا في عام ١٨٩٠م فرضت من خلالها بريطانيا حمايتها على مسقط وزنجبار، مقابل السماح لفرنسا بفرض حمايتها على مدغشقر[٤].

---

[1] Aitchison , op , cit , vol ,XI , P , 73 .

[2] India Office Political & Secret Department , Memoranda , B . 118

[٣] – العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي .... ، ص ٢٠٢ و ص ٢٠٤ . و قاسم ، دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا ... ، ص ٢٥٧ .

[٤] – لاندن ، عُمان مسيراً ومصيراً ...،ص ٢٤٨ . و

Kelly , op , cit , p ,550.

٧. النتائج التي ترتبت على تقسيم الدولة العُمانية:

بعد صدور قرار التحكيم والتصريح الفرنسي الإنكليزي المشترك، أصبح هناك سلطتان مستقلتان، سلطنة مسقط وسلطنة زنجبار يحكمهما أخوان من أسرة واحدة، وترتّب على هذا الانفصال ما يأتي:

١- وُزّعت الثروة العامة من السفن التجارية والحربية بين السلطنتين، أو ثروة السيد سعيد فقد وزعت بين أبنائه طبقاً للشريعة الإسلامية، حيث خُصّ كل ابن بستين ألف ريال وكل بنت بثلاثين ألف ريال[١].

٢- أصبحت العلاقة بين زنجبار ومسقط بعد الانفصال علاقة مالية، فوجدت الحكومة البريطانية نفسها ملزمة بالإشراف على عملية دفع المعونة السنوية التي تعهّدت زنجبار بدفعها لمسقط.

٣- بعد انفصال زنجبار عن التبعية العُمانية أخذ يغلب عليها الطابع الإفريقي، نتيجة انقطاع صلتها بالوطن الأم، وأخذت تفقد مقوماتها العربية بسبب انفصالها عن عُمان التي كانت تمدّها بالعناصر والدماء العربية، مما أدى إلى انصهار عرب زنجبار بالعناصر الإفريقية كثيرة العدد، وحلت اللغة السواحلية محل اللغة العربية التي اقتصرت على الأرستقراطية الحاكمة.

٤- نشطت هجرة التجار العُمانيين إلى زنجبار بسبب الانهيار الاقتصادي في مسقط بعد فقدانها الشرق الإفريقي الغني، لكن هذه الهجرات واجهت قيوداً شديدة من السيد ماجد الذي أصبح خاضعاً للإنكليز، وهذه القيود أضعفت الروابط بين السلطنتين، ومن هذه القيود :

أ)- منع سكان زنجبار من تأجير المساكن للتجار العرب القادمين من عُمان والجزيرة العربية إلا بشروط وقيود.

ب)- منع السفن العُمانية من الملاحة في السواحل الإفريقية إلا إذا أبرزت أوراقاً ثبوتية للمتاجرة بالسلع بصفة شرعية، بذريعة مكافحة تجارة الرقيق.

ج)- وقف الهدايا التقليدية التي اعتاد عليها حاكم زنجبار إرسالها لرؤساء القبائل العُمانية[٢].

٥- في عام ١٨٦٦م أصدر السيد ماجد مرسوماً بإلغاء تجارة الرقيق في أي جزء من سلطنته، وذلك استجابة لمطالب بريطانيا التي اعترفت به حاكماً على زنجبار، وفي العام نفسه منح القنصل البريطاني في زنجبار صلاحيات واسعة لمحاكمة تجّار الرقيق الذي تمّ القبض عليهم[١].

---

[١] – سالمة بنت السيد سعيد ، مذكرات أميرة عربية ... ، ص١٦٤- ١٦٥.

[٢] – قاسم ، أثر الاستعمار الأوروبي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرقي إفريقيا ... ، ص ٨٢٣ .

٦–استمرت تجارة الرقيق رغم هذه القيود، وأصبحت أكثر أهمية بالنسبة للتجار العرب بعد استخدام الملاحة البخارية، والقضاء على التجارة الشراعية التقليدية التي كانت شائعة بين مسقط وزنجبار، فلم تستطع السفن العُمانية صغيرة الحجم منافسة السفن البخارية الضخمة ومواكبة التطور التكنولوجي الذي طرأ على فن الملاحة وبناء السفن، كما لم يكن للتجار العرب الخبرة ورؤوس الأموال الكافية للتحول إلى بناء السفن البخارية الضخمة ، فأدت تلك العوامل إلى تدهور العلاقات التجارية بين مسقط وزنجبار، واعتماد العرب على تجارة الرقيق وغيرها من الأنشطة غير المشروعة(٢). كما أكدت المراسلات التي بعث بها حاكم أبو ظبي الشيخ زايد الكبير إلى السيد ماجد في أوائل عام ١٨٧٠م على استمرار تجارة الرقيق حيث جاء فيها إصرار الملاّحين العرب على جلب العبيد من شرقي إفريقية.

٧–وكان لمعاهدات إلغاء تجارة الرقيق التي أبرمتها بريطانيا دورٌ كبيرٌ في تأزّم العلاقات بين مسقط وزنجبار، حيث أباحت لنفسها بموجب تلك المعاهدات حق التفتيش البحري ومصادرة السفن التي تشتبه بأنها تحمل رقيقاً أو سلاحاً، كما بالغ الضباط الإنكليز في تضخيم المخالفات التي ترتكب من قبل البحارة العرب بهدف فرض القيود الشديدة على حركة الملاحة العربية بين الخليج وسواحل شرقي إفريقية كما صدر في عام ١٨٤٨م قانون برلماني ينصّ على منح البحارة الإنكليز مكافآت مالية مجزية على كل رأس يضبط من الرقيق، أو عن كل طن من حمولة السفن التي تتم مصادرتها. وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت تجارة الرقيق تمارس عن طريق التهريب، كما عمد كثير من النخاسين إلى نقل الرقيق براً من شرقي إفريقية إلى سواحل الصومال؛ ومنها إلى خليج عدن وصولاً إلى حضرموت؛ تجنباً للمرور من المحيط الهندي، والتعرّض للتفتيش، فنتج عن ذلك الآلام والمعاناة التي كان يتحملّها العبيد في تلك الرحلات القاسية(٣).

ومن دراسة هذا الفصل تبينت الأوضاع التي آلت إليها عُمان بعد وفاة سعيد بن سلطان حيث انقسمت السلطة بين أولاده وتفاقمت المشكلات داخل عُمان وزنجبار بسبب استمرار الصراع بين الأخوة ثويني في عُمان وماجد في زنجبار وتركي في صحار، وانتهزت بريطانيا هذا الصراع الأسري ونصبت نفسها حاكماً بين الأخوين ثويني وماجد لتحقيق أهدافها في إحكام قبضتها على عُمان

---

(١) – كلي ، بريطانيا والخليج ١٧٩٥– ١٨٧٠م ، ترجمة : محمد أمين عبدالله ، ج٢ ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عُمان ، القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٤٠٠ و ص ٤٠٩ . و

Roland Oliver , The Dawn of Africa History , London , 1962 , pp . 116 – 117

(٢) – لاندن ، عُمان مسيراً ومصيراً ...، ص٨٩.

(٣) – العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ... ، ص ١٦٣ و ص ١٦٥ .

وتقسيم أملاكها إلى قسمين هما سلطنة مسقط وسلطنة زنجبار، لذلك صدر قرار التحكيم بفصل الأجزاء بفصل الأجزاء الأفريقية من السلطنة عن الأجزاء الآسيوية، وكان هذا التقسيم ضربة قاضية للإمبراطورية التي بناها السيد سعيد وحاول الحفاظ عليها، كما كان هذا التقسيم يخدم مصلحة بريطانيا لفرض سيطرتها وبموجبه صار سلاطين عُمان يسعون للحصول على الاعتراف البريطاني عند توليهم الحكم.

الخـــاتمة:

تناول هذا البحث فترة زمنية مميّزة في تاريخ عُمان بين عامي ١٨٠٦-١٨٥٦م وهي فترة تولّي السيد سعيد بن سلطان الحكم، وكانت غنية بالأحداث سواءً في داخل عُمان أو في خارجها ولعلّ أهم الحوادث الداخلية الدور الذي أدّاه السيد سعيد في مدِّ نفوذه إلى شرقي إفريقية ونقل العاصمة من مسقط إلى زنجبار في عام ١٨٣٢م. وفي بداية هذه الدراسة تمّ توضيح الدور التاريخي والحضاري لعُمان، وأهمية الموقع الجغرافي الذي دعم الاقتصاد العُماني، ولا سيما الزراعي منه، ووضّحت مناطق عُمان لتسهيل معرفة المواقع التاريخية، كما تم تسليط الضوء على أصول اليعاربة والأسباب التي أدت إلى زوال دولتهم، وقيام دولة البوسعيد والدور الذي أدّاه السيد أحمد بن سعيد حاكم صحار في تحرير عُمان من الفرس ووصوله إلى منصب الإمامة وموقفه من الصراع الأسري، كما ناقش الصراع الهناوي الغافري مع توجيه العناية إلى بداية ظهور هذا الصراع، وكيف تعاظم حتى ترك أثراً كبيراً في تاريخ عُمان. وتمّت دراسة الأوضاع السياسية في عُمان قبل تولي السيد سعيد الحكم ولا سيما العلاقات مع القواسم والوهابيين ومواقف الدول الأوربية من قيام دولة البو سعيد، ولا سيما فرنسا وبريطانيا اللتان تنافستا في سبيل الوصول إلى أهدافهما في التوسع والتحكم في شؤون عُمان وربطها بالمعاهدات التجارية.

وتناول الحديث في هذا البحث عن الدور المهم الذي احتلته شخصية كبيرة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر تجلّت في شخص السيد سعيد بن سلطان، ودخلت عُمان في عهده مرحلة جديدة و استمرت فترة حكمه ما يزيد على خمسين عاماً ١٨٠٦-١٨٥٦م كانت زاخرة بالتطورات الداخلية والخارجية، من أهمها:

١- التحديات التي واجهت السيد سعيد بن سلطان سواء داخل عُمان أو خارجها، ولا سيما حركة القواسم التي أبرزت تمسكهم بأرضهم وحبهم لوطنهم، فناهضوا السياسة البريطانية التي كانت قائمة على استغلال شعوب الشرق، وفي الوقت نفسه أنكر القواسم حكم البوسعيد، وأعلنوا استقلالهم ودعموا السعوديين، لذلك تعاون السيد سعيد بن سلطان مع الإنكليز حتى دمّروا رأس الخيمة (جلفار)، وحطموا أسطول القواسم عام ١٨٠٩م و ١٨١٩م، كما تعرّض لثورات داخلية كثورة بني بو علي وثورة صحار، وتغلب عليهما بمساعدة الإنكليز ودعمهم له، وإن وقوف الإنكليز ودعمها للسيد سعيد ليس محبةً له أو خوفاً على مصلحته، إنما كانت تهدف إلى تحقيق مطامعها وإحكام سيطرتها على مياه الخليج العربي متذرعة في القضاء على تجارة الرقيق والحفاظ على مصالحها على طريق الهند.

٢- تطرّق هذا البحث إلى دراسة أهم إنجازات السيد سعيد بن سلطان، وهو نقل مركز حكمه إلى زنجبار ١٨٣٢م، وتوسعه في شرقي إفريقية، بعدها انقسمت فترة حكمه إلى قسمين الأولى: بين عامي ١٨٠٦-١٨٤٠م والثانية بين عامي ١٨٤٠-١٨٥٦م ، فالفترة الأولى تميزت بتدعيم نفوذه في عُمان وتوجيه سياسته اتجاه الخليج العربي ، أما الثانية تميّزت بالاستقرار وهو تاريخ بدء إقامته الدائمة في زنجبار حتى وفاته عام ١٨٥٦م، وبدأت محاولاته للتنسيق في حكمه لعُمان بشطريها الآسيوي (مسقط) والإفريقي (زنجبار) حيث قام بالعديد من الإنجازات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وتصدّى للحركات المعادية له في ممباسا ولا سيما المزروعيين الذين طالبوا بالاستقلال عن عُمان، ونظّم شؤون الحكم والإدارة وشجع البعثات التبشيرية في شرقي إفريقية، كما لعب دوراً كبيراً في دعم الأسطول التجاري، وكان الجانب الاقتصادي أهم ما يميّز فترة تولّي السيد سعيد على الحكم، لأنه قام بتوجيه جلّ اهتمامه إلى ترسيخ الدعائم الاقتصادية وهذا ما جعله يبتعد عن الحروب والجانب العسكري، فاهتم بالتجارة بشكل كبير، لتعزيز علاقاته بالدول الأوربية وتعزيز القوة البحرية والعسكرية لعُمان.

٣- تميّز عهد السيد سعيد بتطور العلاقات الخارجية، لاسيما مع بريطانيا، فتميّزت بالتنافس من أجل الحصول على السيادة البحرية، لذلك حرصت بريطانيا على ربط السيد سعيد بمجموعة من المعاهدات، لتضمن حرية التجارة داخل عُمان كمعاهدة عام ١٨٣٩م ولكي تبعد الخطر الأمريكي، لا سيما بعد توقيع أمريكا لمعاهدة ١٨٣٣م و حصلت من خلالها على العديد من التسهيلات التجارية، لذلك رغبت بريطانيا في الدخول بحلبة المنافسة الأوروبية لتحصل على أكبر قدر ممكن من التسهيلات لتحقيق مطامعها داخل عُمان، فاتبعت سياسة التقرب والبعد من السيد سعيد، فعندما يطلب المساعدة منها تساعده بالقدر الذي يستطيع أن يقف به على رجليه فقط بسبب تخوفها من ازدياد نفوذه، وتهديد مصالحها، والقضاء على نفوذها، وتميّزت العلاقات مع الفرس بالتنافس للسيطرة على الطرق التجارية، لكن الأسطول الفارسي لم يكن بمستوى الخبرة البحرية وفن الملاحة التي تميز بها الأسطول العُماني فضلاً عن المساعدات الأجنبية التي قُدمت للسيد سعيد.

٤- على الرغم من امتلاك السيد سعيد مقوّمات السياسة، وحسن التدبير في إدارة شؤون البلاد، لكنه لم يتخلص من المشكلات؛ لأن إقامته في زنجبار كانت تؤدي إلى تفاقم المشكلات داخل عُمان، وإقامته في مسقط لا تتناسب مع السياسة التوسعية والأهداف التي يسعى

لتحقيقها في الشرق الإفريقي، وحين قرّر نقل مركز حكمه إلى زنجبار قام بتعيين اثنين من أولاده ليكونا نائبين عنه في الحكم فعيّن ابنه ثويني على مسقط، وابنه ماجد على زنجبار، واختلفت المصادر حول تقويم هذا التصرف فبعضها يؤكد أنّ السيد سعيد هو الذي مهّد لتقسيم الدولة وفصل الممتلكات العربية عن الممتلكات الإفريقية لكنه لم يعترف بأحد من أولاده خليفة له بعد وفاته سواء في القسم الآسيوي أو الإفريقي، والبعض يقول أنّ السيد سعيد لم يقصد بهذا التنظيم إيجاد فصل بين شطري الدولة؛ وإنما ما كان يهدف إليه هو تقسيم السلطة إدارياً بين أولاده، وأن تكون السلطة العليا على شطري الدولة بيد الابن الأكبر بما يتناسب مع الشريعة الإسلامية، ولعبت بريطانيا الدور الأكبر في فصل الأجزاء الأفريقية من السلطنة عن الأجزاء الآسيوية لسهولة السيطرة عليها، ونصّبت نفسها حكماً في صراع الأخوين ثويني وماجد، ووصلت إلى هدفها في تقسيم أملاك عُمان إلى قسمين منفصلين هما زنجبار ومسقط.

(الملحق ١)

أبناء السيد سعيد بن سلطان :

١- السيد هلال : هو أكبر الأبناء، وقد ولد من أم آشورية عام ١٢٣٢هـ - ١٨١٧م واسم هذه الأم نجم الصباح، وكانت المسؤولة عن بيت الساحل. تميّز بذكائه؛ لذلك ولّاه والده على مسقط عندما توجه إلى شرق إفريقية في عام ١٨٣٢م واستقر بها ، وقد حزن السيد سعيد حزناً شديداً عندما علم بوفاة ابنه وقد زال الحزن عندما علم بأنّه كان من المتوقع أن يفقد الابن قواه العقلية، وقام السيد سعيد برعاية أطفال ابنه حتى شبّوا وكبروا وهم السيد سعود والسيد فيصل والسيد محمد .

٢- السيد خالد : هو الابن الثاني للسيد سعيد، أمه من جورجيا ولد في عام١٢٣٤هـ - ١٨١٩م ، وكان جريئاً وصلباً مغرماً بالتجارة، لذلك استطاع أن يجمع ثروة كبيرة ، وكان قادة أحد المعارك في ممباسة عام ١٢٥٢هـ - ١٨٣٧م، وتولّى حكم إفريقية عندما توجه السيد سعيد إلى عُمان وأصيب بمرض رئوي ، وتوفي في عام ١٨٥٤م بينما كان والده في عُمان، وقد دفن في مقبرة أفراد الأسرة الحاكمة .

٣- السيد ثويني : هو الابن الثالث، ولد في عام ١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م تميّز بالنشاط وعندما كبر عيّنه أبوه نائباً له على الأقاليم العُمانية، وحكم عُمان من يوم وفاة والده في عام ١٨٥٦م إلى أن اغتاله أكبر أولاده السيد سالم بن ثويني في عام ١٨٦٦م . والسيد سالم هو أكبر أبنائه وأمه هي السيدة غالية بنت سالم بن سلطان، وابنه الثاني هو السيد حارب بن ثويني ، والسيد محمد والسيد عبد العزيز والسيد حمدان الذي ورث السيد ثويني في مقاطعة كيبانجى[1].

٤- السيد تركي : ولد في ١٢٤٧هـ - ١٨٣٢م وعاش فترة طويلة في زنجبار ثم أرسله والده إلى عُمان وفي عام ١٨٥١م عيّنه والده حاكماً على صحار في شمال مسقط، وتولّى حكم عُمان في عام ١٨٧١م حتى وفاته عام ١٨٨٨م.

---

[1] - الفارسي ، عبد الله بن صالح ، البوسعيديون حكام زنجبار ... ، ص ١٦ و ص ٢٠ .

أما أبناء السيد سعيد الذين تولوا حكم زنجبار، فهم :

١- السيد ماجد : ولد من أم تدعى السيدة سارة، وخَلَفَ السيد خالداً بعد وفاته وتولّى الحكم عام ١٨٥٦م حتى وفاته ١٨٧٠م، تميّز بالتواضع، وحظيَ على بشعبية واسعة ، وقد أحبّه والده كثيراً بسبب هذه الصفات ، وكان شديد الأسف عليه بسبب اعتلال صحته فقد كان المرض يلازمه دائماً، فكان المرض سبب متاعبه.

٢- السيد بُرغش : ولد في عام ١٢٥٢هـ - ١٨٣٧م، وتولى الحكم في عام ١٨٧٠م حتى وفاته عام ١٨٨٨م، وقد ترك له والده مقاطعة في بانجيني وأنجب ولدين، هما: سيف وخالد، توفي سيف عام ١٨٨٢م وتوفي خالد عام ١٩٢٧م .

٣- السيد خليفة : هو الابن السابع عشر من بين أولاده الاثنين والعشرين المعروفين، ولد في عام ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م ، وتولّى الحكم عام ١٨٨٨م حتى وفاته عام ١٨٩٠م وورث عن أبيه مقاطعة كيكانجونى.

٤- السيد علي : هو الابن الثامن عشر، ولد عام ١٨٥٤م من أمٍّ تسمى نور الصباح تولّى الحكم بين عامي ١٨٩٠ - ١٨٩٣م، وكان السيد علي هو آخر أبناء السيد سعيد الذين خلفوه، وورث عن والده مقاطعة مزيزين.

٥- السيد عبد الوهاب : ولد من أم من جورجيّة، وكان مفضّلاً لدى السيد ماجد، عيّنه قائداً لقواته في معركة منشو ضد السيد برغش، وتوفي في أثناء حكم السيد ماجد ولم يترك أطفالاً.

٦- السيد علي : كان دائم المرض، توفي في عام ١٨٥٤م، ووالده مايزال على قيد الحياة [١].

٧- السيد جمشيد: ولد ١٨٤٢م من أم من جورجيّة تدعى السيد عائشة، توفي مصاباً بمرض الجدري في عام ١٨٥٨م وعمره سبعة عشر عاماً .

٨- السيد حمدان: ولد في عام ١٨٤٣م من أم شركسية، تمتُّ بصلة قرابة وثيقة لأم السيد ماجد، توفي مصاباً بمرض الجدري في عام ١٨٥٨م وعمره ستة عشر عاماً، وفي ذلك العام اجتاح مرض الجدري منطقة زنجبار بدرجة كبيرة.

٩- السيد غالب : ولد في عام ١٨٤٥م، كان مصاباً بالشلل، وتوفي في عام ١٨٧٠م وعمره خمس وعشرون سنة .

١٠- السيد عبد العزيز: ولد في عام ١٨٥٠م، وهو من الأبناء المعروفين للسيد سعيد، توفيت والدته بعد وفاة زوجها بأيام عدّة فتولت تربيته أخته غير الشقيقة السيدة خولة؛ الأخت الشقيقة للسيد هلال، لم يكن مستقراً في تفكيره وكثيراً ما كان يسبب متاعب للأسرة الحاكمة، بسبب طمعه بالحكم، توفي في بومباي في عام ١٨٧١م .

١١- السيد عبد الله: توفي في أثناء حياة والده .

١٢- السيد حمد : توفي في حياة السيد برغش، وورث مقاطعة في سلم وترك بعض البنات .

١٣- السيد طالب : كان موضع ثقة السيد برغش، وتوفي في فترة حكمه.

[١] – الفارسي ، البوسعيديون حكام زنجبار ... ، ص ٢٤ – ٢٥.

١٤- السيد عباس : أكثر أبناء السيد سعيد جرأة، توفي في بداية حكم السيد برغش.

١٥- السيد ناصر: ولد ١٨٤٥م ،ماتت أمه في أثناء ولادته وتولّت تربيته أخته غير الشقيقة السيدة خديجة، الأخت الشقيقة للسيد ماجد، توفي في مكة وورث مقاطعة بومبوبين .

١٦- السيد عبد الرب: هو الابن الحادي والعشرون من أبناء السيد سعيد ورث مقاطعة لانجوني، وعاش في ماليندي، ومات في نهاية حكم السيد برغش.

١٧- السيد بدران: هو أصغر أبناء السيد سعيد، كان ذكياً ماهراً، كل أخوته يخشونه ويحترمونه ، توفي في زنجبار في عام ١٨٨٦م، وعمره ثلاثون عاماً ، وورث مقاطعة مكاديني، وترك ابناً اسمه السيد ماجد وابنة اسمها السيدة فراشو.

بنات السيد سعيد :

عدد بنات السيد سعيد المعروفات تسع عشرة، وهنّ:

السيدة زوينة ، السيدة ريّا ، السيدة شريفة ، السيدة شيخة ، السيدة عائشة، السيدة خولة ، السيدة خديجة ، السيدة مية ، السيدة شوانة ، السيدة زينة، السيدة زمزم السيدة مثلى ، السيدة نونو ، السيدة سلمى ، السيدة سويدو السيدة غالوجة ، السيدة شامبوعة ، السيدة ميره ، السيدة فراشو.

زوجاته :

تزوج السيد سعيد ثلاث زوجات، وهنّ :

١- السيدة عزة بنت سيف بن الإمام أحمد : عاشت هذه السيدة في قصر متونى، حيث كان البيت الخاص للسيد سعيد، وكانت الوحيدة بين الزوجات الثلاث التي ظلت زوجة له حتى وفاته، وقد توفيت في زنجبار بعد فترة قصيرة من إتمام عدة الوفاة على زوجها.

٢- السيدة شهرزاد بنت أريش ميراز ابن محمد شاه : تزوجها السيد سعيد في عام ١٨٣٧م بعد انتقاله إلى زنجبار، كانت فائقة الجمال، ورفضت ارتداء الحجاب،

وكانـــت مغرمـــة بالصـــيد وركـــوب الخيـــل ومعهـــا حاشـــية مؤلفـــة مـــن مائـــة وخمســـين شخصاً، وكانت ترتدي الثياب الفاخرة المصممة في شيراز.

الملحق (٢)

السيد سعيد بن سلطان حاكم عُمان وزنجبار[١]



[١] روبت، سعيد بن سلطان حاكم عُمان و زنجبار ، ص١٦٨

مصوّر عُمان في عهد السيد سعيد بن سلطان [1]



1- http://www.wdl.org>item

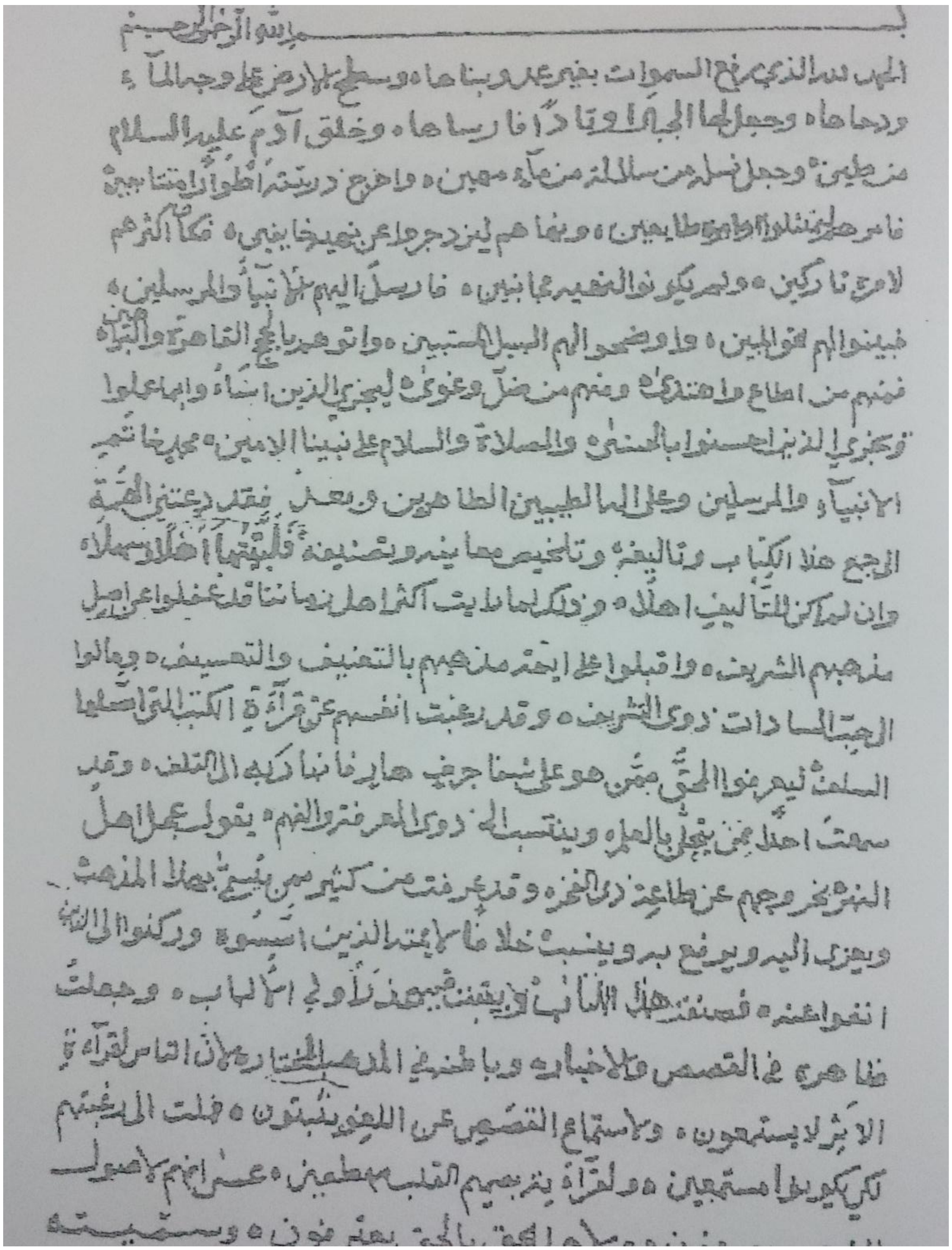


عُمان والمناطق التجارية في عام ١٨٣٧م

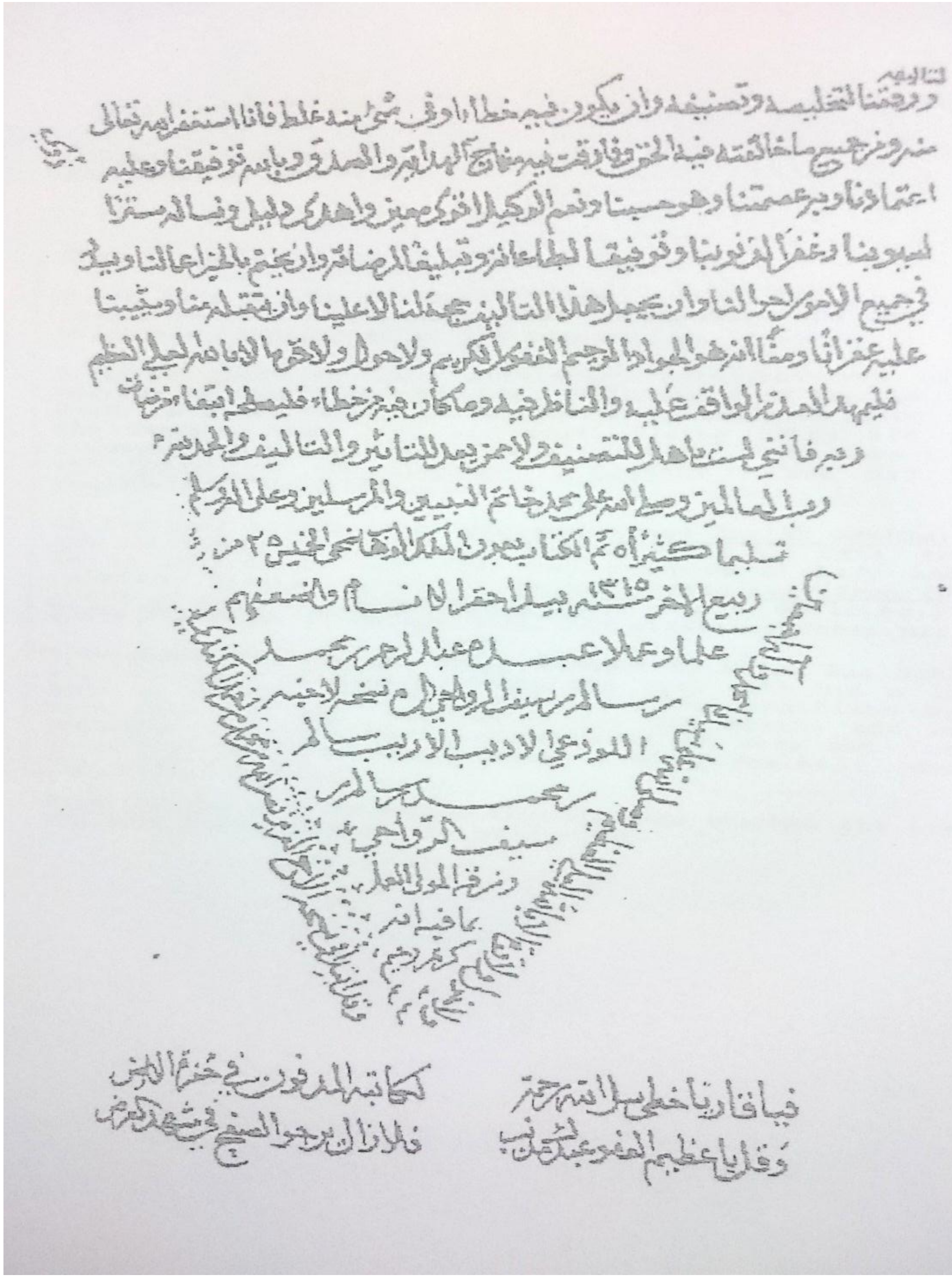
في عهد السيد سعيد بن سلطان

http://ar.m.wikipedia.org>wiki

مخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة لسرحان بن سعيد الآزكوي الصفحة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمد وبناها، وسطح الأرض على وجه الماء
ودحاها، وجعل لها الجبال أوتادا فأرساها، وخلق آدم عليه السلام
من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، وأخرج ذريته أطوارا متتابعة
فأمرهم ليمتثلوا أوامره طائعين، ونهاهم ليزدجروا عن نهيه خائفين، فكان أكثرهم
لأمره تاركين، ولم يكونوا لنهيه مجانبين، فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين،
فبينوا لهم الحق المبين، وأوضحوا لهم السبل المستبين، وأتوهم بالحجج القاهرة والبراهين
فمنهم من أطاع واهتدى، ومنهم من ضل وغوى، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا
ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، محمد خاتم
الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد، فقد دعتني الهمة
إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيص معانيه وتصنيفه، فلبيتها أهلا وسهلا،
وإن لم أكن للتأليف أهلا، وذلك لما رأيت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل
مذهبهم الشريف، وأقبلوا على أخذ مذهبهم بالتعنيف والتعسيف، وجهلوا
الحجج الساطعات ذوي التشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي أصلها
السلف ليعرفوا الحق ممن هو على شفا جرف هار فانهار به إلى التلف، وقد
سمعت أحدا ممن يتحلى بالعلم وينتسب إلى ذوي المعرفة والفهم، يقول بجهل أهل
النهر بخروجهم عن طاعة ذي النخوة، وقد عرفت من كثير ممن ينتحل هذا المذهب
ويعتزي إليه ويرفع به وينسب خلاف ما للأئمة الذين أسسوه وركنوا إلى الذين
أنفوا عنه، فصنفت هذا الكتاب لا يتقى فيه عذرا لأولي الألباب، وجعلت
ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة
الأثر لا يسمعون، ولاستماع القصص عن اللغو ينتبهون، فملت إليهم
لكي يكونوا مستمعين، ولقراءته بترسيم القلب مطمئنين، عسى أنهم لأصول

مخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة لسرحان الآزكوي الصفحة الأخيرة


ورفقنا لتخليصه وتصنيفه وان يكون فيه خطأ او وقع شيء منه غلط فانا استغفر الله تعالى
منه ومن جميع ما خالفت فيه الحق وفارقت فيه مناهج الهداية والصدق وبالله توفيقنا وعليه
اعتمادنا وبه عصمتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وسلم
تسليما كثيرا تم الكتاب [illegible]
ربيع الآخر سنة ١٢٥ [illegible]
[illegible]

فيا قارئا خطي سل الله رحمة لكاتبه المدفون في حفرة الأرض
وقل يا عظيم العفو عنه ذنوبه فلا زال يرجو الصفح في [illegible]

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

الوثائق والمخطوطات :

١ــ ابن رزيق، حميد بن محمد : الصحيفة القحطانية ، تحقيق: د. محمود بن مبارك السليمي ، أ. د. محمد حبيب صالح ، الغازي، علال الصديق ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان، مسقط، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩م ، ج١ + ٢+٣+٤+٥ .

الوثائق العربية :

١ــ الوثائق المصرية " وثائق القلعة " وهي مجموعة مراسلات تبادلها السلطان محمود الثاني مع واليه على مصر محمد علي باشا بخصوص القضاء على الحركة الوهابية، ومنها مراسلات بين محمد علي وخورشيد باشا قائد القوات المصرية في الحجاز. ورتبتها الدار القومية المصرية للوثائق التاريخية باسم : محافظ الحجاز رقم ٢٦٠ ، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٦ ، ٢٦٧، ٢٧٠.

٢ــ وثائق سعودية : مجموعة وثائق عرضتها حكومة المملكة العربية السعودية خلال التحكيم لتسوية النزاع حول البريمي بين مسقط وأبوظبي والمملكة العربية السعودية ، مجلدان ، القاهرة ١٩٥٥م.

وثائق أجنبية غير منشورة :

A . Bombay political & secret proceeding :

وهي مجموعة من المراسلات والتقارير بين حكومة بومباي وحكومة الهند والسادة البوسعيد حكام عُمان وذلك خلال الفترة ما بين عامي ١٧٨٩– ١٨٠٩م .

وبدأت برسالة عن مهدي خان إلى حاكم بومباي عام ١٧٩٨م، وأخبره فيها بنجاح مهمته مع السيد سلطان بن أحمد، وعقد معاهدة عام ١٧٩٨م بين حكومتي عُمان وبومباي .

ــوذكرت وثائق عام ١٧٩٩م أن حاكم بومباي رغب في طرد الفرنسيين من مسقط .

ــ وجاء في وثائق عام ١٨٠٠م أن بوجلي المقيم البريطاني في مسقط أرسل إلى حكومة بومباي: أن على عُمان التزام الحياد في الصراع الفرنسي– الإنكليزي . وأمرت حكومة سيتون المقيم البريطاني الجديد في مسقط أن يعمل على توطيد النفوذ الإنكليزي في عُمان .

ــ وذكرت وثائق عام ١٨٠١م تطور علاقات الصداقة الانكليزية العُمانية.

ــ أما وثائق عام ١٨٠٤م فقد ذكرت أن سيتون طلب من حكومة بومباي مساعدة عُمان ضد القواسم وأن وثائق عام ١٨٠٥م قد جاء فيها أن بدر بن سيف قبل صداقة الإنكليز .

ــ وأعلمت وثائق عام ١٨٠٦م حكومة بومباي عن الأوضاع الداخلية في عُمان في بداية عهد السيد سعيد بن سلطان .

_أما عن وثائق عام ١٨٠٧م و عام ١٨٠٨م تضمنت تقارير المقيم البريطاني في الخليج العربي التي تدور حول العلاقات العُمانية الإنكليزية الفرنسية.

_ وثائق عام ١٨٠٩م تضمنت تقارير المقيم البريطاني في الخليج العربي التي تدور حول العلاقات العُمانية الانكليزية والفرنسية .

_ وثائق عام ١٨٠٩م تضمنت تقارير عن سيتون إلى حكومة بومباي لمساعدة السيد سعيد بن سلطان ضد الوهابيين والفرنسيين والقواسم.

B. Bombay political proceeding :

وتشمل المراسلات والتعليمات والتقارير بين كل من حكومة الهند وبومباي ولندن وموظفيها في الخليج العربي والشرق الإفريقي والسيد سعيد بن سلطان حاكم عُمان وزنجبار بين عامي ١٨٢٢–١٨٥٤م ، وتضمنت تصرفات الكابتن أوين تجاه ممباسة .

ووثائق عام ١٨٣٠م تناولت الأوضاع الداخلية في عُمان .

وجاء في وثائق عام ١٨٣٥م تقرير المقيم البريطاني في الخليج العربي عن المعاهدة الأمريكية العُمانية ، كما ذكرت وثائق عام ١٨٣٦م حصار السيد سعيد لممباسة ومهاجمته لها .

ووثائق عام ١٨٣٨ و ١٨٣٩ تقرير عن النشاط الفرنسي في مسقط، ومذكرة من حاكم بومباي لدعم النفوذ البريطاني في عُمان وشرقي إفريقية .

وتناولت وثائق عام ١٨٤٢م تحرير العبيد الصوماليين .

ووثائق عام ١٨٤٣م تضمنت الاتفاق الذي دار بين السيد سعيد بن سلطان والفرنسيين.

أما عن وثائق عامي ١٨٤٤ و ١٨٤٥م تضمّنت تجارة العبيد، وذكر فيها علاقة عُمان بالوهابيين ومناهضة حكومة بومباي للنشاط الفرنسي بمسقط ، وتقوية الصداقة بين مسقط وبومباي.

وتضمنت وثائق الفترة ١٨٥١– ١٨٥٤م الأوضاع الداخلية في عُمان والصلح بين السيد سعيد وقيس بن عزان، وتسوية المشاكل بين عُمان والوهابيين، وأن الفرنسيين جلبوا عبيداً من شرق إفريقية الواقع تحت نفوذ السيد سعيد بن سلطان .

__وثائق أجنبية منشورة :__

I- Aitchison , C . u . " A Collection of Treaties , Engagement and Sands Relating to India and Neihbouring Countries. " Vo .XII . containing the Arab principalities in the Persian Gulf and Oman . Calcutta 1909.

II- Bombay Government .

Selection from the Records of the Bombay Government . Eistorical and other information connected with the Province of Oman , Muscat , Bahrein and other places in the Persian Gulf . New series . Vol . XXIV . Bombay . 1856.

III- Guillain , Charles :
Documents sur 1'Histoire , 1a Geogrophie et 1e Commerce de 1' Afrique Orientale 3 tomes . Paris . 1856 .
IV- Saldanha , A:
East India Companies Connection with the Parsian Gulf (1600 – 1800) Selection from Bombay State Papers .

<u>المصادر العربية :</u>

١. ابن بشر النجدي، عثمان بن عبد الله: عنوان المجد في تاريخ نجد ،تحقيق: عبد الرحمن ابن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٩م، الطبعة الرابعة، الجزء الأول.
٢. ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ١٩٨٦م.
٣. ابن غنام، حسين: تاريخ نجد، تحقيق: ناصر الدين الأسد ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦١م.
٤. الآزكوي، سرحان بن سعيد بن سرحان: تاريخ عُمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، تحقيق: عبدالمجيد القيسي ، الطبعة الرابعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط عام ٢٠٠٥م .
٥. الرواحي، سالم محمد: الدعوة الإسلامية في عهد اليعاربة ١٠٣٤-١١٣٣هـ، دار الألوان الحديثة، الطبعة الأولى، مسقط عام ٢٠٠٣م.
٦. السالمي، نور الدين عبد الله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، مكتبة الإمام نور الدين السالمي، سلطنة عُمان ، السيب عام ٢٠٠٠م، الجزء الأول والثاني.
٧. المعولي، أبو سليمان محمد بن عامر: قصص وأخبار جرت في عُمان، تحقيق: سعيد الهاشمي، الطبعة الأولى، مسقط عام ٢٠٠٧ م.
٨. المغيري، سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار: تحقيق، عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان، د.ت.
٩. الطائي، محمد بن خليفة، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، جزءان، الطبعة الأولى، القاهرة.
١٠. تاريخ أهل عُمان، مؤلف مجهول، تحقيق: عبد الفتاح عاشور، وزارة التراث القومي والثقافة، الطبعة الخامسة، مسقط عام ٢٠٠٥م.

١١. ج . ج . لوريمر : دليل الخليج، إعداد قسم الترجمة بمكتب صاحب سمو دولة قطر، جزءان، قطر ١٩١٤م .

١٢. لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، مؤلف مجهول ، تحقيق: محمد مصطفى أبو حاكمة، بيروت ، لبنان، ١٩٦٧م.

المراجع العربية:

١. أبو علية، عبد الفتاح حسن: العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الأمريكية وزنجبار١٨٢٣-١٨٦٢م، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض١٩٨٢م.

٢. البطريق، عبد الحميد: إبراهيم باشا ورحلته في بلاد العرب، القاهرة ١٩٤٨م.

٣. البطريق، عبد الحميد: الوهابية دين ودولة، حولية كلية البنات، جامعة عين شمس عام ١٩٦٤م.

٤. البوريني، أحمد قاسم: الإمارات السبع على الساحل الأخضر، دار الحكمة، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٥٧م.

٥. التركي، قصي منصور: الصلات الحضارية بين العراق والخليج العربي خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، دار صفحات للدراسات والنشر، عام ٢٠٠٨م.

٦. التميمي، عبد المالك خلف: الخليج العربي والمغرب العربي(دراسات في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي)، دار الشباب للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦م.

٧. الجبوري، عصام محسن: العلاقات العربية الإفريقية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١م .

٨. الحجري، عامر محمد: مؤتمر دراسات تاريخ شرقي إفريقيا والجزيرة العربية، الجزء الثاني، د.ت

٩. الخروصي، سليمان بن خلف: ملامح من التاريخ العُماني، مكتبة الضامري ، سلطنة عُمان السيب، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م .

١٠. الخصوصي، بندر الدين عباس: الخليج العربي، الجزء الأول ،الكويت، الطبعة الثانية ، منشورات ذات السلاسل ١٩٨٤ م.

١١. الخوند، مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٢ جزءاً ، د.ت.

١٢. الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، الطبعة الثالثة، القاهرة عام ١٩٥١م.

١٣. الزركلي، خير الدين: الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين)، الجزء الثالث .
١٤. السالمي، محمد بن عبد الله ، وعساف، ناجي: عُمان تاريخ يتكلم، المطبعة العمومية بدمشق، دمشق ، سوريا عام ١٩٦٣م.
١٥. السامرائي، أحمد: القواسم والخليج العربي ، الطبعة الأولى ، بغداد عام ١٩٧٣م.
١٦. السعدون، خالد: مختصر التاريخ السياسي في الخليج العربي منذ أقدم حضاراته حتى سنة ١٩٧١م، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى.
١٧. السيابي، سالم بن حمود: إيضاح المعالم في تاريخ القواسم، دمشق عام ١٩٧٦م.
١٨. السيابي، سالم بن حمود: عُمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط الطبعة الثالثة، الجزء الأول + الثاني + الثالث .
١٩. السيار، عائشة: دولة اليعاربة، دار القدسي، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٠. الشملان، سعيد مرزوق: من تاريخ الكويت ، القاهرة ١٩٥٩م ، الطبعة الأولى.
٢١. الصليبي، محمد علي: عُمان ودورها الريادي بين حضارات العالم القديم، وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٩٠.
٢٢. الطائي، عبد الله بن محمد: تاريخ عُمان السياسي، مكتبة الربيعان للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٨ م.
٢٣. العابد، صالح: دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧-١٨٢٠، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى عام ١٩٧٦م.
٢٤. العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي، د.ط، مكتبة الأنكلو المصرية، القاهرة عام ١٩٩١م.
٢٥. العقاد، صلاح، قاسم، زكريا: زنجبار، القاهرة ١٩٥٩م.
٢٦. العيدروس، محمد حسن :
- السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية، الطبعة الأولى، دار المتنبي للطباعة والنشر.
- سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي، الطبعة الأولى، دار المتنبي للطباعة والنشر.
٢٧. الغنّام، سليمان: سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسورية(١٨١١-١٨٤٠)، الطبعة الأولى، د.ت.

٢٨. القاسمي، سلطان بن محمد : تقسيم الإمبراطورية العُمانية ١٨٥٦– ١٨٦٢م، الطبعة الأولى، دبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٨٩م .
٢٩. القاسمي، خالد بن محمد: التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الإمارات العربية المتحدة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، الطبعة الثانية عام ١٩٩٩م.
٣٠. القرني، صالح بن مرعي: الحملات البريطانية ضد القواسم ١٨٠٥– ١٨٢٠م، مكتبة الفلاح ،الطبعة الأولى ، العين عام ٢٠٠٣م.
٣١. الكيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، أربعة أجزاء.
٣٢. المحذوري، سليمان بن عُمير: زنجبار في عهد السلطان سعيد بن سلطان(١٨٠٤– ١٨٥٦)، دار الفرقد، سورية عام ٢٠١٤م .
٣٣. المختار، صلاح الدين: تاريخ المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول، بيروت عام ١٩٥٧م.
٣٤. إبراهيم، عبد الفتاح : على طريق الهند، (الرسالة الأولى من رسائل الأهالي)، بغداد عام ١٩٣٥، د.ط.
٣٥. إبراهيم، حسين أحمد : المطامع الأوروبية في الخليج العربي من مطلع القرن السادس عشر حتى منتصف القرن العشرين، من أعمال مؤتمر الدراسات شرق الجزيرة العربية ، المجلد الثاني، الدوحة ١٩٧٦م.
٣٦. إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني: حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي (دراسة وثائقية)، الطبعة الأولى، دار المريخ ، الرياض عام ١٩٨١م.
٣٧. أبو ياسين، سمير بن محمد: العلاقات العُمانية البريطانية، البصرة، العراق، مركز دراسات الخليج العربي عام ١٩٨١م .
٣٨. درويش، مديحة: تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، جدة عام ١٩٨٠م.
٣٩. ستان، محمود بهجت: البحرين في الخليج العربي سنة ١٩٦٣م ، د.ت ، د.ط.
٤٠. شاكر، محمود: موسوعة تاريخ الخليج، الجزء الأول ، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمّان عام ٢٠٠٣م.

٤١.	صفوة، نجدة فتحي: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ، ٧ مجلدات.

٤٢.	عبد الله، محمد مرسي: إمارات الساحل وعُمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ –١٨١٨م، جزءان، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة عام ١٩٧٨ م، د.ط.

٤٣.	عبد الله ، محمد مرسي: العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وعُمان بين سنة ١٧٩٣–١٨١٨م القاهرة، ١٩٦٥م، رسالة ماجستير.

٤٤.	عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم: الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥–١٨١٨م، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة عام ١٩٦٩م.

٤٥.	عبد الحليم ، رجب محمد ، العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام ، مسقط عام ١٩٨٩م

٤٦.	عوض، عبد العزيز: تاريخ الخليج العربي الحديث، مكتبة الرائد العلمية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى عام ١٩٩١م.

٤٧.	غباش، حسين: عُمان الديمقراطية الإسلامية (تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ١٥٠٠–١٩٦٠)، من دون معلومات عن الطباعة والنشر.

٤٨.	قاسم، جمال زكريا:

- الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي(أصول المشكلة وتطورها) ، مؤتمر التاريخ الدولي في بغداد، ١٩٧٣م.
- دولة بوسعيد في عُمان وشرقي إفريقيا، الطبعة الثالثة، مركز زايد للتراث والتاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان.
- الدوافع السياسية لرحلات الأوروبيين إلى نجد والحجاز، من أعمال ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض عام ١٩٧٧م .
- أثر الاستعمار الأوربي في تفكيك الروابط بين الخليج العربي وشرقي إفريقيا، من أعمال ندوة دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ، الدوحة عام ١٩٧٦م.
- تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي.

٤٩.	فهمي، عبد القوي: القواسم ونشاطهم البحري ١٧٤٧–١٨٥٣م، رأس الخيمة ١٩٨٣م.

٥٠. نوفل، سيد: الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوبي الجزيرة العربية، الطبعة الثانية ، القاهرة١٩٧٢م.

٥١. محمد، نجاح، وأبو جبل، كاميليا، تاريخ الجزيرة العربية المعاصر، جامعة دمشق، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

٥٢. تاريخ عُمان في عهد البوسعيد ١٧٨٤-١٨٥٦م، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إعداد: علي يوسف البلخي، دمشق ١٩٩١م.

٥٣. القواسم وعلاقاتهم الإقليمية والدولية ١٥٠٦-١٨٢٠م ، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إعداد: مؤيد باسم حمزة ، دمشق ٢٠٠٩-٢٠١٠م.

مصادر أجنبية معرّبة :

١. الفارسي، عبدالله بن صالح: البوسعيد حكام زنجبار، ترجمة: محمد أمين عبد الله ،إعداد وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان عام ١٩٨٠.

٢. المعمري، أحمد حمود: عُمان وشرقي إفريقيا ، ترجمة: محمد أمين عبد الله ، الطبعة الثالثة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان عام ١٩٨٠م.

٣. بادجر، جورج برسي: مقدمة كتاب تاريخ أئمة وسادة عُمان ، ترجمة: محمد علي الداوود، الطبعة الثانية عام ٢٠١٢م.

٤. بالوا، إيرابيل: عُمان وفرنسا (صفحات من التاريخ) ، الطبعة الأولى ، شركة تيب ، باريس.

٥. دونالد، هولي: عُمان ونهضتها الحديثة ، ترجمة: فؤاد حداد وعادل صلاحي، تحقيق محمد نيني، مؤسسة ستايس الدولية، لندن، د.ط، د.ت.

٦. روبين، بيدويل: عُمان في صفحات التاريخ، ترجمة: محمد أمين عبد الله، العدد السابع من سلسلة تراثنا، وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان، القاهرة عام ١٩٨٠م.

٧. روث، رودلف سعيد: السيد سعيد بن سلطان(١٧٩١-١٨٥٦) حاكم عُمان وزنجبار، ترجمة: سامي عزيز، جامعة القاهرة عام ١٩٨٣.

٨. سالمة بنت السيد سعيد : مذكرات أميرة عربية ، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، دار الحكمة لندن، د.ط.

٩. كيلي، جون: بريطانيا والخليج، وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان، مسقط، ١٩٧٩م، الجزء الأول.

١٠. لاندن ، روبرت جيران: عُمان منذ عام ١٨٥٦م مسيراً ومصيراً ، ترجمة: محمد أمين عبد الله الطبعة الثالثة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان عام ٢٠٠٣ م.
١١. هيرمان، إيلتس: عُمان والولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة: محمد كامل، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان عام ١٩٨٥م، د.ط .
١٢. ويلستد، أرنولدت: الخليج العربي، ترجمة: محمد أمين عبد الله ، نشر وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان عام ١٩٨٥م ، د.ط.
١٣. ويلكسون، جون: صحار تاريخ وحضارة، الطبعة الثانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان.
١٤. مايلز، صاموئيل: الخليج العربي بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عُمان عام ١٩٨٣م.

الصحف والمجلات العربية:

١. الخروصي، سليمان بن خلف ، جريدة عُمان اليومية الصادرة في ١٠آب عام ١٩٩١م.
٢. ابراهيم، محمد صابر عرب: دولة اليعاربة بين الوحدة الوطنية والانتصارات الخارجية، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، العدد٣٧ ، ١٩٨٠م.
٣. جريدة الوقت السياسية : العدد ١٨٤، الأربعاء ٢٨رجب ١٤٢٧هـ / ٢٣آب ٢٠٠٦م.
٤. عوض، عبد العزيز: الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية ، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٩، ١٩٨٦م.

Abstract

This research deals with a period of time in the history of Oman between 1806-1856, the period of Sayyid Said bin Sultan rule in Oman, and it was rich in events both inside and outside Oman. Perhaps the most important internal events played the role of Mr. Said in extending his influence to East Africa and the transfer of the capital from Muscat to Zanzibar in 1832. At the beginning of the study, the historical, cultural and geographical role of Oman was clarified, as were the origine of the wartime and the reasons for the demise of their state, the establishment of the Bosaidid stste and the Hanaf -Gafri conflict, Which increased and left a great impact on the history of Oman. The political situation in Oman was studied before Sayyed Said came to power, especially relations with al-Qawasim, Wahhabis and the positions of the European countries on the establishment of the Bousaid state. Oman entered a new phase in the era of Sayyid Said, and his reign lasted for more than 50 years and was full of internal and external developments. Mr Said was also exposed to internal revolutions such as Bani Bo Ali, Sohar Revolution and Qawasm. He defeated them with the help of the British and supported them not for his love or for his interests, but to achieve their control over the waters of the Arabian Gulf under the pretext of eliminating the slave trade. The study of the most important achievements of Mr. Said bin Sultan, the transfer of the center of his rule to Zanzibar and its expansion in East Africa, and began his attempts to coordinate in his rule to Oman, Asia and Africa, where he made many economic achievements, social and intellectual and addressed the movement of the farmer who demanded independence from Oman, Governance and administration encouraged missionary missions and with a series of treaties to guarantee freedom of trade with Oman as a treaty in

1839 to distance the American threat, especially after the signing of the United States, through which it obtained commercial facilities. The relations with the Persians were characterized by commercial routes.

Damascus university
Faculty of Arts and Humanities
Department of History

A thesis prepared for the master degree in the history of modern and contemporary Arabs **entitled** :

Mr. Saeed bin Sultan and his role Oman
(1806-1856)
Study in the light of Omani confidential documents

Supervision : Dr. Hossam Al- Nayef

Prepared by : Nour Kamal Ghanem

2017-2018